الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران

كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية

تخصص : اللغة والدراسات القرآنية

# جهود الشاطبي في الدراسات القرآنية

مذكرة مقدمة لنيل متطلبات شهادة الماجستير

إعداد الطالب :

بن عبد الله عبد الغني

إشراف الدكتور :

محمد زعراط

المشرف المساعد الدكتور :

سليماني عبد القادر

الموسم الجامعي

1428 ـ 1429 هـ / 2007 م ـ 2008 م

# الفهارس

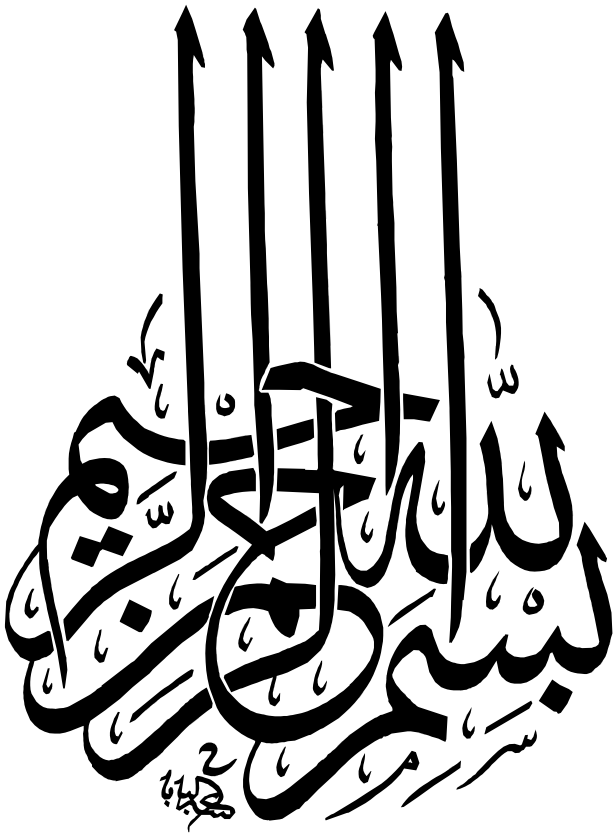
أولا : فهرس الآيات القرآنية

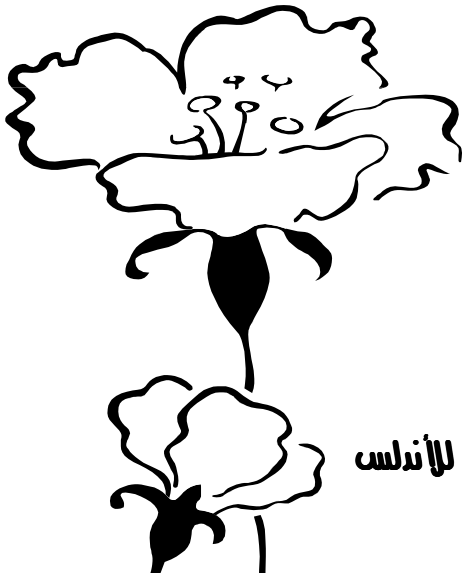
ثانيا : فهرس الأحاديث النبوية

ثالثا : فهرس الأعلام

رابعا : فهرس المصادر و المراجع

خامسا : فهرس المحتويات


بسم الله الرحمن الرحيم



# قبس

**قال الشاعر أبو الطيب صالح ابن شريف الرندي في أحد مراثيه للأندلس المفقود :**

فسأل بلنسية ما شأن مرسية ... وأين شاطبة أم أين جيان ؟
وأين قرطبة دار العلوم ؟ فكم ... من عالم قد سما فيها له شان!
وأين حمص وما تحويه من نُزه ... ونهرها العذب فياض وملآن
قواعد كنَّ أركان البلاد ، فما ... عسى البقاء إذا لم تبق أركان
تبكي الحنيفية البيضاء من أسف ... كما بكى لفراق الإلف هيمان

# المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهـده الله فـلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله .

وبعد : لعلَّ أهم قضية يجب البحث فيها في حياة المصلحين والمجدّدين تتمثل في معرفة الطريق الـذي إتبعوه ، والمنهج الذي سلكوه في التعامل مع القرآن الكريم ، فهما وتفسيراً وتنزيلا على أرض الواقـع ، بوصفه الأساس الذي يقوم عليه كلّ إصلاح وتجديد ، فهو المصدر الذي يُبنى عليه أي فكر يدور في إطار تقويم حياة الإنسان ، وتوفير السعادة والرخاء له في هذا الوجود ، والأخـذ بـيده كي لا يهوي في مواطن الضعف ، أو يسقط في مستنقع الأفكار الضارة الدخيلة على المسلمين ، من عقائد مزيفة ، وأخلاق مبتذلة ، فمما تقدم يتبين لنا مدى أهمية هذه القضية التي إن حاولنا تطبيقها ، بل لابد وواجب شرعي من تطبيقها ، فهي الوحيدة التي تكشف لنا عن مـنهج للتعامل مع الواقع بكل مايحتويه من صالح وطالح ، وهذا البحث الذي أقدمه لنيل درجة العالمـية ( الماجـستير ) إن شـاء الله هـو محاولـة متواضعة للوقوف على فكر واحد من الشخـصيات التـي شهد لها الكثيرون من الباحثين بالتميز بسعة الأفق والنظر، ألا وهو الإمام إبرهيم بن موسى الشاطبي

وسـأحاول في هذا البحث الإجابة عن **إشكالية** ، وهي " ما هي الأسس التي يمتلكها الشاطبي ، حتـى أطلـق علـيه مترجموه لقب " المفسر " ؟ مع أنه غير معروف أن له كتاب في " تفسير القـرآن " ، كمـا تذكـر لنا فهارس الكتب التي تهتم بهذا الشأن " ، فهل هذا الوصف يستحقه الشاطبي أم لا ؟ ، وماهي نظرته لمختلف مسائل هذا الفن وموقفه منها وقيمتها ياترى ؟ .

وعن **أسباب إختياري لهذا الموضوع** فهي تنحصر فيما يلي :

ـــــ أهمـــية هـــذا الفن من العلوم ، والمتمثل في جانب الدراسات القرآنية ، فلا شك أن معرفة الأمـــور التي تخص كتاب الله ﷻ هي من الأمور الواجبة شرعا على المكلفين كلّ واحد منهم بقدر إستطاعته .

ـــ الحرص على إستخراج موضوعات هذا العلم من المصنفات التي لم تسمى بهذا الإسم التي لا تخلـــوا من أقوال مهمة ، ومباحث مفيدة وموضوعات كثيرة لها صلة بالقرآن الكريم ، مع غفلة بعض الباحثين والدارسين عنها لعدم ظهورها وإشتهارها .

ـــ مكانة هذا الإمام السامية ، وقيمة أقواله وآرائه عند العلماء رحم الله الجميع .

ـــ ولعل أهم الأسباب هو رغبتي في الإفادة من علم هذا العالم الرباني ، وهذا عن طريق قراءة بعـــض مصنفاته التي تعد بحق موسوعة علمية ترشد إلى تبحر هذا الإمام في مختلف الفنون ، مما يعين على إثراء المعلومات الخاصة بالطالب .

ـــــ وقد زادني تشجيعا على الكتابة في ذلك : كون هذا الموضوع لم يطرق من قبل فقد كتب عـــن الشاطبي ـــ رحمه الله ـــ باحثون أفاضل في مجال المقاصد ، والأصول فأحببت أن أضع فـــي هذا العقد واسطته ، ألا وهي الدراسات القرآنية التي علمها أشرف العلوم ، و لقد إستطعت أن أتعـــرف على باحثين اثنين نبهوا وأشاروا إلى مثل هذا الموضوع وهما : " الدكتور شايع بن عـــبده الأسمري في مقال له نشر في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية بإسم " مع الإمام أبـــي إسحاق الشاطبي في مباحث من علوم القرآن وتفسيره " وقد رأيت عرض خطة بحثه في هذا الموضع ، وقد قال بأنه لم يجيء بكلّ المباحث ، وكان غرضه من بحثه المذكور هو إبراز القـــيمة العلمـــية التـــي حوتها كتب الشاطبي ؛ والثاني الأستاذ محمّد دراجي في مقال له تحت عـــنوان " منهج التفسير عند الإمام الشاطبي" شارك فيه في الندوة المقامة بمسرح الهواء الطلق بالجزائـــر العاصمة ، حول شخصية الشاطبي أيام ( 06 ـــ 09 شوال 1411هـــ ـــ 21 ـــ24 أفـــريل 1991م ) ، وهنا ملا حظة أريد الإشارة إليها وهي أني لم أطلع على هذين المقالتين ، إلا بعد تسجيلي للموضوع .

أما عن **المنهج المتبع** في كتابة البحث ، فيمكن حصره في النقاط الآتية :

**أولا :** جمعت الجزئيات المتعلقة بالدراسات القرآنية مما قاله الشيخ ــ رحمه الله ــ فنقلت النصوص وأقوال الأئمة الأعلام من مصادرها الأصلية ، ولم أشأ أن أشين هذه النقول بكثرة التعليق عليها ، مكتفيا بتنظيمها وتنسيقها ، وتوضيح المراد منها مع الحفاظ على أساليب أولئك الأئمة لما تتمتع به من دقة في التعبير ؛ و جزالة في الأسلوب .

**ثانيا :** وزعت المادة العلمية التي جمعتها على الأبواب الخاصة بعلوم القرآن والتفسير ، مقسما إياها إلى مباحث ومطالب بحسب مقتضى الحال .

**ثالثا :** عند دراسة أي مسألة من المسائل التي عرضها الشاطبي وقررها أبدأ تلك المسألة بمدخل عام لها ، ثم أذكر رأي الشيخ فيها مقارنا إياها في أغلب الأحيان بأقوال السلف والباحثين في ذلك ، مدللا بذلك على أن كلام الشيخ موافق لمذهبهم أو مخالف له .

**رابعا :** عزوت الآيات القرآنية الواردة في البحث إلى مواضعها في القرآن الكريم ذاكرا اسم السورة ورقم الآية .

**خامسا :** خرجت الأحاديث النبوية من كتب السنة .

**سادسا :** اجتهدت بقدر المستطاع في ترجمة الأعلام الواردة أسمائهم في هذه الرسالة .

**سابعا :** وضعت فهارس علمية ، تخدم البحث ، وتسهل على الناظر فيه الوقوف على موضوعاته ، وهي على النحو التالي :

- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث النبويّة .
- فهرس الأعلام .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

**والخطة** التي سرت عليها : تضمنت مقدمة و ثلاثة فصول :

فالمقدمـــة هـــي ما سبق وسأذكر قبل نهاية هذا التقديم " بعض الدراسات التي تناولت شخصية وفكر هذا الإمام " لمحاولة الإحاطة بالجوانب التي بحث فيها ، ثم يأتي بعده

**الفصل الأول : ترجمة الإمام الشاطبي** وفيه ست مباحث

**المبحث الأول** : المولد والنشأة العلمية .

**المبحث الثاني** : الشيوخ الذين تتلمذ على يديهم واستفاد منهم .

**المبحث الثالث** : التلاميذ الذين تخرجوا على يديه .

**المبحث الرابع** : آثاره العلمية وأهميتها .

**المبحث الخامس** : ثناء العلماء عليه ونُتف من شِعره .

**المبحث السادس** : المصادر التي اعتمد عليها الشاطبي في تدوين مصنفاته وتاريخ وفاته .

**الفصل الثاني : جهوده في علوم القرآن** ، ويحوي ستة مباحث أيضا

**المبحث الأول** : المكي والمدني في القرآن .

**المبحث الثاني** : المحكم والمتشابه .

**المبحث الثالث** : أسباب النزول وأهمية معرفتها .

**المبحث الرابع** : النسخ وما يتعلق به في القرآن .

**المبحث الخامس** : إعجاز القرآن الكريم .

**المبحث السادس** : الخطاب القرآني .

**الفصل الثالث : جهوده في التفسير** ، ويحوي على عشر مباحث

**المبحث الأول** : طرق التفسير .

**المبحث الثاني** : التفسير بالرأي .

**المبحث الثالث** : الـــتأويل عند الشاطبي .

**المبحث الرابع** : الظاهر والباطن في القرآن الكريم .

**المبحث الخامس** : أسباب اختلاف المفسرين .

**المبحث السادس** : الحكاية في القرآن الكريم .

**المبحث السابع** : الترغيب والترهيب في القرآن .

**المبحث الثامن :** التفسير العلمي .

**المبحث التاسع :** التعارض والترجيح .

**المبحث العاشر :** اهتمام الشاطبي بالتفسير الموضوعي

**الخاتمة :** تحوي أهم نتائج البحث .

وقبل الدخول إلى صميم البحث ، أذكر الناظر في هذه الرسالة بأنني نقلت نصوص كثيرة لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وهذا راجع للأسباب التالية :

أن كثير من الباحثين المعاصرين أثاروا نقطة تدور حول استفادة الشاطبي من ابن تيمية ، فأردت أن أطابق بين قولين هذين العالمين الفذين لنرى مدى التقائهما في مجموعة كبيرة تصل إلى حد التشابه التام ، ومن أولئك المعاصرين أذكر

الباحث يوسف أحمد محمّد البدوي ([1]) حين " جزم بأن الشاطبي قد استفاد من ابن تيمية مستدلا على ذلك بنصوص قال إنها هي نفسها المذكورة في كتاب " بيان الدليل على بطلان التحليل " [2])

وقال وتظهر استفادة الشاطبي من ابن تيمية فيما يلي :

ـ " المطابقة والتقارب الشديدين بين كلام ابن تيمية والشاطبي في هذا الطريق ... ويعنى به ـ سكوت الشارع ـ .

ـ قال ومن الأدلة على ذلك أيضا لقاء المقري أحد شيوخه لابن القيم فقال : " ... فلا يبعد أن نسخ المقري شيئا من كتب ابن تيمية التي كانت بالشام أو بحوزة ابن القيم ، أو حمل المقري معه شيئا من كتب ابن تيمية .

قال : ولعل الشاطبي لم يكن يصرح باسم ابن تيمية نظراً لما أُشيع عنه رحمه الله من بعض الفتاوى التي نفرت بعض العلماء عنه ... فأراد الشاطبي رحمه الله أن يوصل علم ابن تيمية للناس في المغرب ، دون أن يشعرهم بأقواله صراحة حتى لا يحجموا عن قبول أقواله وآرائه

---

11] في كتابه الموسوم بـ " مقاصد الشريعة عند ابن تيمية " وهو من إصدارات ( دار النفائس بالأردن ، الطبعة الأولى 1421هـ ـ 2000م )

[2] المرجع السابق ص 508 ـ 509

ثـــم انتهـــى إلـــى القول : " ولكن تحقيق ذلك يحتاج إلى بحث مستقل تقع فيه المقارنة بين آثار هؤلاء الأعلام الثلاثة ، وهم متعاصرون حيث كانوا جميعا من رجال القرن الثامن للهجرة " ([1])

فبعد هذا العرض أقول بأنه يمكن الجمع بين هذه الأقوال بما يلي : " أن سبب هذا الاتفاق بينهما والله أعلـــم مـــع أن أحدهم من جهة المشرق و الآخر من المغرب ، هو نتيجة الأخذ والنبع من المشكاة الواحدة والمتمثلة في كتاب الله وسنة النبي ﷺ، أي ما يعرف بوحدة المشرب فهذا الذي أدى بهمـــا إلـــى السير في طريق واحد ، مما أوصلهما في النهاية إلى نتائج تكاد تكون متطابقة تماما،وهذا هو نتيجة تطبيق قوله تعالى ﴿ **وَأَن هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ** ﴾([2]) ،

وهـــذا مـــا يـــؤكده الباحث يوسف البدوي في مقالته : " .. فإن هناك مباحث مشتركة من حيث الفكرة والجوهر بين ابن تيمية و الشاطبي ، أسأل الله أن ييسر إعدادها و إخراجها " ([3]) .

أقـــول وللقـــيام بهذا الأمر لابد من القيام بعملية استقراء تام لكتب هذين العالمين الجليلين اللذان كـــان هـــدفهما الأساسي و الأول هو إصلاح المجتمع من الشوائب التي وقعت فيه مما أدى إلى تغيير النظرة الصافية لسماحة هذا الدين الحنيف .

وفي الأخير يشرفني بالتوجه إلى الشكر والتقدير إلى كل من المشرفين على هذه الرسالة ، وإلى كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية بوهران التي أتاحت لنا فرصة إكمال الدراسات العليا وهذا تطبيقا لقوله ﷺ " لا يشكر الله من لا يشكر الناس " ([4]) .

---

[1] المرجع السابق ص 511 ـ 516

[2] سورة الأنعام الآية 153

[3] مقاصد الشريعة عند ابن تيمية ص 517

[4] أخـرجه أبـو داود في سـننه كـتاب الأدب ، باب في شكر المعروف رقم ( 4811 ) ، ج 4 / 256 ، ونحوه عند الترمذي كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك رقم ( 1954) ، ج 4 / 298 ـ 299 ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ،أحمد في المسند رقم ( 11280 ) ج 17 / 380 عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، الحافظ ابن كثير في جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن رقم ( 292 ) ، مسند أسامة بن عمير بن عامر الهذلي ج 1 /291 و بلفظ آخر نحوه عن الأشعث بن قيس أبي محمد الكِنديّ رقم ( 367) ج 1 /357 ،الحافظ البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة عن أبي سعيد الخدري بسند ضعيف رقم ( 7175 ) ، وعـن أبـي هريـرة رقـم (7176 / 1 ) ، ( 7176 / 2 ) ج 7 / 398ـ 399 ، كـتاب المـواعظ ـ باب ما جاء في الشكر ، وعن الأشعث بن قيس رقم ( 5181/ 3) ج 5/ 527 ، كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء فيمن يشكر الناس ومن لم يشكر =

**التعريف بمفردات البحث** : كلمة جهود

الجهود جمع مفرده جهد بضم الجيم وفتحها وله في اللغة عدة معان منها :

- وصول الإنسان إلى غايته

يقال جهد في الأمر جهدا جد وطلب حتى وصل إلى الغاية ، وفى القرآن الكريم ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ ([1]) .

- تحمل المشقة

يقال جهد الدابة حمل عليها في السير فوق طاقتها ، وفى الحديث فغطني حتى بلغ منى الجهد ([2]) .

- بذل ما في الوسع

يقال جهداك أن تفعل كذا : قصاراك وغاية أمرك

وجهد المقل : قدر ما يحتمل حاله من قل ماله ، وفى القرآن الكريم ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ ([3]) .

والجهد في علم النفس : كل نشاط يبذله الكائن الواعي جسميا أو عقليا ويهدف عادة إلى غاية .

قال ابن منظور : " الجَهد والجُهد : الطاقة ، نقول أجهد جهدك وقيل الجهد المشقة والجُهد الطاقة ، و الجُهد الشيء القليل يعيش به المقل على جهد العيش ، وفي التنزيل العزيز

---

= صحيح الأدب المفرد للبخاري بقلم محمد ناصر الدين الألباني ، باب من لا يشكر الناس رقم ( 160 / 219) ج 1 / 99، السلسلة الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها للألباني رقم ( 416 ) ج 1 / 776

[1] جزء الآية 109 من سورة الأنعام

[2] جزء من حديث أخرجه البخاري في الصحيح رقم [ 04 ] باب بدأ الوحي ،مسلم كتاب الإيمان رقم [ 231 ] ،أحمد في المسند رقم ( 24768 ) ـ مسند باقي الأنصار

[3] جزء من سورة التوبة الآية 79

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ [1] على هذا المعنى قال الفراء : الجُهد في هذه الآية الطاقة .." [2] .

وهذه المعاني كلها متقاربة غير أن المقصود بهذه الكلمة في البحث المعنى الأول الذي هو بمعنى الاجتهاد وهو استعراض ما وصل إليه الإمام الشاطبي في كتابيه الموافقات والاعتصام من آراء .

والمقصود بالجهود هنا : تلك الطاقات والإسهامات التي بذلها الإمام في توضيح بعض النقاط لكي تكون نبراسًا للخائضين في مثل هذا الفن من العلوم المهمة وهو مجال الدراسات القرآنية .

أما عن مصطلح الدراسات القرآنية ، فنبيِّن كلٌّ من طرفي هذا المركب الإضافي ، أما المركب الأول " الدراسات " ، فهي جمع درس ، وعن هذا المركب الأخير :

قال ابن فارس : " الدال والراء والسين أصلٌ واحد يدلُّ على خفاء وخفض وعفاء فالدّرس الطَّريق الخفي ، يقال درس المنزل : عفا .... ومن الباب دَرَستُ القرآن وغيره ؛ وذلك أن الدَّارس يتتبَّع ما كان قرأ ؛ كالسَّالك للطريق يتتَّبعه " ( [3] ) .

قال ابن منظور : " دَرَسَ الشَّيء والرّسم يدرُس دروسا : عفا ودرسته الريح ، يتعدى ولا يتعدى ، ودرسَه القوم : عفُّوا أثَره .... ودَرسَ الكتاب يدرسُه درسًا ودراسةً ودارسَهُ ، من ذلك كأنَّه عانده حتى انقاد لحفظه ... ودرست الكتاب أدرسه درسا أي ذلّلته بكثرة القراءة حتى خف حفظه عليَّ " ( [4] ) .

---

[1] جزء من سورة التوبة الآية 79

[2] لسان العرب مادة " جهد " ج 1 / 476 ـ 477( دار صادر ـ بيروت ـ ) ، تاج العروس للزبيدي ج 7 / 534 ـ 538 ، معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج 1 / 486 ـ 487 ؛( تحقيق وضبط عبد السلام محمَّد هارون طبعة سنة 1399هـ ـ1979 م ـ دار الفكر ـ ) ، مُجمل اللغة لابن فارس ج 1 / 200 ،( دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان ؛ الطبعة الثانية 1406 هـ ـ 1986 م ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ) ، الكلِّيات لأبي البقاء الكفوي ص 354

[3] معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج 2 / 267 ـ 268 مادة [ درس ]

[4] ينظر لسان العرب 17 / 1359 ـ 1360

وقال أبو بكر الأنباري ت ( 328 هـ ) : " وقولهم قد درس الرجل القرآن : معناه قد راضه ، وذلّل لسانه به ، والدرس معناه في كلامهم الرياضة والتذليل ، يقال طريق مدروس إذا كثر مشي الناس فيه حتى ذلّلوه وأثروا فيه " ([1]) .

أما عن الشق الثاني " القرآنية " فهي مشتقة من القرآن ، وعن هذا اللفظ الأخير([2]) فإن العلماء قد اختلفوا فيه من جهة اشتقاقه أو عدمه ، ومن جهة كونه مهموزاً أو غير مهموز ، ومن جهة كونه مصدرا أو وصفا على عدة أقوال نبدأ بقول القائلين بأنه مهموز :

الأول : قيل أن مصدر " قرأ " بمعنى تلا ، كالرجحان والغفران ، ثم نقل من هذا المعنى المصدري ، وجعل اسما للكلام المنزل على نبيينا عليه السلام من باب تسمية المفعول بالمصدر ، ويشهد لهذا الرأي ورود القرآن مصدرا بمعنى القراءة في الكتاب الكريم في قوله تعالى

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ [ القيامة: 17 – 18 ]

الثاني : قال آخرون منهم " الزجاج " أنه وصف على فعلان مشتق من " القرء " بمعنى الجمع ، فيقال في اللغة : " قرأت الماء في الحوض " أي جمعته ، وسمي كلام الله بهذا الاسم لجمع السور والآيات فيه أو القصص والأوامر والنواهي أو لجمعه ثمرات الكتب السابقة

أما القائلون بأنه غير مهموز فهم أيضا قد اختلفوا في أصل اشتقاقه على فريقين :

---

[1] ينظر الزاهر في بيان معاني كلمات الناس ج 2 / 129 ( تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن ، اعتنى به عز الدين البدوي النجار الطبعة الأولى 1412 هـ ـ 1992 م مؤسسة الرسالة )

[2] للتوسع في معرفة مذاهب العلماء حول هذه المسألة ينظر :مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر ابن المثنى ت ( 210 هـ ) 1 / 1 ـ 4 ( عارضه بأصوله الدكتور محمّد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ) ، التيسير في قواعد علم التفسير لمحمّد بن سليمان الكافيجي ت ( 879 هـ ) ص 159 ـ 160 ( دراسة وتحقيق ناصر بن محمّد المطرودي ، الطبعة الأولى 1410 هـ ـ 1990 م ؛ دار القلم بدمشق ـ دار الرفاعي بالرياض ) ،الكليات لأبي البقاء الكفوي ص 720 ـ 723 ، في علوم القراءات ـ مدخل ودراسة وتحقيق ـ للدكتور السيد رزق الطويل ص14 ـ 16 ( الطبعة الأولى 1405 هـ ـ 1985 م المكتبة الفيصلية مكة المكرمة ) ، مقدمات أساسية في علوم القرآن للجديع ص 9 علوم القرآن بين البرهان والإتقان لدكتور حازم سعيد حيدر ص 17 ـ 20 ( " دراسة مقارنة " 1420 هـ ، مكتبة دار الزمان ـ السعودية ـ ) ، الواضح في علوم القرآن للدكتور مصطفى ديب البغا ـ مجي الدين ديب مستو ص 13 ـ 14 ، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص 14 ـ 15 ( الطبعة السابعة ، مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ) ، الكلمات الأساسية في الحقل القرآني لعبد العال سالم مكرم ص 126 ـ 129 ( الطبعة الأولى 1417 هـ ـ 1996 م ) ، المدخل لدراسة القرآن الكريم ص 20 ( الطبعة الأولى 1424 هـ ـ 2003 م ، دار غراس ـ الكويت ـ )

الأول : أنه مشتق من " قرنت الشيء بالشيء " إذا ضممت أحدهما إلى الآخر " .
الثانـــي : وهــو قــول الفراء بأنه مشتق من " القرائن " لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضا ويشابه بعضها بعضا ، وهي قرائن أي أشباه ونظائر .

# الدراسات السابقة حول الإمام الشاطبي

لقد قامت عدة دراسات حول هذا الإمام أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- ***الجانب الأصولي***

- أدلة الأحكام الشرعية في أصول الشاطبي ، وهي رسالة " ماجستير " لمحمد عبد الله العجلان قدمت بكلية الشريعة ــ قسم أصول الفقه ــ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، سنة 1389 هـ( [1] ) .

- منهج البحث الأصولي عند الإمام الشاطبي ــ دراسة وتطبيقا ــ ، رسالة دكتوراه لفوزية عبد الله القثامي ، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ــ مكة المكرمة ــ ، سنة 1412 هـ ( [2] ) .

- القواعد الأصولية عند الشاطبي من خلال الموافقات للباحث الجيلالي المرينِّي ، أطروحة "ماجستير" من جامعة القرويين ودار الحديث الحسينية ــ الرباط ــ ( [3] ) .
- منهج الدرس الدلالي عند الإمام الشاطبي للباحث عبد الحميد العَلمي ، وهي أيضا أطروحة جامعية بالمملكة المغربية ( [4] ) .

---

[11] تراث المغاربة و الأندلسيين في آثار الدارسين بالمملكة العربية السعودية ( دراسة ببليوجرافية ) للدكتور حسن عبد الكريم الوراكلي مكتبة الملك عبد العزيز العامة الرياض 1422هـ ـ 2001 م ، ص 238 .

[2] وهي عبارة عن أطروحة دكتوراه تحت إشراف محمود عبد الدائم سنة 1411 هـ " قسم الفقه وأصوله "، ينظر المرجع السابق ص 253 ، دليل رسائل جامعة أم القرى إلى نهاية عام 1415هـ ص 57 ( إعداد عمادة شؤون المكتبات ، الطبعة الثانية 1417هـ ـ 1996 م ، منشورات وكالة الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي ) .

[3] هذا البحث مطبوع عن دار ابن القيم ـ المملكة العربية السعودية ـ و عن دار ابن عفان ،القاهرة ـ جمهورية مصر العربية ـ ؛عام 1425هـ ـ 2004 م .

[4] طبعت هذه الرسالة بأمر من الملك محمد السادس ـ ملك المغرب ـ بتقديم وزير الأوقاف الشيخ العلوي المدغري ، سنة 1422 هـ ـ 2001 م .

- الاجـــتهاد وضـــوابطه عند الإمام الشاطبي ــ دراسة مقارنة ــ للباحث عمار بن عبد الله بن ناصـــح علـــوان ، وهذا البحث عبارة عن رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة محمد الخامس ، كلية الآداب و العلـــوم الإنـــسانية ــ شـــعبة الدراسات الإسلامية ــ ، ونوقشت بتاريخ 01 / 07 / 2003 م ([1]) .

- الاجـــتهاد و التقليد عند الإمام الشاطبي ؛ رسالة ماجستير في قسم أصول الفقه لوليد بن فهد الـــودعان ــ إشـــراف د . عبد العزيز بن عبد الرحمان المشعل ، نوقشت بتاريخ 1 / 12 / 1421 هـــ ( [2] ) .

- **<u>الجانب المقاصدي</u>**

- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي للدارس أحمد الريسوني([3]) .
- الـــشاطبي و مقاصد الشريعة للباحث حمادي العبيدي ([4]) ، وهذا البحث هو عبارة عن ثلاثة أقـــسام : 1 ــ حياة الشاطبي وعصره ، 2 ــ نظرياته في علم المقاصد ، 3 ــ دراسة مذهبه

---

[1] صدر هذا البحث عن دار ابن حزم ببيروت ، الطبعة الأولى 1426هـ ـ 2005م

[2] حصلت على المعلومة من دليل رسائل كلية الشريعة بالرياض ، وهو عبارة عن قرص مضغوط ( cd )

[3] هذا البحث طبع عدة طبعات والتي اعتمدت عليها في هذه المذكرة هي طبعة ـ دار الكلمة ـ مصر

[4] صدرت الطبعة الأولى من البحث عن دار قتيبة بيروت ـ لبنان ـ سنة 1412 هـ ـ 1992 م

ينطبق مع محتواه ، فالأولى تسميته بعنوان " الإصلاح وأنواعه عند الشاطبي " ، أو" النواحي التجديدية عند الشاطبي " ، لأن مضمون الكتاب هو عبارة عن دراسة تاريخية تحليلية أكثر منها دراسة مقاصدية والله أعلم .

- قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي لعبد الرحمان زيد الكيلاني ، وهو أيضا أطروحة جامعية قدمت للجامعة الأردنية([1]) .
- فكر المقاصد عند الشاطبي من خلال الموافقات ، لعبد المنعم إدريس وهو بحث مقدم لنيل شهادة الكفاءة بتونس([2]) .
- الشاطبي ومنهجه في مقاصد الشريعة ، لبشير مهدي الكبيسي ،رسالة ماجستير بغداد ، الجمهورية العراقية([3]) .
- مقاصد الشريعة في كتاب الموافقات للشاطبي ، إعداد الحبيب عياد ،وهو لنيل الكفاءة في البحث بكلية الآداب سنة 1986م ــ 1987م ([4]) .
- الثابت والمتغير في فكر أبي إسحاق الشاطبي لمجدي محمد محمَّد عاشور ، ماجستير قدمت لكلية الآداب بجامعة عين شمس بالقاهرة ( [5] ) .

- ***<u>الجانب التحقيقي</u>***

- الاعتصام تحقيق ودراسة الأبواب الثلاثة الأولى لمحمد عبد الرحمان الشفير كلية الدعوة وأصول الدين ــ جامعة أم القرى ــ عام 1417هـ ([6] ) .
- الاعتصام تحقيق ودراسة من الجزء الرابع إلى الجزء السابع لحميد بن علي الفقيه سنة 1417هـ ، نفس الجامعة والكلية السابقة (7) .

---

[1] تراث المغاربة و الأندلسيين ص 232

[2] ينظر مقاصد الشريعة عند ابن تيمية للدكتور يوسف أحمد محمد البدوي ص95

[3] المرجع نفسه

[4] ينظر الدليل عند الظاهرية للدكتور نور الدين الخادمي ص 546

[5] صدرت عن دار البحوث للدراسات الإسلامية و إحياء التراث بدولة الإمارات العربية ـ حكومة دبي ـ

[6] تراث المغاربة و الأندلسيين ص 232

[7] المرجع نفسه ص 232

- الاعتصام تحقيق ودراسة أيضا من الجزء الثامن إلى نهاية الكتاب لهشام إسماعيل الصيني ، نفس الكلية و الجامعة ([1]) .
- أحاديث الاعتصام للشاطبي تحقيق و دراسة عمر سليمان المكحل كلية أصول الدين ــ قسم السنة وعلومها ــ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، "ماجستير" قدمت عام 1405 هـ ([2]) .
- الأدلة النحوية في " المقاصد الشافية " للشاطبي ، دكتوراه لعبد الرحمان بن مراد الطلحي ، كلية اللغة العربية ــ قسم الدراسات العليا ــ جامعة أم القرى([3]) .

## • الجانب التربوي و الندوات

- نظرية التربية عند الشاطبي ــ دراسة تحليلية للموافقات ــ ، "ماجستير " لجويبر ماطر الثبيتي كلية التربية أم القرى ([4]) .

- الفكر التربوي عند الشاطبي للباحث عزيز سلامي ، رسالة علمية قدمت للمعهد الوطني العالي لأصول الدين ــ الجزائر ــ ([5]) .

---

[1] المرجع نفسه ص 226 ، دليل رسائل جامعة أم القرى إلى نهاية عام 1415هـ ص169، وهو عبارة عن أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير عام 1413هـ بقسم العقيدة

[2] المرجع نفسه ص 208

[3] المرجع نفسه ص 257

[4] المرجع نفسه ص 313

[5] نوقشت هذه الرسالة في تاريخ 06 / 02 / 1994 وكانت تحت إشراف د : أحمد بن دانية ،ينظر مجلة الموافقات قسم الرسائل الجامعية ـ مجلة دورية أكاديمية ـ تصدر عن المعهد الوطني العالي لأصول الدين الجزائر العدد الرابع ـ السنة الرابعة ـ محرم 1416هـ ـ جوان 1995 م ( طبع بمطبعة زاعياش الأبيار ـ الجزائر ـ )

- أقيمت ندوة بالجزائر العاصمة تناول فيها عدة مواضيع أذكر منها بعض المداخلات ([1]):
  - عصر الإمام الشاطبي بقلم الدكتور أبو القاسم سعد الله .
  - أصالة الإمام الشاطبي بالمغرب جذريا وثقافيا للشيخ الفاضل عبد الرحمان الجيلالي .
  - موافقات أبي إسحاق الشاطبي واستمرارية تأثيرها في مؤلفات العصر الحديث للأستاذ محمد المنوني .
  - الجوانب التربوية عند الإمام الشاطبي للدكتور يوسف القرضاوي .
  - مشروعية الإيثار في الشريعة الإسلامية وضوابطه عند الشاطبي للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي .
  - نظرات في فقه الدعوة عند الشاطبي للأستاذ بالقاسم لونيس .
  - طرق إثبات المقاصد عند الشاطبي لعز الدين بن زغيبة .

❁❁❁❁

[1] ينظر مجلة الموافقات (العدد الأول ذو الحجة 1412 هـ - 1992 م )

# الفصل الأول

المبحث الأول : المولد و النشأة العلمية

المبحث الثاني :شيوخه

المبحث الثالث : تلاميذه

المبحث الرابع : آثاره العلمية

المبحث الخامس : مكانته وشعره

المبحث السادس : المصادر التي اعتمدها ووفاته

# المبحث الأول
# اسمه ومولده ونشأته العلمية

**اسمه ونسبه:** هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي([1]) الغرناطي([2]) الشهير بالشاطبي([3]) كنيته أبو إسحاق وهناك من يضيف له وصف الأندلسي([4]) فهاهو الشيخ الفاضل ــ عبد

---

[1] لخم قبيلة عربية ، أصلها من القحطانية من اليمن ، ومنهم كانت ملوك العرب في الجاهلية،وهم آل عمرو بن عذيّ بن نصر اللّخمي ، قال أبو منصور : ملوك لخم كانوا نزلوا الحيرة ، وهم آل المنذر، ومنهم من دخل بلاد الأندلس، ثم كان لبقاياهم ملك بإشبيلية من الأندلس ، وهي دولة ابن عباد ( لسان العرب ـ لخم ـ ج 5 / 489 ) ومن هنا يظهر لنا أن هذا الإمام هو عربي الأصل ، أو أن جذوره عربية .

[2] غرناطة ( Granada ) بفتح الأول و سكون الثاني ، ومعنى غرناطة رمّانة بلسان عجم الأندلس ، وهي أقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس، وأعظمها وأحسنها وأحصنها. ( معجم البلدان ج5 ـ 6 / 383 ) المجلد الثالث . وقال لسان الدين ابن الخطيب: يقال غرناطة ويقال إغرناطة وكلاهما أعجمي ( الإحاطة في أخبار غرناطة ج 1 / 13 )، وقال الشقندي: أما غر ناطة فإنها دمشق بلاد الأندلس، ومسرح الأبصار ومطمح الأنفس.وقيل فيها :

غرناطة مالها نظيرُ ما مصر ما الشام ما العراقّ؟

ما هي إلا العروس تجلى وتلك من جملة الصّداق

( نفح الطيب 1 / 148 ) ،و ينظر في وصفها أيضا نزهة المشتاق في اختراق الآفاق لأبي عبد الله الشريف الإدريسي ج 2/ 569( الطبعة الأولى 1409 هـ ـ 1989 م ، عالم الكتب ـ بيروت ـ ) ، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا و البرتغال لمحمّد عبد الله عنان ص 160 ـ 183 ( الطبعة الثانية 1417 هـ ـ 1997 م ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة .

[3] شاطبة :( Jativa ) بالطاء المهملة ،والباء الموحدة ، مدينة في شرقي الأندلس وشرقي قرطبة ، وهي مدينة كبيرة قديمة ،يضرب بها المثل في الحسن والمنعة و قد خرج منها خلق من الفضلاء ، ويُعمل الكاغد الجيِّد فيها ، ويحمل منها إلى سائر بلاد الأندلس ، ويجوز أن يقال : إن اشتقاقها من الشَطبة، وهي السعفة الخضراء الرطبة . وشطبت المرأة الجريدة شطبا إذا شققتها لتعمل حصيرًا ، والمرأة شاطبة ، وقال أبو بحر صفوان بن إدريس المرسي في وصفها : شاطبة الشرق شرُّ دار ليس لسكانها فلاحُ

الكسب من شأنهم ولكن أكثر مكسوبهم سُلاحُ

إن لهم في الكنيف حفظًا وهي باستاهم مُباح

( معجم البلدان ج 5/ 114ـ115) المجلد الثالث ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق لأبي عبد الله الإدريسي ج 2 / 556 ، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا و البرتغال لمحمّد عبد الله عنان ص 139 ـ 144

الـــرحمان الجيلالـــي ـــ قال: " .... إذا ما ذكرنا شاطبة فمعناه ذكر الأندلس وقطر الأندلس، أو نقول الإقليم الأندلسي ..." ( [1] ) .

**ولادته:** الملاحظ أنه لا يوجد ذكر لتاريخ ولادته أو مكانه ، وهذا في غالب المصادر التي ترجمت له ـــ رحمه الله ـــ ، فكان شأنه شأن الكثير من الرجالات في عصره ، ومن الجدير بالذكر أنـــه لم يعتن القدماء بضبط مواليد العلماء ، كاعتنائهم بوفياتهم ، فهاهو التنبكتي ([2]) يقول : " ...ولـــم أقف على مولده ـــ رحمه الله ـــ ...."( [3] ) مع أن كتابيه " نيل الابتهاج ، وكفاية المحتاج مما

---

[4] الأنـدلس: يقـال بـضم الـدال وفـتحها ، وضـم الـدال لـيس إلا وهي كلمة أعجمية لم يستعملها العرب في القديم ،و إنما عرفتها في الإسـلام وقـد جرى على الألسن أن تلزمها الألف واللام ، غير أن البعض يحذفونها ، وبخاصة في الشعر ، ومن ذلك : سألت القوم عن أنـس فقالوا بأندلس وأندلس بعيد ، وسميت كذلك نسبة إلى أندلس بن طوبال بن يافث وقيل أنها مشتقة من كلمة " واندلوس " الذي يطلـق علـى قبائل " الوندال " الجرمانية التي اجتاحت أوروبا في القرن الخامس الميلادي ، ومن أسمائها القديمة " أفيوسا " ومعناه بلاد الحيات ، وسماها الرومان بـ " هيسبانيا " ينظر ( معجم البلدان للحموي ج 1 / 209 ـ 211 ، الأندلس بقلم ج ـ س كولان ص 39 ، نـوادر الـشَّوارد لخير رمضان يوسف ص 351 ـ 352 ، ( الطبعة الأولى 1420هـ ـ 1999 م ، المكتب الإسلامي ـ دار ابن حزم ) .

[1] ينظـر مجلـة المـوافقات " العـدد الأول ـ ذو الحجة 1412هـ ـ جوان 1992م " ضمن ندوة أبي إسحاق الشاطبي المنعقدة بمسرح الهواء الطلق بالعاصمة الجزائرية أيام 6إلى 9 شوال 1411هـ الموافق ل 21 ـ 24 أفريل 1991م

[2] أحمـد بـن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد الصنهاجي المعروف ببابا ، الماسي السوداني من أهل تنبكت ( Tombouctou) في إفـريقية الغـربية ،فقيه عـالم مـن مواليـد لـيلة الأحد الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة 963هـ ـ 1556 م ، والمتوفى ضحوة الخمـيس السادس من شعبان سنة 1036هـ ـ 1627م ، خلف عدة تصانيف منها : " كفاية المحتاج لمعرفة ما ليس في الديباج " ، " التحديث والتأنيث " ، " النكت المستجادة في مساواة الفاعل للمبتدأ في شروط الإفادة " ، " متن الرب الجليل في مهمات تحرير الشيخ خلـيل" في فـروع المالكـية ، ينظر فتح الشَّكور في معرفة أعيان علماء التَّكرور لأبي عبد الله الطالب محمّد البرتلّي الولاتي ص 31 ـ 37 ،( تحقـيق محمّـد إبـراهيم الكتانـي ـ محمّـد حجّي ، الطبعة الأولى 1401هـ ـ 1981م ـ دار الغرب الإسلامي بيروت ـ ) ، الأعلام للزركلي ج 1 / 102 ـ 103 ، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002 م لكامل سلمان الجبوري ج 1 / 104 ( الطبعة الأولى 1424 هـ ـ 2003 م ، دار الكتب العلمية ـ لبنان ـ ) ، معجم المؤلفين لرضا كحالة ج 1 / 93 .

[3] نيل الابتهاج ( ج 1/ 37 )

ليس في الديباج " يعتبران من المصادر الأصلية في ترجمته ، وهذا طبعا بعد ترجمة تلميذه أبي عـــبد الله المجـــاري فـــي " برنامجه "( [1] ) الذي هو أقدم من ترجم له ، وسيأتي ذكره عند ذكر تلاميذه .

لكننا نجد أن بعض الباحثين المعاصرين( [2] ) اجتهد في معرفة تاريخ ولادته ، فقال:

".... ويمكنـــنا أن نقدر الفترة التي ولد فيها ، استنتاجا من تاريخ وفاة شيخه أبي جعفر أحمد بن الـــزيات الذي كان أسبق شيوخه وفاة، فقد كانت سنة ( 728 هـــ ) وهي السنة التي يكون فيها مترجمنا يافعا ، وذلك ما يجعلنا نرجح أن ولادته كانت قبيل سنة ( 720 هـــ ) ...."( [3] ) .

---

[1] طبع الكتاب عام ( 1982م ) عن دار الغرب الإسلامي ـبيروت ـ بتحقيق الدكتور أبو الأجفان ، ولم أظفر به مع الأسف.

[2] هو الأستاذ الدكتور " محمد أبو الأجفان" " أستاذ مساعد في الشريعة وأصول الدين، بكلية الزيتونة بتونس، وأستاذ الدراسات العليا الـشرعية بكلية جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة ـ سابقا ، وللأستاذ الفاضل اهتمام كبير بفكر الشاطبي فهو جامع فتاويه، ومحقق كتابه " الإفادات والإنشادات "

[3] ينظر فتاوى الشاطبي ص44( الطبعة الخامسة سنة 1421ه ـ2001م ، الصادرة عن مكتبة العبيكان ـ الرياض ـ )

ومـــن هذا الاجتهاد يتبين لنا خطأ ما وصل إليه ـــ بكر أبو زيد ـــ[1] الذي قال عن ولادته أنها كانت بعد وفاة شيخ الإسلام ابن تيمية . والمعلوم أن وفاة هذا الأخير هي سنة (728هـــ ) وهي نفس سنة وفاة شيخه المذكور سابقا . فقال :

"....الـــشاطبي، ثـــم الغرناطي مولدا نحو سنة (730هـــ )[2]، وفي نفس الموضع دائما قال: "...وأن ولادة هـــذا الإمـــام بعد وفاة شيخ الإسلام..."[3] ، إذا حصل هذا فمتى تتلمذ الشاطبي شيخه على أبي جعفر الزيات هذا ، وهو قد ولد بعد وفاته !!! .

## نشأته العلمية :

نـــشأ هذا الشيخ ـــ رحمه الله ـــ " بغرناطة، آخر الممالك الإسلامية التي قصدها العلماء ، من كل صوب وحدب ، في عصر بلغت فيه الحياة الفكرية رشدها وذروتها .

والملاحـــظ أن الشاطبي لم يخرج أو يرحل من غرناطة بل حتى إلى مكة المكرمة من أجل أداء مناســـك الحـــج أو العمـــرة ، وهنا يقول الباحث ـــ أحمد الريسوني ـــ "... وأما كونه نشأ بها وقـــضى فـــيها كلّ حياته ، فأمر لا يذكر غيره، فلا تذكر له أسفار ولا رحلات ، ولا يذكر هو أيـــضا شيئا من هذا القبيل ، بل حتى الرحلة المعتادة للعلماء ولغيرهم ـــ وهي رحلة الحج ـــ لا نجد لها ذكراً ! ..." [4] .

---

[1] عـضو هيئة كبار العلماء سابقا بالمملكة العربية السعودية ،وهو من تلاميذ الشيخ" محمد الأمين الشنقيطي "لازمه لفترة عشر سنين كاملة ،ودرس عليه بعض مذكرته في الأصول، وآداب البحث و المناظرة ، وهو الوحيد الذي درس على الـشيخ المذكـور سابقا علم الأنساب.من مؤلفاته "التعالم"، "حلية طالب العلم"، " الرقابة على التراث" وغيرها من المصنفات النافعة الماتعة إن شاء الله. (ينظر ترجمة محمد الأمين الشنقيطي بقلم عبد الرحمان السديس ص215 )

[2] ينظر مقدمة الموافقات 1 / د ( طبعة دار ابن القيم ـ دار ابن عفان، ط الأولى 1424هـ ـ 2003م )

[3] المصدر نفسه 1 / و

[4] ينظر نظرية المقاصد عند الشاطبي ص 80

أما عن **طلبه للعلم** : فلندع الشاطبي يخبرنا عن ذلك بنفسه، فهاهو يقول :

" ... لـــم أزل مـــنذ فُـــتق للفهم عقلي ، ووجه شطر العلم طلبي ، أنظر في عقلياته وشرعياته وأصوله وفروعه ، لم أقتصر منه على علم دون علم ، ولا أفردت عن أنواعه نوعاً دون آخر ، حـــسبما اقتـــضاه الـــزمان والإمكان ، وأعطته المنة المخلوقة في أصل فطرتي، بل خضت في لججـــه خوض المحسن للسباحة ، وأقدمت في ميادينه إقدام الجريء حتى كدت أتلف في بعض أعماقـــه، أو أنقطع في رفقتي التي بالأنس بها تجاسرت على ما قدر لي ، غائبا عن مقال القائل وعـــذل العـــاذل، ومعرضا عن صد الصاد ولوم اللائم إلى أن منَّ عليَ الرب الكريم الرؤوف الـــرحيم ، فـــشرح لي من معاني الشريعة ما لم يكن في حسابي وألقى في نفسي القاصرة ؛ أن كـــتاب الله وسنة نبيه لم يتركا في سبيل الهداية لقائل ما يقول ، ولا أبقيا لغيرهما مجالا يعتد به فيه ، وإن الدين قد كمل،....."( [1] ) .

فمن هذا النص الطويل ، الذي لم أنقله بكامله تتضح لنا بعض النقاط يمكن حصرها كالتالي :

- شغف الشيخ الشديد و المبكر في تلقيه للعلم ، والدليل عليه اعتكافه عليه منذ فترة الصبي.
- تدرجـــه فـــي أخذه للعلم ، وصبره على تحمل الصعاب حتى تمكن فيما بعد من سبر أغوار مقاصده ، وإدراك أسراره .
- النتـــيجة التي وصل إليها ـــ رحمه الله ـــ أن السبيل للخروج من الفتن والفرقة هو ضرورة التمـــسك بالكـــتاب والسنة ، وهذا كله تطبيقا لقوله ﷺ " تركت فيكم أمرين لن تضلُّوا ما تمسَّكتم بهما بعدي أبداُ كتاب الله وسنَّة نبيِّه " ( [2] ) .



[1] الاعتصام ص 16

[2] أ خرجه مالك في الموطأ بلاغا كتاب الجامع باب النهي عن القول بالقدر رقم ( 1606 ) ، و قال الحافظ ابن عبد البر معلقا عليه هذا أيضا محفوظ مشهور عن النبي ﷺ عند أهل العلم شهرة يكاد يستغني بها عن الإسناد ، ينظر التمهيد له ج 14 / 384 ،وفي نفس الموضع أخرجه ابن عبد البر بسنده إلى النبي ﷺ من طريقين مرة عن أبي هريرة ، والأخرى عن عمرو بن عوف ( تحقيق أسامة بن إبراهيم ، خرج أحاديثه حاتم بن أبو زيد ، الطبعة الأولى 1420هـ ـ 1999 م ، الناشر الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ) الموطأ برواياته الثمانية تحقيق سليم بن عيد الهلالي رقم ( 1773 ) ج 4 / 280 ـ 281 ( طبعة سنة 1424 هـ ـ 2003 م ، مكتبة الفرقان ـ دبي ـ ) ، وحكم محقق هذا الأخير على الحديث أنه صحيح لغيره

# المبحث الثاني

## ـ شيوخه ـ

ذكرنا سابقا أن الشيخ استفاد من أعلام كثيرين ، كانوا من خيرة المراكز العلمية ، ببلاد المغرب في عصره ، فكانوا لهم الأثر البالغ في تكوين مثل هاته الشخصية الفذة، التي تمكنت بفضل الله ورحمـــته للوصـــول إلـــى جانب كبير من فهم ما يسمى اليوم بفلسفة التشريع أو ما يعرف بعلم المقاصد، ولقد قسم الكثير من الذين ترجموا للشيخ شيوخه إلى قسمين اثنين :

❖ **شيوخه الغرناطيون:**

والمقصود بهذا العنوان أولئك الشيوخ المستقرون بغرناطة ، باعتبارهم من أهلها ، ومن هؤلاء نذكر :

- **أبو عبد الله محمد بن علي الفخار البيري** [1]: هو الأستاذ المحقق الإمام

العلامة النظار الفهامة ، أخذ عن أبي عبد الله الكماد وغيره ، وعنه لسان الدين ابن الخطيب و الإمام الشاطبي ، وأبو البركات ابن الحاج ، ومن لا يعد كثرة ، أثنى عليه كثيرا في نفح الطيب توفي رحمه الله سنة 754هـــ ـــ 1353 م .

يقـــول عـــنه تلميذه ابن الخطيب [2] : " ... الإمام المجمع على إمامته في فنّ العربية المفتوح عليه

---

[1] شجرة النور الزكية ج 1/ 329 لمخلوف الطبعة الأولى 1424هـ ـ 2003 م دار الكتب العلمية ـ لبنان ـ

[2] محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللّوشي الأصل ، الغرناطي الأندلسي ، أبو عبد الله ،ولد عام 713هـ ـ1313م، وزير مؤرخ أديب ، ومؤلفاته تقع في نحو ستين كتابا ، منها " الإحاطة" ، " الحلل الحوشية في ذكر الأخبار المراكشية " ، " اللمحة البدرية في الدولة النصرية " ،توفي سنة 776هـ ـ 1374م ،ترجم لنفسه في ديوان خاص به ؛ ينظر الإحاطة في أخبار غرناطة ج 4 / 373 ـ 554 ، ترجمته في الأعلام للزركلي 6 /235 ،معجم الأدباء لكامل سلمان الجبوري ج 5 / 413 ـ 415 ، المختار المصون من أعلام القرون ج 1 / 194 ـ 196( لمحمّد ابن حسن بن عقيل موسى ، الطبعة الأولى 1415 هـ ـ 1995 م ، دار الأندلس الخضراء ـ جدة ـ المملكة العربية السعودية )

من الله تعالى فيها حفظاً ، وإطلاعا واضطلاعا ونقلا وتوجيهاً لما لا مطمع فيه لسواه ..." ([1])
وكـــان من أحسن قراء الأندلس تلاوة وأداءً ، فلقد" قرأ عليه الشاطبي القراءات السبع في سبع خـــتمات وأكثر عليه في التفقه في العربية وغيرها "([2]) ، " ولازمه مترجمنا إلى أن مات "([3]) ، ولقد وصفه الشاطبي قائلا : " ...لما توفي شيخنا الأستاذ الكبير العلم الخطير أبو عبد الله محمد بن الفخار ، سألت الله عز وجل يرينه في النوم فيوصيني بوصية..."([4]) ، ولقد تركت وفاته أثرا كبيرا في نفسية الشاطبي فهاهو يقول : " ..... أوّاه على فقد السادة أمثاله .. "([5])
وهـــنا تنبيه أود الإشارة إليه يدور حول سنة وفاة ابن الفخار ، فذهب الباحث "حمادي العبيدي " إلـــي أن ســـنة وفاتـــه كانت في أواخر 756هـــ أو أوائل السنة الموالية ، مستندا في ذلك على أمرين ([6]) :

**<u>الأول</u>** : نص ذكره الشاطبي في "الإفادات و الإنشادات" أن شيخه ابن الفخار كان ينشده الشعر سنة 756 هـــ .

**<u>الثاني</u>** : أن الشاطبي ذكر في الكتاب السابق أنه في عام 757هـــ ، قام علماء غرناطة باحتفاء كبيـــر فـــرحا لمقدم المقري من تلمسان ، وحدد ذلك بأواخر ربيع الأول من سنة 757هـــ ، ثم ذكر أسماء أولئك الأعلام الذين حضرو مجلس الترحيب ذاك ، ولم يذكر من بينهم ابن الفخار ، فقال أن وفاته كانت خلال المدة الفاصلة بين رجب سنة 756هـــ وربيع الأول 757هـــ .

---

[1] نفح الطيب ج 5/ 355 للمقري الطبعة 1408 هـ ـ 1988م ، دار صادر ـ بيروت ـ تحقيق د : إحسان عباس

[2] نقل ذلك المجاري في برنامجه ينظر الموافقات ج 6 / 18 ، الإفادات و الإنشادات ص 22

[3] نيل الابتهاج ج 1 / 34

[4] الإفادات و الإنشادات ص 98

[5] المصدر نفسه

[6] الشاطبي و مقاصد الشريعة ص 66 ـ67 ( الطبعة الأولى 1412هـ ـ 1992 م ،دار ابن قتيبة بيروت ) ،إرشاد المقلدين عند اختلاف المجتهدين لباب ابن الشيخ سيدي الشنقيطي ت ( 1342 هـ ) ص 113 ، ( دراسة وتحقيق الطيّب بن عمر بن الحسين الجكني ، الطبعة الأولى 1418 هـ ـ 1997 م ، دار ابن حزم ـ بيروت ـ )

ومـــن هـــنا يتبـــين لنا أن هذه المسألة اجتهادية ، فيبقى الاحتمال فربما يكون خطأ مطبعي في الإفـــادات والإنشادات أو في المصادر الأخرى ، هذا مع العلم أننا لو رجعنا إلى قواعد الترجيح لـــرجحنا مـــا ذهـــب إليه المؤرخين الذين اهتموا أكثر بذكر تواريخ الوفيات فالتاريخ الأول هو الـــراجح ، والله أعلـــم ، وورد في شذرات الذهب لابن العماد : " أن وفاته هي يوم الاثنين 12 رجب عام 754هـــ " ([1]) .

• **أبو جعفر أحمد الشقوري** : "..الفقـــيه النحوي الفرضي الذي كان يدرس بغرناطة ( كتاب ســـيبويه) ، ( قوانين ابن أبي الربيع ) ،( تلخيص ابن البناء ) و ( ألفية ابن مالك ) و( فرائض التلقـــين ) ، ( المدونة الكبرى ) "([2]) ووصفه التنبكتي " .. بالإمام الجليل الرحلة الخطيب " ([3]) وقـــال الباحث ـــ عبد الرحمان آدم علي ـــ : "هو أبو جعفر أحمد ابن الشيخ الولي أبي البشر آدم الشقوم ، لم يذكر له سنة وفاة "([4]) .

• **أبو سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لب الثغلبي** ([5]) : وقـــيل بن ليث فقيه نحوي له معرفة بالأصـــليين خطـــيب بجامع غرناطة ، ومدرس به كما درس بالمدرسة النصيرية وألف نوازل حـــسنة ، وألغـــازاً نحـــوية، ووصف بالذكاء ، وسعة المعلومات وله نظم حسن ، وهو مفتي غرناطة .

---

[1] شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج 8/ 300 ـ 301 ، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط ، حققه وعلّق عليه محمود الأرناؤوط ، الطبعة الأولى 1413 هـ ـ 1992 م ، دار ابن كثير للطباعة والنشر،دمشق ـ بيروت ـ

[2] الإفادات و الإنشادات ص 21 ، إرشاد المقلدين عند اختلاف المجتهدين لابن الشيخ سيدي الشنقيطي ص 115

[3] نيل الإبتهاج ج 1 / 34

[4] الإمام الشاطبي عقيدته ومو قفه من البدع ص 55 ( الطبعة الأولى 1418 هـ ـ 1998م ،مكتبة الرشد الرياض السعودية )

[5] ينظر ترجمته في شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد ج8 / 483 ، الدِّيباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ص 316 ـ 319 ترجمة رقم ( 424 ) ؛ ( دراسة وتحقيق مأمون ابن محي الدين الجنّان ، الطبعة الأولى 1417 هـ ـ 1996 م، دار الكتب العلمية ـ بيروت ) ، شجرة النور الزكية ج 1 / 331 ـ 332 ، الإفادات و الإنشادات ص 93

قـــال عنه ابن الخطيب : "... من أهل الخير و الطهارة والذكاء و الديانة وحسن الخلق ، رأس بنفـــسه ، وبـــرز بمزية إدراكه وحفظه ، فأصبح حامل لواء التحصيل وعليه مدار الشورى ، وإلـــيه مـــرجع الفتوى لقيامه على الفقه ، وغزارة علمه وحفظه ، إلى المعرفة بالعربية واللغة ومعـــرفة التوثـــيق والقيام على القراءات ، والتبريز في التفسير ، والمشاركة في الأصليين و الفرائض والأدب .. " ([1]) .

وقـــال المقـــري عـــنه : " ... وقلَّ من لم يأخذ عنه في الأندلس في وقته "([2]) ، "وعن تاريخ مـــيلاده هو عام 710هـــ و توفي رحمه الله سنة 782 هـــ من شهر ذي الحجة "([3]) ، أي قبل ثماني سنوات من وفاة الشاطبي ، رحم الله الجميع .

قـــال التنبكتي : " قطب الدائرة ([4]) ، شيخ الشيوخ الجلة الإمام الشهير أبو سعيد بن لب "([5]) ومن مؤلفاته : ( شرح القصيدة اللغزية في المسائل النحوية )([6]) ، ( شرح جمل الزجاج ) ([7])

---

[1] نفح الطيب 5 ص 511

[2] المصدر نفسه 5 ص 513

[3] شجرة النور الزكية ج 1 / 331 ـ332

[4] إن في هـذه العبارة فيها نوع من المبالغة ، وهي من تلك التي يستعملها الصوفية فليتأمل ! ، لأن تعريف القطب يختلف من صاحب اختـصاص إلى آخـر ، ومعـناه عند أصحاب السلوك هؤلاء عن رجل واحد هو موضع نظر الله تعالى من العالم في كلّ زمان ويسمَّى بالغوث أيـضا ، وهـؤلاء يقولـون بـأن القطـب يترقـى إلى أن يـصل إلى درجـة التصرف في أمور العرش إلى الثرى والعياذ بالله ، وللمزيد حول هذا المـصطلح ينظـر موسـوعة كـشاف اصطلاحات الفنون و العلوم للتهانوي ج 2 / 1326 ـ 1330 ، التعريفات للشريف الجرجاني ص 185 ـ 186 ، معجم المناهي اللفظية لبكر بن عبدالله أبو زيد ص405 ؛ أما إن كان يقصد به سيِّد القوم " حسا ومعنى " فلا بأس به وهذا من استعمال الكلمة مجازا كما ورد ذكره في تاج العروس للزبيدي ج 4/ 57

[5] نيل الإبتهاج ج 1 / 34

[6] هـناك نـسخة مخطـوطة للكتاب بخزانة الشيخ حمو بابا موسى ت( 1376هـ ـ1957م) ، ينظر فهرس مخطوطات هذه الخزانة الـذي اطلعت عليه في مخبر المخطوطات بكلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية بجامعة وهران الجزائر ، وجاء هذا الفهرس أنه توفي سنة ( 783 هـ ـ 1381 م )

[7] لقـد قدم هذا التصنيف كأطروحة جامعية لنيل درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى " قسم اللغة و النحو" عام 1406 هـ ، تحت عـنوان " تقيـيد ابـن لب على بعض جمل أبي القاسم الزجاجي تحقيق ودراسة ؛ إعداد محمّد الزين زروق بإشراف يوسف عبد الرحمان الضبع ، ينظر دليل رسائل جامعة أم القرى إلى نهاية عام 1415هـ ص 199

شـــرح الجزء الخاص بعلم الصرف من كتاب " التسهيل" لابن مالك المعروف " بتسهيل الفوائد وتكمـــيل المقاصـــد في النحو ، ولقد أخذ عنه خلق كثير لا يعدون منهم : أبو زكريا السراج و المنثوري ، ومحمد بن عاصم وابنه أبو يحي بن عاصم ، ولسان الدين بن الخطيب ، وغيرهم قـــال الشاطبي في إفاداته([1]) : " سألني الشيخ الأستاذ الكبير الشهير أبو سعيد فرج بن قاسم بن لب التغلبي ــ أدام الله أيامه ــ عن قول ابن مالك في تسهيل الفوائد ..." .

وهنا أود أن أشير أن السبب في ذكر ترجمة هذا الأخير ، بمثل هاته الصفة المطولة نوعا ما هـــو أن بـــن لـــب هذا كانت له عدة مناظرات مع الشاطبي أذكر منها مسألة الدعاء بعد أدبار الـــصلاة ، حتى أن الأول ألف في ذلك رسالة ، ولكن هذا لم يمنع الشاطبي من أن يتأدب معه واصـــفا إيـــاه بـــتلك الصفات العالية ، داعيا له أن يطيل الله عمره . فمن هنا أُذكر نفسي أولا وإخواني ثانيا ، أن يتحلوا بهذه الأخلاق ضاربين بكل ما يعكِّر صفو الأنفس من دخن أو غيره .

- **أبو عبد الله محمد بن علي البلنسي الأوسي** : قال عنه ابن الخطيب : ".. كان حسن اللقاء عفـــيف النـــشأة ، مكـــبا علـــى العلم والاستفادة ، قائما على العربية والبيان ، ذاكرا لكثير من المسائل متقنا ، حسن الإلقاء و التقرير " ([2]) .

وقـــال عنه المنتوري : ".. الأستاذ النحوي الأعرف المتخلّق .." ([3]) ، وكان الشاطبي يصفه في شـــرحه على الألفية ([4]) : ".... وكان شيخنا أبو عبد الله البلنسي ــ رضي الله عنه ــ في هذا العلم عارفا بطرق أئمته المتأخرين عالما بمقاصدهم فيه ، وكان من طرق تعليمه بيان المقاصد

---

[1] الإفادات و الإنشادات ص 21

[2] ينظر الإمام الشاطبي وعقيدته ص56 ، أخذه الباحث من برنامج المجاري ، إرشاد المقلدين عند اختلاف المجتهدين لابن الشيخ سيدي الشنقيطي ص 115

[3] فتاوى الشاطبي ص48

[4] هو شرح الشاطبي على ألفية ابن مالك في النحو ، و سيأتي التعريف به ضمن مصنفاته

بحسب القارئ من الابتداء و الانتهاء ، مرشحا لفهمه مدربا له ، وموقظاً لفكره لاقتناص الجواب و إيراد السؤال ، مطرزاً مجلسه ، ينقل نكت شيوخه متأدبا معهم إذا ذكر أحد منهم طرب بذكراهم ، وأمتع بالثناء عليهم " ([1]) .

ومن مؤلفات هذا الشيخ كتاب في التفسير أسماه بـ : "صلة الجمع وعائذ التذييل " أو ما يعرف بـ : "مبهمات القرآن "، ويقول محقق ([2]) هذا الأخير أن الشاطبي هو راوي صلة الجمع وعائذ التذييل عن شيخه البلنسي ... " ([3]) ، توفي هذا الإمام رحمه الله سنة 782 هـ .

- **أبو عبد الله محمد بن أبي الحجاج يوسف بن عبد الله بن محمد اليحصبي :**

يعرف هذا الشيخ بـ " اللَّوشي "([4]) لأنه نشأ بلَوشَة ، وقرأ بها واشتهر بالأدب الجيد ، وأخذ عن أبي جعفر أحمد بن الزبير ، وأبي عبد الله محمد بن رشيد الفهري ، وأبي الحسن القيجاطي ، وأبي عبد الله محمد بن سلَمون الكناني ، ومن تلاميذه يحي السراج الذي ترجمة له في " فهرسته "،وذكر أن ولادته كانت سنة 692 هـ ،وأنه توفي بغرناطة "([5]) ،وذكر المجاري في برنامجه أن" الشاطبي إستجازه ، فأجازه إجازة عامة بشرطها " ([6]) ، وقال العبيدي : " ..أبي عبد الله اللوشي الذي كان شيخه في الأدب .. "([7]) ، والملاحظ أن الأستاذ أبو الأجفان قد ذكره

---

[1] مبهمات القرآن ج 1 / 30، (الطبعة الأولى 1411هـ ـ 1991 م ، دار الغرب الإسلامي )

[2] هو الدكتور حنيف بن حسن القاسمي

[5] مبهمات القرآن ج 1 / 31

[6] نسبة إلى لوشة ، بالفتح والسكون وشين معجمة وهي مدينة أندلسية تقع غربي غرناطة على بعد 55 كم ، سقطت بيد الإسبان عام 891 هـ ، وكانت مقر أسرة لسان الدين بن الخطيب الذي وصفها في كتابه " معيلر الإختيار "، وكان يطلق عليها وصف " فتيَّة غرناطة" ،وبينها وبين قرطبة عشرون فرسخا ، وتعرف اليوم بـ " Loja "، ينظر هذا الوصف في الإحاطة ج 1 / 229 ، معجم البلدان للحموي المجلد الرابع ج 7 / 184 ، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا و البرتغال لمحمّد عبد الله عنان ص 235 ـ 237

[5] الإفادات و الإنشادات ص21 ـ22 ، الفتاوى ص48

[6] فتاوى الشاطبي ص48

[7] الشاطبي ومقاصد الشريعة ص 84

فـــي "الإفادات و الإنشادات" ضمن شيوخه الغرناطيين ، وفي" الفتاوى" ذكره تحت الوفدين إلى غرناطة .

❖ **<u>شيوخه الوافدين إلى غرناطة</u>** : لقــد كانــت الحركة الفكرية بالأندلس ، تمتاز بالتطور و النضج في ميدان الإنتاج العلمي الرائع ، هذا ما أدى إلى قدوم عدة مشايخ إلى غرناطة وأغلب هــؤلاء قدمــوا من عدوة المغرب ، وهذا إما بنية الإقامة الدائمة فيها ، أو لتأدية بفض المهام الموكــولة لهــم مــن طرف بغض الأمراء ، أو لأمور تخصهم هم شخصيا ، وفي هذه الحالة الأخيــرة التي هي البقاء لمدة مؤقتة فقط ، يجب على الطالب النابغ والمجتهد الفطن أن ينتهز مثل هذه الظروف لينهم من العلوم بقدر ما يستطيع ، قبل عودة الشيخ إلى موطنه الأصلي ، أو يرحل مرة أخري إلى بلد غيره ، ومن الثلة التي أخذ عنها الشاطبي في هذه الحالة أذكر ما يلي :

- **أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقري** : ( [1] ) المعروف بالجد أو المقري الكبير ، القرشي المقري التلمساني ، أبو عبد الله ، باحث أديب قاضي من أكابر علماء المذهب المالكي في وقته وشــيخ لــسان الدين ابن الخطيب ، وعبد الرحمان بن خلدون ، ولد ونشأ بتلمسان وتعلم بها و بــتونس والغرب ورحل إلى المشرق وحج ، فأخذ عن علماء مصر ومكة و المدينة ودمشق ، وفي هذه الأخيرة التقى بصاحب شيخ الإسلام ووارث علمه ألا وهو ــ شمس الدين المعروف بــابن القــيم الجوزية ( [2] ) ، كما أنه استفاد من علماء بيت المقدس ، وعاد إلى بلده ، ثم دخل

---

[1] ينظـر شـذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد ج 8 / 332 ـ 335 ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم التلمساني ص 154 ــ 164 ( طبعة عام 1986م ، ديوان المطبوعات الجامعية ـ الجزائر ـ ) ، معجم أعلام الجزائر لعادل نويهض ص 312 ــ 313 ( الطبعة الثالثة سنة 1403 هــ ـ 1983 م ،مؤسسة نويهض الثقافية ،معجم المؤلفين لرضا كحالة ج 2 / 300 )

[2] هـو شمـس الـدين محمـد بـن أبـي بكـر بـن أيوب الزرعي ، إمام الجوزية وابن قيمها، ولد في سنة إحدى وتسعين وستمائة وسمع الحـديث، واشتغل بالعلم وبرع في علوم متعددة لا سيما علم التفسير والحديث والأصليين ،وله من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير ، وكـتب بخطـه الحـسن شـيئا كـثيرا: " إعـلام المـوقعين" ،" وبدائـع الفوائد" ،" وطريق السعادتين"، و"شرح منازل السائرين" ، "وجلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام"، وغيرها كثير ، مات في ثالث عشر شهر رجب سنة 751هـ ؛ وكانت جنازته حافلة =

الغـــرب وعبـــر إلى الأندلس ، وانتهت به الرحلة إلى غرناطة ، وعاد فانقطع للإقراء وخدمة العلـــم ، ولمـــا ولى أبو عنان المريني سنة 749هـــ واستتب أمره بعد وفاة أبيه752 هـــ ولاه قضاء الجماعة بفاس ، فاستقل بذلك أعظم الاستقلال ، وأنفذ الحق وألان الكلمة ، وآثر التسديد وحمـــل الكـــلَّ ، وخفـــض الجناح ، وبنى له أبو عنان " المدرسة المتوكلية " الشهيرة بالطالعة الكبـــرى ، ثم اعتزل القضاء ورحل إلى الأندلس في مهمة كلف بها ، توفي في فاس عام 759 هـــ ــ 1357 م ، ثم نقل رفاته بعد سنة إلى تلمسان مقر أسلافه ، وممن ترجم للشيخ ــ رحمه الله ــ ابـــن مـــرزوق الحفـــيد في كتاب أسماه " النّور البدري في التعريف بالفقيه المقري " ، وأيـــضا الونشريـــسي لـــه كتاب يذكر فيه سيره هذا القاضي ، ومن آثاره التي خلفها كتاب " القـــواعد " ([1]) اشـــتمل على ألف قاعدة و مائتي قاعدة ، ووصف أبو العباس الونشريسي هذا الكـــتاب بـــ " أنه كتاب غزير العلم كثير الفوائد لم يسبق إليه مثله بيد أنه يفتقر إلى عالم فتاح " ومـــنها أيضا " الحقائق والرقائق " في التصوف،قال عنه الونشريسي بأنه بديع لطيف الإشارة وهـــو كثيـــر في أيدي الناس بتلمسان، وله كتاب " اختصار المحصول " لم يتم ،و"شرح جمل الخونجـــي"، لـــم يـــتم أيضا ؛ وكتاب " على من طب لمن حب" مشتمل على فنون فيه أحاديث حكيمة ، وكتاب " المحاضرات"، ولقد كان الشاطبي " يحضر بالجامع الأعظم دروسه التي كان يلقـــيها بمحـــضر وجـــوه طلبة غرناطة وعلمائها ابتداء من ربيع الأنوار سنة 757هـــ وهو تـــاريخ قدومه الأندلس سفيرا للسلطان أبي عنان المريني "([2]) ، تفقه الشاطبي عليه وسمع منه جملـــة مـــن كتابه " تكميل التعقيب على صاحب التهذيب "، وبعض نظمه المسمى بـــ " لمحة العارض تكملة ألفية ابن الفارض " ، وأجازه بجميع ثلاثيات البخاري وبكتب أخرى في الحديث

---

= جدا ورئيت له منامات حسنة ، ينظر البداية والنهاية لابن كثير ج 14/ 234 ـ 235 ، الدرر الكامنة لابن حجر ترجمة رقم ( 3586 ) ج 4 / 21 ـ 23 ، شذرات الذهب لابن العماد ج 8 / 287 ـ 291 ، المختار المصون من أعلام القرون لابن عقيل موسى ج 1 / 184 ـ 186

[1] الكتاب مطبوع بتحقيق أحمد بن عبد الله بن حميد ،صدر عن معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ،مكة المكرمة ، وهو عبارة عن رسالة جامعية قدمت إلى جامعة أم القرى

[2] الإفادات والإنشادات ص 22

والفقــه والقراءات والعربية ، وحدثه بأسانيدها إلى مؤلفيها "[1] ، قال عنه ابن الخطيب " ... محــافظ علــى العمــل ، مثابر على الانقطاع ، حريص على العبادة ... قديم النِّعمة ، متصل الخيــريَّة، مكبٌّ على النظر والدرس والقراءة ... يقوم أتم القيام على العربية والفقه والتفسير ، ويحفــظ الحــديث، ويتهجــر بحفــظ التاريخ والأخبار والآداب ، ويشارك مشاركة فاضلة في الأصليين، والجدل و المنطق ... " [2] .

- **أبو القاسم محمد بن أحمد الشريف الحسني السبتي :** هو قاضي الجماعة ، وصفه التنبكتي " بالإمــام الــشريف رئيس العلوم اللسانية أبو القاسم السبتي ،شارح مقصورة حازم ..." [3] توفي (عــام 760 هــ ، أو 761 هــ ) وولد سنة 697 هــ، وقال ابن مخلوف ".. الإمام الحافظ المتبحــر الحامل لواء البلاغة وحلة التبريز و الفصاحة شيخ الدنيا ، جلالة وفضلا وعلما ووقاراً المــتقدم فــي نثره وترسلاته وشعره ، أخذ عن أبي الحسن الغافقي و ابن رشيد وانتفع به ..... وعــنه ابناه القاضي أبو المعالي و القاضي أبو العباس أحمد و لسان الدين ابن الخطيب ، و ابن الخطــيب القسنطيني وأبو إسحاق الشاطبي ، وابن زمرك وابن خلدون ... له تآليف بارعة منها" شــرح الخــزرجية "، وهــو أول مــن حل مشكلاتها ، وشرح مقصورة حازم سماها "الحجب المــستورة في محاسن المقصورة "، في مجلدين كبيرين فيه من الفوائد ما لا مزيد عليه ، و"تقييد جليل على التسهيل" ، و"تقييد على درر السمط في خبر السبط" ... " [4] .

---

[1] نقل ذلك المجاري في برنامجه ، ينظر الإفادات والإنشادات ص 22 ، الفتاوى ص49 ، إرشاد المقلدين عند اختلاف المجتهدين لابن الشيخ سيدي الشنقيطي ص 113

[2] الإحاطة في أخبار غرناطة ج 2 / 118 بتصرف

[3] نيل الإبتهاج ج 1 / 34

[4] شجرة النور الزكية ج 1 / 335 ، ورقم ترجمته 863

• **أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمساني :** ([1]) هــو محمــد بن أحمد بن علي بن يحي الإدريسي الحسني ، أبو عبد الله العلويني ، نسبة إلى قرية من أعمال تلمسان تسمى " بالعَلوين " من أعيان المالكية ، و كبار باحثيهم ، انتهت إليه إمامتهم بالمغرب ، نشأ بتلمسان وأخذ العلم عن مشيختها ، تضاربت الأقوال في تاريخ ولادته فهاهو ابن مريم" يذكر أنه ولد عام 710 هــ"([2]) ، وهــو الــذي رجحه أبو العباس الونشريسي بقوله هذا هو الصحيح في ولادته أنه عام عشرة ، وقــيل" ولــد ســنة716 هـــ ــ 1316م وهو قول أبو زكرياء السراج و المسيلي " واختاره السلطان أبو عنان لمجلسه العلمي ورحل به إلى فاس عام 753 هــ ، فتبرم الشيخ من الاغتراب فنكــبه الــسلطان و اعــتقله شهرا ، و أطلقه سنة 756 هــ وأقصاه ، ثم أعاده وقربه بعد فتح قــسنطينة ، ولقد نشأ عفيفا مكبا على الطلب شغوفا بالعلم ومن مؤلفاته " مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول "([3]) ، وشرح "جمل الخونجي في المنطق" ، كما أنه" فسر القرآن في خمس وعــشرين سنة أتى فيه بالعجب العجاب " ، و هذا التفسير هو في حكم المفقود الآن ، وله عدة" فتاوى في مسائل علمية مختلفة" ، وكتاب في "القضاء والقدر"، وآخر بعنوان " مثارات الغلط في الأدلــة "([4]) ، ووصــفه التنبكتــي بقوله " .. الإمام المحقق أعلم أهل وقته الشريف أبو عبد الله التلمساني "([5]) توفي الشيخ سنة 771هــ ــ 1370 م .

---

[1] ترجمته في البستان ص 164 ـ 184، معجم أعلام الجزائر ص 187 ـ 188 ، المفسرون الجزائريون ج 1 / 109ـ 123 لمختار أسكندر منشورات دحلب ، دون تاريخ الطبع ويوضح تاريخ الإيداع للنشر بسنة 1991 م ، معجم الأدباء لكامل سلمان الجبوري ج 5 / 121

[2] البستان في ذكر الأولياء ص 166، وابن مريم هو محمد بن محمد بن أحمد ، أبو عبد الله الشريف المليتي نسبا المديوني أصلا ، التلمساني منشأً ووفاة، مؤرخ من علماء تلمسان ، من كتبه " كشف اللبس و التعقيد عن عقيدة أهل التوحيد " ، " تعليق على رسالة خليل " في ضبطها و تفسير بعض ألفاظها ، توفي بعد سنة 1014هـ ـ 1605م ، الأعلام لزركلي ج7 / 61 ـ 62

[3] الكتاب نال به الباحث " محمد علي فركوس " درجة الدكتوراه من جامعة أصول الدين ـ خروبة ـ الجزائر العاصمة ، وطبع سنة 1420 هـ ـ 1999م ، عن دار تحصيل العلوم ـ الجزائر ـ ،ويحتوي على دراسة موسعة لحياة وعصر الشريف التلمساني.

[4] الكتاب مطبوع مع مفتاح الوصول ينظر ما ذكر سابقا حول طبعة هذا الأخير

[5] نيل الابتهاج ج 34/1

- **أبو علي منصور بن علي بن عبد الله الزواوي** : الأصولي ، النحوي ، وهو فقيه نظار ، ولد عام 710 هـ ، ببجاية ، وقضى بها طفولته وشبابه ، فأخذ عن شيوخها ، ثم نزل تلمسان ، فالأندلس قال لسان الدين ابن الخطيب :" ... قدم إلى الأندلس عام 753هـ ، فلقي رحبا ، وعرف قدره فتقدم مقرئا بالمدرسة تحت جراية نبيهة ، وحلَّق للناس متكلِّما على الفروع الفقهية والتفسير وتصدر للفتيا وحضر بالدار السلطانية مع مثله ، وجرَّبته وصحبته فبَلوتُ منه دينا ونَصفَة وحسن عِشرة ..."([1]) .

وقال عنه الشيخ يحي السراج في "فهرسته" : " شيخنا الشيخ الفقيه الأستاذ الجليل المقرئ المدرس الأصولي النحوي ، أبو علي منصور ، كان شيخا فاضلا فقيها نظارا معدودا في أهل الشورى له مشاركة في كثير من العلوم النقلية و العقلية ، و إطلاع و تقييد ونظر في الأصول و المنطق وعلم الكلام ، حريصا على الإفادة والاستفادة مثابرا على تعلم العلم و تعليمه" ([2]) ؛ وقال ابن مريم : " .. وعنه أخذ الإمام أبو إسحاق الشاطبي ، وكان حيا في حدود السبعين وسبعمائة ( 770هـ ) ، ووقع النقل عنه في معيار الونشريسي رحمه الله ... " ([3]) ، ومن العلوم التي إستفادها منه الشاطبي أنه " قرأ عليه مختصر أبي عمرو بن الحاجب المعروف بـ " منتهى السول والأمل في علمي الأصول و الجدل " من أول مبادئ اللغة إلى آخره بلفظه إلا يسيرا منه وكل ذلك قراءة تفقه ونظر ،وأجازه إجازة عامة بشرطها .." ([4]) ،ولقد نقل عنه الشاطبي في كتابه الإفادات و الإنشادات .

---

[1] الإحاطة في أخبار غرناطة ج 3 /248

[2] ينظر البستان في ذكر الأولياء ص293

[3] المصدر السابق ص 293 ـ 294

[4] ذكر ذلك المجاري ينظر " منهج الدرس الدلالي عند الإمام الشاطبي" لعبد الحميد العَلمي ص 40، و الإفادات و الإنشادات ص 23 ، إرشاد المقلدين عند اختلاف المجتهدين لابن الشيخ سيدي الشنقيطي ص 115

- **شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الخطيب التلمساني :**

المشهور بالجد ، وبالخطيب ، نشأ بتلمسان ومولده فيها آخر عام 710هـ ـ 1311 م وارتحل مع والده إلى المشرق سنة 718 هـ ، ولما جاوز أبوه الحرمين رجع هو إلى القاهرة ، فأقام بها وقرأ على برهان الدين الصفاقصي وأخيه ،وبرع في الطلب و الرواية ,و كان يجيد الخطين ، ثم رجع سنة ثلاث و ثلاثين إلى المغرب ولقي السلطان أبا الحسن محاصراً لتلمسان و قد شيَّد بالعباد مسجدا عظيما ، وكان عمه محمد بن مرزوق خطيبا به ، ولما توفي عمه تولى صاحب الترجمة خطابة ذلك المسجد ، وبعد مدة زمنية استعمله السلطان في رسالة إلى الأندلس ثم إلى ملك قشتالة في تقرير الصلح و إستنقاد ولده المأسور يوم طريف ، ومن مؤلفاته : شرح جليل على عمدة الأحكام و اسمه " تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام " ، في خمسة أسفار جمع فيها بين ابن دقيق العيد و الفاكهاني مع زوائد ، وشرحه النفيس على الشفاء للقاضي عياض ولم يكمل ، وشرحه على الأحكام الصغرى لعبد الحق الإشبيلي، وشرحه أيضا على ابن الحاجب الفرعي سماه بـ " إزالة الحاجب لفروع ابن الحاجب " قال ابن مريم " هل كمل أم لا ؟ "([1]) وزاد عادل نويهض : " المسند الصحيح الحسن من أخبار السلطان أبي الحسن " و"شرح البردة "([2]) ، " شرح على صحيح البخاري " .

وذكر المجاري أن الشاطبي ".. سمع عليه في مجالس بالمدرسة النصرية و بالجامع الأعظم كتابي " الجامع الصحيح " للإمام البخاري و موطأ الإمام مالك بن أنس برواية يحي بن يحي الليثي ، وذلك بقراءة الخطيب أبي عبد الله الحفار ، و أجازه الشيخ بهذين الكتابين ، وبجميع ما يحمل تلميذه الشاطبي إجازة عامة بشرطها .. "([3]) .

---

[1] البستان في ذكر الأولياء ص 184 ـ 190

[2] هي القصيدة المشهورة في مدح النبي عليه السلام لصاحبها البوصيري ، وقال نويهض أنه قد أختصر الشرح وطبع مختصرا مع ترجمته إلى الفرنسية ، وذكر له مؤلفات أخرى منها " الإمامة " و " ديوان خطب وقصائد" و " الأربعين المسندة في الخلافة و الخلفاء " " جنى الجنتين في فضل الليلتين " ينظر معجم أعلام الجزائر ص 289 ـ 290

[3] فتاوى الشاطبي ص 50 ـ51 ، الإفادات و الإنشادات ص 23 ـ 24 ، منهج الدرس الدلالي ص40 ، إرشاد المقلدين عند اختلاف المجتهدين لابن الشيخ سيدي الشنقيطي ص 114

وتوفي شمس الدين ابن مرزوق هذا سنة 781هـ ـ 1379 م بالقاهرة الذي كان ملازما بها للتدريس ومرشحا فيها لحل قضايا المالكية ، ودفن رحمه الله في مقبرة القرافة الصغرى .

- **أبو جعفر أحمد بن الحسن بن علي بن الزيات الكلاعي :** هو من أهل" بلش مالقة " ([1]) ،" ولد بها في حدود سنة 649 هـ ([2]) ، ودخل غرناطة مراراً عدة ؛ تشذُ عن الحصر ، أوجبتها الدواعي بطول عمره ، من طلب العلم وروايته ، وحاجة عامة ، واستدعاء سلطان ، وقدوم من سفارة ، كان الناس ينسالون عليه و يغشون منزله ، فيما أدركت ، كلما تبوّأ ضيافة السلطان ، تبركا به ، وأخذا عنه .."([3]) ، وقال ابن الخطيب نقلا من " عائد الصلة " : "... كان جليل القدر كثير العبادة عظيم الوقار حسن الخُلق ، مخفوض الجناح ، متألق البشر ، مبذول المؤانسة ، يذكر بالسلف الصالح في حسن شيمته ، وإعراب لفظه ، مزدحم المجلس ، كثير الإفادة ، صبورا على الغاشية ، واضح البيان ، فارس المنابر غير مدافع ..."([4]) ، وقال أبو الأجفان : " وللشاطبي شيخ في سلوك طريق الإرادة هو الولي الصالح أبو جعفر بن الزيات الذي كان يحب العلم و أهله "( [5] ) .

ولقد تحمَّل بن الزيات هذا العلم عن جملة من العلماء " منهم خاله الفقيه الحكيم أبو جعفر أحمد بن علي المذحِجي من أهل الحَمة(Alhama) من ذوي المعرفة بالقرآن و الفرائض ، ومنهم العارف الرَّباني أبو الحسن فضل بن فضيلة ، أخذ عنه طريقة الصوفية وعليه سَلك ، وبه تأدَّب،وبينهما في ذلك مخاطبات ، ومنهم أبو الفضل عياض بن محمد بن عياض بن موسى ،

---

[1] بلّش مالقة : بالإسبانية Velez Malaga ، هي بالفتح وتشديد اللام والشين المعجمة ،مدينة تقع شرقي مالقة وينسب إليها رجل من أهل الصلاح والعلم ،يدعى يوسف بن جُبارة البلّشي ، ينظر معجم البلدان ج1/ 381 ،الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا و البرتغال لمحمّد عبد الله عنان ص 254 ـ 255

[2] ينظر الإحاطة ، وفي بغية الوعاة للسيوطي أنه ولد سنة 650 هـ .

[3] الإحاطة في أخبار غرناطة ج 1/ 150

[4] المصدر السابق ج 1 /145

[5] الإفادات و الإنشادات ص 24

قرأ عليه ببلش وأجاز به ، ومنهم الأستاذ أبو جعفر بن الزبير ، والأستاذ النحوي أبو الحسن بن الصائغ ، و تصانيفه كثيرة منها المسماة بـــ : " المقام المخزون في الكلام الموزون " و القصيدة المـــسمَّاة بـــ " المشرف الأصفى في المأرب الأوفى " وكلاهما ينيف على الألف بيت ، و " أُس مبنى العلم وأُسُّ معنى الحلم " في مقدمة علم الكلام ، و " لذَّات السمع من القراءات السبع " نظما و " قاعدة البيان وضابطة اللسان" في العربية " ([1]) ، توفي رحمه الله ببلش سحر يوم الأربعاء السابع عشر من شوال عام 728 هـــ ، "وممن رثاه شيخنا ، نسيج وحده العالم الصالح الفاضل ، أبو الحسن بن الجيّاب بقصيدة ، أولها (الطويل) " ([2]) :

**علـــى مـــثله خـــضابة الدهـــر فاجـــع تفـــيضُ نفـــوسٌ لا تفـــيض المدامـــعُ**

وجاء في " الإفادات و الإنشادات " قوله الذي نقه لنا الشاطبي : " .. لو كان لي بيت مال لأنفقته على طلاب العلم ، فإنهم قدوتنا ، وسادتنا و بركتنا و أدلتنا " ([3]) .

- **أبو عبد الله العبدري** ([4]): هـــو محمد بن محمد بن بيبش العبدري الغرناطي النحوي قال عنه ابن الخطـــيب : " ...معلـــم مدرب ، مسهل مقرب ، له في صنعة العربية باعٌ مديد ، وفي هدفها سهم ســـديد ،ومـــشاركة فـــي الأدب ، لا يفارقها تسديد ..". قرأ على شيخ الجماعة ببلده أبي جعفر بن الزبيـــر ، وعلـــى الخطيب أبي عبد الله بن رُشيد ، والوزير أبي محمد بن المؤذن المرادي ، وقرأ بـــسبتة على الأستاذ أبي إسحاق الغافقي ، ولد بغرناطة في رجب هـــ ،توفي سنة 756 هـــ ، وقيل عام 753 هـــ ، ودفن بباب البيرة ، وتبعه من الناس ثناء حسن ﷺ " .
- **أبو بكر محمد بن عمر القرشي الهاشمي** : هو من أدباء الأندلس ، و المعروف بالقاضي .
- **أبو القاسم بن البناء** : الفقيه الراوية الرحلة ، وقد سلسل عليه الشاطبي بعض الأحاديث .

---

[1] الإحاطة في أخبار غرناطة ج 1 /146

[2] المصدر نفسه ج 1 /150

[3] الإفادات و الإنشادات ص 24

[4] الإحاطة في أخبار غرناطة ج 3 / 16 ـ 19 بتصرف، نفح الطيب للمقري الحفيد ج 6 /244

- **أبو محمد بن الناظر :** الفقيه الصوفي .
- **أبو جعفر بن رضوان بن عبد العظيم :** الفقيه الأديب الوزير ، قال العبيدي: " أنه من أصدقائه الأصفياء ، وهو من شعراء الأندلس، ومن ميزات شعره أنه كان تعليميا ، ينحو فيه منحى الموعظة و الاعتبار، كان وزيرا لأحد ملوك بني الأحمر "([1]) .

- **أبو الحجاج يوسف بن علي السدوري المكناسي:** يوسف بن علي بن عبد الواحد المكناسي ، قال ابن الخطيب ولد سنة701هـ ؛ وكان حسن الخط صدراً من صدور المشيخة ، وانتهت إليه المعرفة بتجليد الكتب في زمانه ومشيخته متعددة ([2]) .
- **أبو عبد الله الحفار :** محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن سعد الأنصاري الشهير بالحفار ، الغرناطي إمامها و محدثها ومفتيها ، الشيخ المعمر ملحق الأحفاد بالأجداد الفقيه الصالح العلامة ؛ أخذ عنه خلق كابن سراج والقاضي أبي بكر بن عاصم وغيره ، وبالإجازة الإمام الحفيد بن مرزوق له فتاوى نقل بعضها في المعيار ، و توفي عام 811هـ ــ 1408م ، عن سن عالية ، قرأ العربية على الأستاذ البياني و القرآن على أبي عبد الله بن العواد ، ولازم أبا سعيد بن لب وبه حل انتفاعه في الفنون ([3]) .

- **أبو عبد الله الشقوري :** هو محمد بن علي بن عبد الله اللَّخمي ، يكنى أبا عبد الله ، منسوبا إلى مدينة شَقُورة ([4]) ؛ وهي بالإسبانية : ( Segura de la sierra ) ، قال ابن الخطيب ؛ ومنها صاحبُنا طبيب الإمَارة حفظه الله ، وأخبرنا عن حاله قائلا : "هذا الرجل طِرف في الخبر و الأمانة ، فذٌ في حسن المشاركة ، نقيٌّ في حب الصالحين ، كثير الهوى إلى أهل

---

[1] ينظر الشاطبي ومقاصد الشريعة ص 90

[2] الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ج 5 / 241

[3] نيل الابتهاج ج 2 / 144 ـ 145 ، شجرة النور الزكية ج 1 / 355

[4] بفتح أوله، وبعد الواو الساكنة راء: مدينة بالأندلس شمالي مُرسيه وبها كانت دار إمارة همشك أحد ملوك تلك النواحي، ينظر معجم البلدان المجلد الثالث ص 355 ـ 356( طبعة عام 1397هـ ـ 1977 م ، دار صادر بيروت )

الـــتقوى ، حَـــذرٌ مـــن التفريط ، حريص على التعلق بجناب الله ....، متصدراً للعلاج في زمن المراهقة ، مُعمّا ، مخوَّلا في الصناعة ....واستدعاه السلطان لعلاج نفسه فاغتبط به ، وشدَّ اليدَ علـــيه ، وظهـــر له فضله ، قرأ على جدِّه للأب ، وعلى الحكيم الوزير خالد بن خالد من شيوخ غـــرناطة ، وعلى شيخنا الحكيم الفاضل أبي زكريا بن هُذيل ولازمه و انتفع به ، مولده في عام 727هـــــ ، ألف كتبا نبيلة منها " تحفة المتوصل في صنعة الطب " ، " الجهاد الأكبر " ، وآخر سماه " قمع اليهودي عن تعدي الحدود " ومن شعره " ([1]) :

**ســـــألت ركـــــاب العِـــز أيـــن ركابـــي فأبـــــدى عـــــنادًا ثـــــم رد جوابـــــي**
**ركابُـــك مـــع ســـيري يـــسير يـــسيره بغيـــر حلـــول مـــذ حللَـــتَ جنابـــي**

- **أبو العباس القباب :** هـــو الشيخ أحمد بن قاسم بن عبد الرحمان ، الإمام الحافظ العلامة الـــصالح الزاهد ، أحد محققي المتأخرين من الحفاظ المشهورين بالدين و الصلاح والتقدم في العلـــوم ، تولـــى الفتـــيا بفاس ،" أخذ عن الحافظ السطي و أبي الحسن بن فرحون المدني و القاضي الفشتالي ، وعنه الإمام الشاطبي و الصالح عمر الرجراجي وغيرهم ، توفي بعد780 هـــ"([2]) .
- **أحمد ابن الراوية أبو جعفر :** وصفه الشاطبي " بالأخ و السيد و الفقيه ودعا له قائلا ـــ أكرمه الله ـــ .. " ([3]) .

- **الشيخ البلوي :** خالـــد بـــن عيسى بن أحمد بن إبراهيم ، أبو البقاء ، وهو من أهل قَنتُورية وهـــي بالإسبانية( Cantoria) من حصون وادي المنصورة، الفقيه القاضي الرُّحلة ، الإمام العـــالم ، الكامـــل المتفنن الفاضل ، الكاتب ، أخذ عن والده وعن عبد العزيز القوري و أبي رشيد وعبد المؤمن الجاناتي ، وعبد الرحمان الجزولي ، ألف الرحلة المسماة : " تاج المفرق

[1] ينظر الإحاطة في أخبار غرناطة ج 3 / 136ـ 137 ، بتصرف
[2] ينظر نيل الابتهاج ج 1 / 100 ، شجرة النور الزكية ج 1 / 338 ، الديباج المذهب ص 105
[3] الإفادات و الإنشادات ص 164 ، إرشاد المقلدين عند اختلاف المجتهدين لابن الشيخ سيدي الشنقيطي ص 115

فـــي تحلية علماء المغرب و المشرق " ، مشحونة بالفرائد و الفوائد وفيها من الأدب و العلوم مـــا لا يتجاوزه الرائد ، قال ابن الخطيب: " .. هذا الرجل من أهل الفضل والسذاجة ، كثير التواضـــع ، منحطٌّ في ذمة التخلُّق ، نابه الهيئة ، حَسن الأخلاق ، جميلُ العشرة ، محبٌ في الأدب ، قضى ببلده وبغيره ، وحجّ ،... وهو الآن قاض ببعض الجهات الشرقية..." ، وكان بالحياة سنة755 هـــ"([1]) .

- **الشيخ النميري** : هـــو إبـــراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن أسد بن موسى بن إبـــراهيم بـــن عـــبد العزيز بن إسحاق بن أسد بن قاسم النميري ، من أهل غرناطة يكنى أبا إسحاق و يعرف بابن الحاج ، "ولد بغرناطة عام713هـــ"([2]) ، قال ابن الخطيب عن حاله : " .. هـــذا الـــرجل نـــشأ علـــى عفاف وطهارة ، امتهك صُبابة ترف من بقايا عافية ، أعانته على الاستظهار ببزَّة ، وصانته من التحرُّف بمهنة ، ثم شدَّ و بَهُرت خصاله ، فبطح بالشعر ، وبلغ الغايـــة في إجادة الخط .."([3]) ، من مصنفاته : " المساهلة و المسامحة في تبيين طرق المداعبة و الممازحة " ،" إيقاظ الكرام بأخبار المنام " ، " تنعيم الأشباح بمحادثة الأرواح " ، وكتاب في " الـــتورية " علـــى حـــروف المعجـــم أكثره مروي الأسانيد عن خلق كثير ، وجزء في تبيين المـــشكلات الحديثة الواصلة من زُبيد اليمن إلى مكة ، وجزء في بيان اسم الله الأعظم ، وهو كبير الفائدة ، ومن شعره في المقطوعات : (الكامل) ([4]) :

**طـــاب العُـــذيبُ بمـــاء ذكـــركِ وانثنـــى فكأنمـــا مـــاء العـــذيب ســـلافُهُ**
**واهتـــزَّ مـــن طـــرب للقـــياك الحِمـــى فكأنَّمـــا باناتُـــه أعطافـــه**

[1] الإحاطة في أخبار غرناطة ج 1 / 286، شجرة النور الزكية ج 1 / 329، الفتاوى ص54

[2] الإحاطة في أخبار غرناطة ج 1 / 190

[3] نفس المصدر السابق ج 1 / 178

[4] الإحاطة في أخبار غرناطة ج 1 / 180 ـ 181

- **أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الخولاني الشّريشي:**([1]) غرناطي أخبـــرنا ابـــن الخطـــيب عن حاله " ..من أهل التَّصاون و الحشمة و الوقار ، مُعرق في بيت الخيـــرية ، و العفَّة ، وكان والده صاحبنا رحمه الله ، آية في الدُّؤوب ، و الصَّبر على انتساخ الـــدّواوين العلمية و الأجزاء ..... ونشأ ابنه المذكور ظاهر النُّبل و الخصوصية ، مشاركا في فـــنون ؛ من عربية و أدب وحساب وفريضة ، ولد عام 718 هـــ ، ومن شعره في فضل العلم :( السريع )

***يا طالبَ العلمِ اجتهد إنه***

***خيرٌ من التَّالد و الطَّارف***

***فالعلمُ يذكوا قدرُ إنفاقه***

***والمالُ إن أنفقته تالفِ***

- **أبو الحسن علي الكحيلي :** كان شيخه في علم الجبر و المقابلة ، قال الشاطبي : " أفادني الـــشيخ الفقيه المتفنن أبو الحسن الكحيلي ـــ رحمه الله ـــ وجها من أوجه الضرب وملحه ، حين قراءتي عليه " ابن الياسمين " ([2]) ، وهذا الكتاب الأخير في فن الجبر الذي هو قسم من الرياضيات .والملاحظ من النص السابق أن هذا الإمام توفي في حياة الشاطبي .
- **أبو عبد الله محمد بن محمد بن بقي** ([3]) : هو محمد بن سعد بن أحمد بن لب بن حسن بن بقي و بهـــذا الأخيـــر يعرف ، قال في الإحاطة : " كان فاضلا حسن الخلق جميل العشرة كريم الـــصحيحة مـــبذول المـــشاركة ، معـــرف الذكاء و المعرفة ، محصل حصيف العقل حسن المـــشاركة في فنون من فقه و قراءة ونحو وغيرها ، حلَّق التعلم في الجوامع ، فانثال عليه

---

[1] نفس المصدر السابق ج 3 / 127 - 129

[2] الإفـادات و الإنـشادات ص 160، ويظهـر مـن بعض النقول ذكرها ابن مريم أنه لهذا الكتاب اهتمام كبير ، ويدل على ذلك أنه شـرحه علي بن محمد بن علي القرشي الشهير بالقلصادي( البستان ص 142، وشرح مقدماته أيضا الشيخ محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي ص246 و كذلك سعيد بن محمد بن محمد العقباني التلمساني له شرح على الكتاب ص 106 ، وغيرهم كثير ذكرهم

[3] ينظر نيل الابتهاج ج 2 / 133 ـ 134 ، كفاية المحتاج ج 2 /97

المتعلم و المستفيد لإجادة بيانه و حسن تفهمه "، ولد يوم الجمعة 12 صفر722 هـ ، وتوفي يوم الجمعة أيضا22 من ذي القعدة 791هـ ، أخذ عنه العلامة الراوية المنتوري وغيره .

قال الأستاذ أبو الأجفان حفظه الله : " وهؤلاء الأعلام من فقهاء الأندلس وأدبائها، استمد منهم إفادات مختلفة ، وروى عنهم شعراً مما نظموه أو رووه عن غيرهم ، وهم يضافون إلى الشيوخ السالفين"([1] ) .

و الأعلام التي كان يعنيها الأستاذ في كلامه السابق هي التي ذكرتها الأخيرة ، وعددها ستة عشر شيخا ، فلقد رجعت إلى مظان المصادر التي ترجمت لهم لمعرفة من هؤلاء الشيوخ الذين نهل منهم الشاطبي فرحم الله الجميع .وبعد هذه الجولة الطويلة نوعا ما مع ثلة حوت خيار الناس هم ورثة الأنبياء ، يمكن القول :

أن هؤلاء هم أبرز العلماء الربانيين الذي بفضل الله أولا ثم بفضلهم برزت شخصية كالإمام الشاطبي ، فبحرصهم على تعليم طلبة العلم شُحذت قريحة التلميذ ،وفُتق ذهنه مما جعله يصير بعد مدة زمن ،من العلماء المؤثرين في أبناء عصره بل يتجاوز ذلك التأثير إلى عصرنا الحاضر ، وهذا بسبب ما ابتكره من طريقة في التأليف ، وغوص في أسرار الشريعة الغراء ، وقوة وتمسكا بالأصليين ، محاربا للبدع ومقاوما للانحراف ، لا يخشى في ذلك كله لومةَ لائم ، بل همه الوحيد هو مرضاة الله عز وجل .



[1] الإفادات و الإنشادات

# المبحث الثالث
# ـ تلاميذه ـ

بعد أن حصل الشاطبي العلوم من أفواه الرجال و الشيوخ ، قال : " ... وكنت في أثناء ذلك قد دخلت في بعض خطط الجمهور من الخطابة و الإمامة ونحوها ..."([1]) .

وكما علم أن كل من دخل ميدان الخطابة لابد أن يعرفه الناس قصر الزمن أو بعد ، ومن هؤلاء مترجمنا فإنه قد تولى مهمة التدريس بالجامع الأعظم بغرناطة ، هذا ما جعل الناس يتوافدون لتتلمذ على يديه ، ويكبّون على الأخذ عنه ، ولقد نقلت لنا كتب التراجم بعض منهم ؛ وهم كالآتي :

- **أبو يحي بن عاصم** : هو محمد بن محمد بن محمد بن محمد ، مكرراً أربع مرات ابن عاصم يكنى أبا يحي الشهيد الأندلسي الغرناطي ، الأستاذ العالم الراسخ الشهيد ؛ قال ابن الأزرق : " .. هو الشيخ العلامة الصالح السيد صاحب الإمام أبي إسحاق الشاطبي ، ووارث طريقته ، أخذ عنه شيخنا أبو إسحاق بن فتوح ، وحكى عنه أنه إذا سئل عن طالب لم يقرأ عليه لا يشهد فيه بشيء وإن كان قد ظهر بالاشتغال على غيره إطراحا لاعتبار ما لم يعلمه عيانا ، قال ابن أخيه : يحوط بصلب العلم عن إتباع الرخص ، ويغني بواضح السنة عن البدع ويطلع من كنه التصرفات الاجتهادية عن الغاية إلى القيام على الأصليين قياما سلب به الفخر الإمامة .... ، ومن تصانيفه "جزء كبير في الانتصار لشيخه الإمام الشاطبي " والرد على شيخه الإمام أبي سعيد بن لب ، في الدعاء بعد الصلاة في غاية النبل و الجودة ؛ توفي في

[1] ينظر الاعتصام ج 1 / 17 ، ( تحقيق سيِّد إبراهيم ، طبعة عام 1424 هـ ـ 2003م دار الحديث القاهرة ) ، ج 1 / 15 تحقيق مشهور

ســـاحة المعركة في صدر محرم من عام 813 هــ ([1]) . ونقل لنا الأستاذ محمد المنوني : " أن أبو يحي ابن عاصم قد استنسخ الموافقات بخطه ، وقرأها على مؤلفها أربع مرات "([2]) .

- **القاضي أبو بكر الأندلسي الغرناطي** ([3]) : هو أخو أبا يحي بن عاصم الذي ترجمنا له آنفا ، يعـــرف بقاضـــي الجماعة ، العلامة الرئيس ، يقوم أتم القيام على النحو على طريقة متأخري النحاة جمعا بين القياس و السماع ، وتوجيها لأقوال البصرية ، واستحضارا للشواهد الشعرية ؛ واستظهار اللغات و الأغربة ، واستبصارا في مذاهب المعربة ، محليا أجياد تلك الأعاريب من علمـــي البديع و البيان بجواهر.... وتضلع بالقراءات أكمل اضطلاع مع تحقيق و إطلاع فيقنع ابـــن الـــباذش ([4]) من إقناعه ، ويشرح لابن شريح ما أشكل من أوضاعه ، ويقصي الداني عن رتبـــته المختـــصة ، ويجـــوز أوزان حرز الأماني ، صدر المنصة ، ومن شيوخه إمام الأداء الأستاذ أبو عبد الله القيجاطي ، وناصر السنة الشاطبي وقاضي الجماعة أبو عبد الله بن علاق و مفتي الحضرة و قطب الجملة الأستاذ الشهير أبو سعيد بن لب ، وخالاه قاضي الجماعة أبو بكـــر ورئـــيس علوم اللسان أبو محمد عبد الله ابنا أبي القاسم ابن جزي ، والشريف أبو محمد عبد الله بن الشريف العلم التلمساني ، والقاضي الرحلة أبو إسحاق ابن الحاج ، ومن نظمه :

---

[1] نيل الابتهاج ج 2 / 152 - 153 ، كفاية المحتاج لتنبكتي ج 2 / 121 - 122

[2] مجلة الموافقات ص 121 ( المنوني أستاذ الآداب بكلية الرباط ـ المغرب ـ مقال له بعنوان " موافقات أبي إسحاق و استمرارية تأثيرها في مؤلفات العصر الحديث " ،نقل ذلك من فهرس مخطوطات خزانة القرويين )

[3] ينظر كفاية المحتاج ج 2 / 130 ـ 131، توشيح الديباج وحلية الابتهاج ص 108 ، الأعلام للزركلي ج 7 / 45 ، وفي هذا المرجع الأخير قال: " أنه كان يجلِّد الكتب في صباه ...."، الشاطبي ومقاصد الشريعة للعبيدي ص 93

[4] ابن الباذش : هو أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري من أهل غرناطة ، وأصله من جيان ولد عام 491 هـ ، وتوفي عام 540 هــ ، وقال ابن الخطيب عن كتاب الإقناع في القراءات لم يؤلف في بابه مثله ، وله كتاب آخر في القراءات أسماه " الطرق المتداولة " أتقنه كلّ الإتقان .( ينظر الإحاطة في أخبار غرناطة ج 1 / 76ـ 77) .

" رجـــز تحفة الحكام في نكت العقود و الأحكام "([1]) المعروف بالعاصمية ، وقد فرغ من نظمها فـــي رمـــضان سنة 825هـــ ، " مَهيع الأصول " ، في أصول الفقه ، والرجز الصغير سماه " مرتقـــى الأصـــول إلى الضروري من علم الأصول "، " نيل المنى في اختصار الموافقات " ، " وقـــصيدة فـــي إيضاح المعاني في قراءة الداني " ، وقصيدة أخرى " الأمل المرقوب في قراءة يعقوب " وكتاب " الحدائق" في أغراض شتى من الأدب و الحكايات ،وألف في الفرائض كتابين هما "إيضاح الغوامض في علم الفرائض " ، " الكنز المفاوض في علم الفرائض " توفي رحمه الله بعـــد العـــصر يوم الخميس 11 شوال عام829 هـــ ، وحاء في كفاية المحتاج : أنه ولد يوم الخميس 12 جمادى الأولى سنة760 هـــ .

- **أحمد القصار الأندلسي الغرناطي** : كنيته أبو جعفر ، أخذ عن الإمام أبي إسحاق الشاطبي ، قـــال ابن الأزرق : " كان أستاذا محققا ، أخذ عنه شيخنا العلامة إبراهيم بن فتوح ، وحدثني أن الإمـــام أبا إسحاق الشاطبي كان يطالعه ببعض المسائل حين تصنيفه الموافقات ، ويباحثه فيها ، وبعـــد ذلـــك يضعها في الكتاب عل عادة الفضلاء ذوي الإنصاف " ([2]) ، يتأمل هنا مدى تواضع الشاطبي فكأنه رحمه الله يريد أن يتعلم ويستفيد من ملاحظات تلميذه المذكور .

- **محمد أبو عبد الله البياني**([3]): الأســـتاذ الأندلسي الغرناطي ، أخذ عن الإمام أبي إسحاق الشاطبي وعنه القاضي الوزير أبو يحي بن عاصم ، ونقل عنه في شرح التحفة .

- **أبو عبد الله المجاري** : محمد بن محمد بن علي بن عبد الواحد الأندلسي ، ذكره ضمن الشيوخ الـــذين أخذ عنهم في غرناطة قبل رحلته المشرقية وقال : " عرضت عليه " ألفية ابن مالك " عن

---

[ 1] هـذا الـنظم مطـبوع مع شرح أبي الحسن علي بن عبد السلام التسولي ت 1258هـ ،الموسوم "بالبهجة في شرح التحفة"، وشرح الإمـام أبـي عبد الله محمد بن محمد التاودي ت 1209 هـ المعرف بـ " حُلى المعاصم لفكر ابن عاصم " ، دار الكتب العلمية لبنان ، الطبعة الأولى 1418 هـ ـ 1998 م في مجلدين .

[2] ينظر كفاية المحتاج ج 1 / 50 ، نيل الابتهاج ج 1 / 114

[3] نيل الابتهاج ج 2 / 205

ظهـــر قلـــب ، وحدثني بها عن شيخه الإمام العلامة أبي عبد الله البيري عن الإمام النحوي أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي السبتي عن الشيخ إمام النحاة أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الحلبي المعـــروف بابن النحاس عن مؤلفها أبي عبد الله بن مالك ، وأجاز لي عامة ، وذكر أنه أخذ عنه أيـــضا " كتاب سيبويه " ، " مختصر ابن الحاجب " الأصولي ، " وموطأ الإمام مالك " مع سرد أســـانيده إلى مؤلفيها " ومن آثاره " برنامجه " الذي ذكر فيه شيوخه ([1]) توفي عام 862هـــ .

والملاحظ في النص السابق أمرين : الأول مكانة الشاطبي في فن العربية وخاصة النحو ، الثاني : اهتمامه رحمه الله بذكر الأسانيد متبعا في ذلك علماء الحديث .

- **علي بن محمد بن سمعت الأندلسي الغرناطي :** هو العلامة " المحقق الإمام الفقيه النحوي الجليل الـــبارع صـــاحب اليد الطولى في العلوم مع تحقيق يانع ، أخذ عنه جماعة كالقاضي الإمام أبي يحي بن أبي بكر بن عاصم ونقل عنه في مواضع من شرحه لمنظومة والده في الأحكام والشيخ أبي عبد الله الراعي ، وذكر عنه أنه كان يقول شيئان لا يصحان توبة الزمخشري من الاعتزال وإســـلام إبـــراهيم بن سهل الإسرائيلي ، قال ابن عاصم : " وله مسائل و إشكلات شتى وجهها لإفـــريقية فأجابـــه عـــنها الأمير أبو عبد الله محمد الحسين الحفصي "([2]) ، قال أبو الأجفان : " ونـــستفيد مـــن سند أورده الكتاني أن أبا الحسن علي بن سمعت يروي عن الشاطبي الذي أجازه إجازة عامة "([3]) .

---

[1] ينظر الموافقات ج 6 / 25 (ط دار ابن القيم ـ دار بن عفان)، الثابت و المتغير ص 68 ـ 69 نقلا ذلك من برنامجه وعن هذا الأخير قال الدكتور هاني صبحي العمد : " بأنه يكتسب أكثر من أهمية واحدة ، فهو البرنامج الوحيد الذي وصلنا بعد أن آلت إليه أحوال البلاد والعباد في الأندلس ، أبان القرن التاسع إلى ما آلت إليه من إنهيار شامل لكل مناحي الحياة ...." ،ينظر كتب البرامج والفهارس الأندلسية دراسة وتحليل ص 149 ؛ ووصفه من ص 149ـ 157 ، ( الطبعة الأولى 1993 ، نشر بدعم من الجامعة الأردنية ـ المركز التقني للخدمات المطبعية )

[2] نيل الابتهاج ج 374/1

[3] الإفادات و الإنشادات ص 27

- **أبو عبد الله محمد بن علي بن علاق** ([1]): هو قاضي الجماعة بغرناطة ، أخذ عن شيخ الشيوخ ابن لب و الإمام المقري و الخطيب ابن مرزوق ، و أخذ عنه جماعة كالمنثوري و القاضي ابن سراج ،و القاضي أبي بكر بن عاصم، ونقل أبو الأجفان: أنه قرأ أصول الدين على الإمام الشاطبي ، حلاه أبو عبد الله المجاري بـ " الشيخ الفقيه قاضي الجماعة وخطيب الحضرة و حافظ المذهب " ، له شرح على ابن الحاجب الفرعي في عدة أسفار ، توفي عام 806 هـ ـ 1403 م ، من يوم الخميس2 شعبان ، ودفن بمقبرة الفخارين من غرناطة .

والآن بعد هذا العرض لتلاميذ الشاطبي نصل إلى أن الشيخ رحمه الله تولى تدريس عدة علوم منها الفقه ، الأصول ، الحديث ،النحو، بل حتى القراءات ذكر ذلك كله تلميذه المجاري وهذا بالجامع الأعظم بغرناطة ، ونقل لنا العبيدي من برنامج تلميذه المذكور" أنه كان يعتمد في درس القراءات على كتاب التيسير لأبي عمرو الداني المقرئ و المفسر "([2]) ، وقال أيضا : " و الواقع أن تلاميذ الشاطبي لم يقتصروا على أن يتجهوا اتجاهه في العلوم الشرعية ، بل حملوا آراءه في تجديد الدين و إصلاح المجتمع الإسلامي ، ونشروا تلك الآراء في ربوع الأندلس ، ونالهم من العسف و الظلم ما ناله ، فقد آمنوا برسالة أستاذهم ، ورأوا أن الدين أفسدته البدع و التقليد والعكوف على حفظ المختصرات ، فيأت أشكالا فارغة لا تحي ضميرا ، ولا تنهض بعقل ، وأن المجتمع دب فيه الفساد ، والضعف نتيجة لانحلال السلطة ، والصراع على الحكم ، وغيبة الدين الصحيح " ([3]) ، فبالفعل أن الشاطبي قد خلف من بعده أولادا ، وإن لم يكونوا من صلبه ورثوا طريقته ونقلوا لنا علمه و أفكاره فجزاهم عنا كل خير إن شاء الله ، وكأنهم منتهجين في كل ذلك قول النبي ﷺ " يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف

---

[1] نيل الابتهاج ج 2 / 144 ، شجرة النور الزكية ج 1/ 355، فتاوى قاضي الجماعة لأبي القاسم بن سراج الأندلسي المتوفى عام 848 هـ ، ص24 ـ 25 ،( تحقيق الدكتور محمد أبو الأجفان ، نشر المجمع الثقافي أبو ظبي 1420 هـ ـ 2000م ) ، وهنا تنبيه أود الإشارة إليه بأني لم أجد أحد من صرح بتلمذته على الشاطبي إلا في هذا الموضع الأخير فقط .

[2] الشاطبي و مقاصد الشريعة ص 92

[3] المجددون في الإسلام للصعيدي

الغالـــين ، و انتحال المبطلين ، و تأويل الجاهلين " ([1]) ، وبصورة عامة يمكن أن نلحظ ملاحظة الـــباحث كمـــال راشد وهو يصف لنا علاقة الشاطبي مع تلاميذه ، فقال : " ولاشك أن الدارس المـــتفحص لحـــياة الشاطبي سوف يلاحظ تميز علاقته مع تلاميذه بميزتين اثنين : أولاهما أن هـــؤلاء التلامـــيذ لم يكتفوا بأن يأخذوا عنه من علوم شرعية فقط ، وإنما أضافوا إلى ذلك حمل رســـالته المـــتعلقة بالتجديد و الإصلاح ، حيث آمنوا بها ، ثم نقلوها إلى ما حلوا به من نواحي الأنـــدلس و بلدانها ، و الثانية : هي أن صلته بهؤلاء التلاميذ لم تنقطع بعد مغادرتهم غرناطة ، وإنمـــا استمرت عبر الرسائل التي كانت تتضمن إجاباته عن تساؤلاتهم ، وتوجيهاته لهم بنصرة الحق ، ومحاربة المنكر ، والصبر على ما يلاقونه في سبيل ذلك من شدائد ومحن " ([2]) .



[1] أخـرجه ابن عبد البر في التمهيد باب ـ بيان التدليس ومن يقبل نقله ويقبل مرسله وتدليسه ومن لا يقبل ذلك ـ بسنده عن إبراهيم بن عبد الرحمان العذري ، وعن خلف بن أحمد إلى أن يصل إلى الصحابيان عبد الله بن عمر وأبي هريرة ،وعن أبي أمامة ، ينظر " فتح المالك بتبويب التمهيد لابن عبد البر على موطأ الإمام مالك" ج 1 / 63،ترتيب وتحقيق الأستاذ الدكتور مصطفى صميدة ، الطبعة الأولى 1418هـ ـ 1998 م دار الكتب العلمية ،كشف الأستار عن زوائد البزَّار للهيثمي ، كتاب العلم ـ باب فضل العالم والمتعلم ـ ، رقم ( 143 ) ج 1 / 86 ، وكـذلك هو مروي عن جمع من الصحابة كعلي و معاذ ، وأسامة ابن زيد ﷺ ، وبألفاظ أخرى مشابهة عن عبد الله ابن مسعود ، وأبي أمامة الباهلي ، ينظر مفتاح دار السعادة لابن القيم ص 228 ـ 229 ، طبعة عام 1424هـ ـ 2003م ، دار ابـن حـزم ، الحـافظ ابن كثير في جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن رقم ( 6 ) ، مسند إبراهيم بن عبد الرحمان العذري ج 1 / 26 ـ 27، ( وثق أصوله وخرَّج حديثه وعلَّق عليه الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي ، 1415 هـ ـ 1994 م ، دار الفكر ـ بيروت ـ) ، وقال الألباني مرسل كما في تحقيقه لمشكاة المصابيح للخطيب التبريزي حديث رقم 284 ، كتاب العلم ج82/1 ـ83، ( الطبعة الثانية 1399هـ ـ 1979 م ، المكتب الإسلامي ـبيروت ـ )

[2] ينظـر مقال : أهم وسائل الإمام الشاطبي في التجديد و الإصلاح ، مجلة المعيار ص 223 ( العدد الثاني ، ربيع الأول 1423هـ ـ 2002 م الصادرة عن كلية أصول الدين والشريعة بجامعة الأمير عبد القادر قسنطينة ـ الجزائر ـ )

# المبحث الرابع
## ـ آثاره العلمية ـ

ترك لنا الشاطبي عدد من المؤلفات ، إلا أنها قليلة مقارنة مع بعض العلماء الآخرين الذين كانوا في عصره أو قبله ؛ من أمثال هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني المتوفى سنة728هـ ، أو تلميذه شمس الدين ابن القيم الجوزية المتوفى عام 751 هـ ، ولكن ولله الحمد فتلك المؤلفات مع قلتها فقد احتوت على علم غزير ، لو أنفق الإنسان عمره للعلم بما فيها والعمل به لكفته ، ويمكن القول عن تلك المصنفات :

**قليل كثير يغني خير من كثير لايغني**

والآن سنستعرض تلك الجواهر والدرر الّتي تركها لنا الإمام ونبدأ بأولها وهو :

- **الموافقات :** وكان قد أسماه صاحبه بـ " التعريف بأسرار التكليف " إلا أنه عذل عن تلك السيماء ، لرؤيا رآها أحد شيوخه ، فهاهو رحمه الله يقول : " .... ثم انتقلت عن هذه السيماء لسند غريب ، يقضي العجب منه الفطنُ ، الأريب ، وحاصله أنِّي لقيت يوما بعض الشيوخ الذين أحللتم منّي محل الإفادة ، وجعلت مجالسهم العلمية محطاً للرّحل ومُناخا للوفادة ....فقال لي : رأيتك البارحة في النوم ، وفي يدك كتابٌ ألّفتَه فسألتك عنه ، فأخبرتني أنه كتاب الموافقات ، قال فكنتُ أسألك عن معنى هذه التسمية الظريفة ، فتخبرني أنك وفَّقت به بين مذهبي ابن القاسم وأبي حنيفة ، فقلت له : أصبتم الغرض بسهم من الرؤيا الصالحة مصيب ، وأخذتم من المبشِّرات النبوية بجزء صالح ونصيب ... "([1]) ، وهنا تنبيه و خطأ وقع فيه رضا كحالة : " حيث أنه جعل أسرار التعريف بأصول التكليف ، كتاب مستقل عن الموافقات "([2]) .

---

[1] الموافقات ج 1 / 17 دراز ، ج 1 / 10 ـ 11مشهور

[2] ينظر معجم المؤلفين ج1 /77 ( الطبعة الأولى 1414هـ ـ 1994م ، مؤسسة الرسالة )

▫ **<u>الغرض من تأليفه</u>** كما يشير هو : " .... ليكون أيها الخلُّ الصفيُّ ، و الصديق الوفيُّ ، هذا الكتاب عونا لك في سلوك الطريق ، وشارحا لمعاني الوفاق و التوفيق ، لا ليكون عمدتك فـــي كلِّ تحقُّق وتحقيق ، ومرجعَك في جميع ما يعنُّ لك من تصور وتصديق...:" ([1]) ، فانظر معـــي إلـــى تلك العبارات الرقيقة خلٌّ لا صديق الدالة على زيادة حب وهذا من شيمة العلماء الراسخين الذي كان همهم الأول و الأساسي هو إيصال علمهم إلى الغير فيستفيدوا منه ممتثلين في ذلك بقول النبي ﷺ " من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليحب لأخيه ما يحب لنفسه" ([2]) ، وبقوله ﷺ " بلغوا عني ولو آية.." ([3]) .

ويلاحـــظ أيضا من الفقرة السابقة أن الشاطبي يستعمل بعض عبارات علماء المنطق " التصور و التصديق " .

---

[1] الموافقات ج 1 / 17 ، ج 1 / 12

[2] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ ، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحبُّ لنفسه، تحت رقم ( 13 ) ج 1 /11 ـ المجلد الأول ، والإمام مسلم كتاب الإيمان ، باب بيان الدليل على أن من خصال الإيمان رقم ( 71) ،( 72 ) ج 1 / 69، سنن النسائي كتاب الإيمان ـ باب علامة الإيمان ج 8 / 115 ، وباب علامة المؤمن ج 8 / 125 ، ابن الجوزي في جامع المسانيد بزيادة لفظة : " ..لنفسه من الخير " حديث رقم ( 454) ج 1 / 224 ،والهيثمي في كشف الأستار عن زوائد البزَّار كتاب الإيمان ـ باب لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ـ رقم ( 68 ) ج 1 /52 ، مختصر صحيح البخاري للألباني رقم ( 10 ) ج 1 / 22 ، ابن ماجه في مقدمة سننه رقم ( 66 ) ج 1/ 26 ، ابن ماجه في السنن ـ باب في الإيمان ـ رقم ( 66 ) ص 27( الطبعة الأولى التي اعتنى بها مشهور سلمان ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ ) ، صحيح سنن ابن ماجه للألباني رقم 55 ج 1 / 40 ، السلسلة الصحيحة للألباني رقم ( 73 ) ج 1 / 155ـ 156 ، كلّهم عن الصحابي أنس بن مالك رضي الله عنه

[3] المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم رقم ( 8 ) مقدمة في ذكر المأثور عن الرسول عليه السلام ، ج 1 /39، الحافظ ابن الجوزي في جامع المسانيد رقم ( 3655) ج 4 / 413،مختصر صحيح الإمام البخاري للألباني رقم ( 1468 ) ج 2 /445 ، صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير للألباني رقم ( 2837) ج 1 / 546 ، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان للألباني رقم ( 6223) ، كتاب التاريخ ـ باب بدء الخلق ـ ج 79/9 ،صحيح سنن الترمذي للألباني رقم ( 2669) ج 3 / 66 ،الترمذي كتاب العلم ـ باب ما جاء عن بني إسرائيل ـ رقم ( 2669 ) 5 / 39 ، الترمذي اعتناء مشهور رقم ( 2669 ) ص 601 كلّهم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه

**طريقة تأليفه** : قـــال : "... فـــإن عارضك دون هذا الكتابُ عارضُ الإنكار، وعمي عنك وجه الاختـــراع فـــيه و الابتكار ، وغرَّ الظانَ أنه شيء ما سُمع بمثله ، ولا أُلِّف في العلوم الشرعية الأصلية أو الفرعية ما نُسجَ على منواله ، أو شُكل بشكله ، وحسبك من شرٍّ سماعه ...." ([1]) ، فالملاحظ هنا أن الشاطبي يبتكر طريقة جديدة في التأليف ، ولكنه رحمه الله لا يدعي العصمة و الكمـــال في كلّ ذلك و الدليل على هذا قوله : " حاشا ما يطرأ على البشر من الخطأ و الزلل و بطـــرق صـــحة أفكارهم من العلل ..." راجيا في ذلك أنه من وجد خطأ فليصححه فقال : " ... وعـــند ذلك فحق على الناظر المتأمل ، إذا وجد فيه نقصا أن يُكمل ، وليحسن الظنَّ بمن حالف الليالـــي و الأيـــام ، و اســـتبدل التعب بالراحة و السهر بالمنام ، حتى أهدى إليه نتيجة عمره ، ووهب له يتيمة دهره ، فقد ألقى إليه مقاليد ما لديه ، وطوَّقه طوق الأمانة التي في يديه "([2])

وهنا أستسمح الناظر في هذا البحث عن طول هذه النصوص ، فمن الفقرة الأخيرة يمكن القول و الله إنهـــا لمسؤولية كبيرة ورثها لنا الشاطبي وأمانة لابد من تأديتها طبقا لقوله تعالى ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾([3]) ، فلهـــذا أني أرجو من العلماء وطلبة العلم الأقوياء أن يبذلوا جهودهم للقيام بتلك الأمانة .

**ثناء العلماء على الموافقات** : قال التنبكتي : " وكتاب الموافقات في أصول الفقه ، كتاب جليل القدر لا نظير له يدل على إمامته ، وبعد شأوه في العلوم سيما علم الأصول " ، قال الحفيد ابن مرزوق : " كتاب الموافقات من أقبل الكتب " ([4]) ، وقال محمد مخلوف ــ رحمه الله ــ :" .... و الموافقات في الفقه جليل جداً لا نظير له من أنبل الكتب " ([5]) ، وقال الفاضل بن عاشور : " لقـــد بنى الشاطبي ــ حقا ــ بهذا التأليف هرما شامخاً للثقافة الإسلامية استطاع أن يشرف منه

---

[1] الموافقات ج 1 / 18، ج1 / 11

[2] الموافقات ج 1 /18، ج 1 / 13

[3] سورة النساء الآية 58

[4] نيل الابتهاج ج 1 / 35

[5] شجرة النور الزكية ج 333/1

علـــى مسالك و طرق لتحقيق خلود الدين وعصمته ، قل من اهتدى إليها من قبله ،....."([1]) ، وقال الصعيدي : " .... فلما وضع الشاطبي كتاب الموافقات سلك في هذا العلم مسلكا جديدا و أبـــى أن يـــدور فيما دار فيه من قبله ، ومن عاصره من ذلك الحد السابق ، فاهتم فيه بالركن الثانـــي ..." ([2]) ويقصد بالركن الثاني هنا هو علم أسرار الشريعة ومقاصدها ، ويقول الباحث كمـــال راشـــد : " ...كـــان الشاطبي رائد حركة تجديدية ذات مضمون علمي وفكري ، رسم معالمهـــا بـــشكل خـــاص في كتابه الموافقات ، سواء من حيث شكله و ترتيبه ، أو من حيث موضوعه و مباحثه ..." ([3]) .

[1] ينظر الإفادات و الإنشادات ص 31 ، الشاطبي ومقاصد الشريعة

[2] المجددون في الإسلام ص 308

[3] مجلة المعيار ص 213

ومما يدل على أهمية الكتاب أنه قد نظمه تلميذه السابق أبو بكر بن عاصم ــ رحمه الله ــ وعمــد تلميذ آخر له لم يصرح باسمه من"وادي آش" ( [1] ) إلى نظم الموافقات ، وسمى نظمه " نــيل المنى من الموافقات " ، ولهذا النظم نسخة خطية بدير الأوسكوريال ( [2] ) ؛ دولة إسبانيا، تحت رقم ( 1164 ) ، ومن أبياتها ما يلي ([3]):

***وبعــــد فـــــالعلم حـــــياة ثانـــــية ... لهـــــا دوام و الجـــــسود فانـــــية***
***وقـــد غـــدا ظـــلّ الـــشباب زائـــلا ... ولـــم أنـــل مـــن الـــزمان طـــائلا***
***جعلـــت فـــي كـــتب العلـــوم أنـــسي ... وعـــن ســـوى العلـــم صـــرفت نفـــسي***
***بـــالعلم أولـــي مـــا اقتـــضى بـــه الـــزمن ... وكتـــبه هـــي الجلـــيس المـــؤتمن***
***و المـــورد المـــستعذب الفـــرات ... ومـــن أجلهـــا ( المـــوافقات )***
***لـــشيخنا العلامـــة المـــراقب ... ذاك أبـــو إســـحاق نجـــل الـــشاطبي***
***فهـــو كـــتاب حـــسن المقاصـــد ... مـــا بعـــده مـــن غايـــة لقاصـــد***
***كان قد سماه بالعنوان ... واختار من رؤيا ، ذا الاسم الثاني***

إلى أن قال :

***وجـــاعلا لـــه مـــن الـــسمات ... ( نـــيل المنـــى مـــن المـــوافقات )***
***فعـــدّه لـــم يعـــد فـــي المـــسطور ... ســـتة آلاف مـــن الـــسطور***

---

[1] يطلق عليها بالإسبانية ( Guadix ) تقع على نهر ينحدر من جبل " شلّير " عند السفح الشمالي لجبل الثلج ، على بعد ( 35 كلم ) من غر ناطة إلى الشمال الشرقي منها ، ينظر غر ناطة في ظل بني الأحمر ( دراسة حضارية ) للدكتور يوسف شكري فرحات ، ص 10 ( دار الجيل بيروت الطبعة الأولى 1413 هـ ـ 1993 م ) ، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا و البرتغال لمحمّد عبد الله عنان ص 215 ـ 217

[2] هي مكتبة تقع على بعد خمسين كيلو مترا من العاصمة الإسبانية ، ولقد وضع الدكتور براوليو خوستيل كلابازو تأليفاً بعنوان : " مكتبة الأوسكوريال ومخطوطاتها العربية " وهو من إصدارات المعهد الإسباني العربي للثقافة بمدريد عام 1978م ، وعنه ينظر مجلة المعهد المصريِّ للدِّراسات الإسلامية في مدريد المجلد 19 سنة 1976 ـ 1978 ص 152 ـ 154 ، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا و البرتغال لمحمّد عبد الله عنان ص 430 ـ 435

[3] الإفادات و الإنشادات ص 32

ولقــد أتــم هذا النظم في أواخر ربيع الثاني من سنة 820 هــ ، ويقول محمد محمود الشنقيطي الــذي اطلــع على النظم : " حق هُذا الكتاب أن يستنسخ و يطبع في بلاد المسلمين ، لاحتياجهم إليه عموما ، خصوصا المالكيين منهم و الحنفيين " ([1]) .

وممــن نظمه أيضا الشيخ " ماء العينين " ([2]) في قصيدة أسماها ــ الموافق ــ ، ثم قام بشرحها في ــ المرافق على الموافق ــ ومن مطلعها ([3]) :

***الحمــــد لله الــــذي قــــد أنــــزلا ... علــــى النبــــيِّ كــــتابَه إذ أرسَــــلا***
***صــــلَّى علــــى محمــــدٍ و ســــلَّما ... إذ بــــيَّن الــــدين بــــه و أحكمــــا***
***وبعدَ ذا دونكم قومي لَما ... أقــــول مــــن الكــــلام مُرَسَّــــما***

إلى أن قال رحمه الله ([4]):

---

[1] الشاطبي و مقاصد الشريعة ص 108

[2] هو مصطفي بن محمد فاضل بن محمد الشنقيطي القلقمي ، أبو الأنوار ، ولد عام 1246هـ ـ 1830 م ، ببلدة الحوض من قبيلة القلاقمة ، من عرب شنقيط ، وفد على ملوك المغرب في رحلته إلى الحج وحظي عندهم ، من مؤلفاته " شرح راموز الحديث " وهو مطبوع ، " نعـث البدايات و توصيف النهايات " ،" مبصر المتشوف " في التصوف ، توفي عام 1328هـ ـ 1910م ، بـ" تزنيت " من مدن السوس الأقصى ، ووصفه أحمد بن الأمين الشنقيطي بالعلامة الوحيد لما كانت له معرفة بعلوم الشرائع من الحديث والتفسير والفقه ( الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ص 360 ـ 362 ، الطبعة الأولى 1329هـ ـ مصر ـ ، الأعلام ج 7 / 243 ـ 244 ، الموافقات تحقيق مشهور ج 6 / 77ـ 80 ، المرافق على الموافق ج 1 / رـ س )

[3] ينظر المرافق على الموافق ج 1/ 3 ـ9 مع شرحها في نفس الموضع ، وهناك طبعة أخرى لهذا الكتاب بعنوان " المرافق على الموافق في مقاصد الشريعة " ، إعداد ماء العينين مربيه ربه وهي من منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي ـ الطبعة الأولى 2005 م ـ ، ويبدوا لي أن هذه التسمية خاطئة لأن الشيخ ماء العينين ـ رحمه الله ـ قد قام باختصار جميع الأقسام الأربعة للموافقات وليس الجزء الخاص بالمقاصد فقط

[4] المصدر نفسه ج 17/1مع شرحها كذلك

*سـمّيته موافقَ الموافقات ... لأنه منه في كلِّ فائقات*
*رتّبته ترتيبه فينحصر ... في خمسة الأقسام ترتيبًا نُصِر*
*فأوّلُ مقدّمات علمية ... لها قد احتيج في قصدٍ علّيّة*
*ثانٍ بذي الأحكام و التصور ... والحكم في الوضع وشبهِ نَيِّرِ*

وقال أيضا : " إنه لما تفضل الله علي بكتاب " الموافقات " .... عام ستة بعد ثلاث مائة و ألف .... فإذا هو نور يذهب الظلام و ينور البصائر و الأبصار ، إلا أنه بحر أبحر تغرق فيه البحار ، وترشف الأنهار، فلما نظرت إذا البحر لا ساحل له ولا سفينة لي تمر به لأدخله .." ([1])
ولقد اختصره كذلك "إبراهيم بن طاهر بن أحمد بن أسعد العظم في جزآن وهما لا يزالان مخطوطان عند أسرته" ([2]) .

ويقول الباحث عبد الوهّاب إبراهيم أبو سليمان : " ... وتتميز( الموافقات ) بالعرض الهادئ ، والنقاش البناء ، في أسلوب واضح وصياغة علمية متينة ، والطريقة التي سلكها الشاطبي تعتبر مدرسة مستقلة في مباحثها الأصولية ، ومناهجها العلمية .." ([3]) .

- **الاعتصام** : وهو كتاب نصر فيه السنة ، وقاوم فيه البدع بأنواعها المختلفة ، وهو عشرة أبواب ، وعن أسباب تأليفه ندع الشيخ محمد المختار السلامي ([4]) « مفتي الجمهورية التونسية » يلخصها لنا كالآتي:
  - انقلاب سلم القيم ، واختلاط الأمور .
  - سعة ثقافته العلمية و توقده الذهني ، وما من الله به من فتحه عليه .
  - تقدم جماعة الصوفية الزائفة الذين يستغلون العامة بأذواقهم المريضة مما أدى إلى خبوة فتوة الإيمان .

---

[1] ينظر المرافق على الموافق ج 1 / 2

[2] ينظر الأعلام ج 1/ 44 ، و إبراهيم المذكور في المتن هو شاعر حقوقي ، ولد عام 1321 هـ ـ 1903 م ، في حماة ، تخرج بمعهد الحقوق سنة 1928 م ، مارس المحاماة مدة وتولى أوقاف حماة وحلب ، ثم كان قاضيا استئنائيا في دمشق ، وله شعر متفرق عند أولاده فيه رقة وجودة ، توفي سنة 1377 هـ ـ 1957 م بدمشق ، معجم الأدباء لكامل سلمان الجبوري ج 1 / 42 ـ 43 .

[3] ينظر كتابة البحث العلمي ومصادر الدِّراسات الإسلامية ص 440 ، الطبعة الثالثة 1406هـ ـ 1986 دار الشروق جدة .

[4] مجلة الموافقات ص 305 ـ 306 بتصرف ، وهذا في مقال له بعنوان " مقاومة أبي إسحاق الشاطبي للبدع "

- إظهار السنة و مقاومة البدع .
- لـــم يظفر بكتاب يكشف عن البدع و ضعا لها قواعد وضوابط ، فكتابي ابن وضاح " البدع و النهي عنها " ، والطرطوشي " ([1]) الحوادث و البدع" ، وهما أندلسيان لم يشفيا غليل الشاطبي قال التنبكتي : " و تأليف نفيس في الحوادث و البدع في سفر ، في غاية الإجادة "([2]) .

ووصـــفه محمد مخلوف " تأليف جليل في الحوادث و البدع في غاية الإجادة سماه الاعتصام "([3] وقـــال رشـــيد رضا([4]) : " لولا أن هذا الكتاب ألف في عصر ضعف العلم و الدين في المسلمين لكـــان مـــبدأ نهـــضة جديـــدة لإحـــياء السنة ، وإصلاح شؤون الأخلاق و الاجتماع.....وكتاب الاعتصام لا ندَّ له في بابه ، فهو ممتع مشبع ، وإن لم يتمه المصنف رحمه الله تعالى " ([5]) .

---

[1] هـو محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري، المعروف بالطرطوشي ومنها أصله يكنى أبا بكر ويعرف بابن أبي رَندقة ،نشأ بالأندلس ببلده طرطوشة ثم تحوَّل لغيرها من بلاد الأندلس ،وصحب القاضي أبا الوليد الباجي بسَرقسطة ، وأخذ عنه مسائل الخلاف، وذكر أن الطرطوشي كان صاحب نزهة مع طلبته في أكثر الأوقات يخرج معهم إلى البستان فيقيمون الأيام المتوالية في فرجة ومذاكرة ومداعبة مما لا يقدح في حق الطلبة بل يدل على فضلهم وسلامة صدورهم ، وألف تآليف حـسانا مـنها : تعليقـته في مسائل الخلاف،وفي أصول الفقه، وكتابه في البدع والمحدثات، وفي بر الوالدين وغير ذلك، ومن مشيخته أبو عـبد الله محمـد بن عبد الرحمان بن علي التُجيبي بن ظافر بن عطية ابن مولاهم، توفي رحمه الله تعالى بالإسكندرية في شهر شعبان سنة عـشرين وخمـسمائة، قـال الـذهبي في كتاب العبر في ذكر من غبر عاش أبو بكر سبعين سنة وتوفي في جمادى الأولى،ينظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج 4 / 262 ـ 265 ،الديباج المذهب ص 371 ـ 373 ، ترجمة رقم ( 506 )

[2] نيل الابتهاج ج 1 / 35

[3] شجرة النور الزكية ج 1/ 333

[4] هـو محمـد رشـيد بـن علـي رضـا بـن محمـد بـن محمد بن علي القلموني البغدادي الأصل الحسيني ،من مواليد عام 1282 هـ ـ 1865م في القلمون من أعمال طرابلس الشام ، محدث ومفسر وأديب سياسي ، هاجر إلى مصر بغية الاستزادة في العلم عام 1315هـ ـ 1897 م، تـوفي سـنة 1354هـ ـ 1935 م ، مخلفا وراءه عدة تصانيف منها : تفسيره للقرآن الذي لم يتمه الموسوم بالمنار ، الوحي المحمـدي ، تـاريخ الأسـتاذ محمـد عـبده وغيرهـا ، ينظـر الأعلام للزركلي ج 6 / 126 ، معجم المؤلفين لرضا كحالة ج 3/ 293 ، مـشاهير علمـاء نجـد وغيرهـم لعـبد الـرحمان بـن عـبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ص 486 ـ 505 ( الطبعة الثانية 1394 هـ ـ بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة )

[5] ينظـر الاعتصام ج1/ 7 ( تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان ، مكتبة التوحيد ـ المنامة ـ البحرين ، طبعة 1421هـ ـ 2000م، وهي في أربع مجلدات )

وقـــال الصعيدي : "... و أما كتاب الاعتصام فهو في نقد الحياة الدينية بين المسلمين ، وبيان ما دخل فيها من البدع المذمومة ولا سيما البدع الدينية ، كالتزام المصلين المكث بعد الصلاة لأذكار وأدعية مأثورة يؤدونها بالاجتماع و الاشتراك ، حتى طارت شعارا من شعائر الدين ،...." ([1])، وقال الفاضل بن عاشور([2]) : " كتاب الاعتصام الذي هو ثمرة كفاح الشاطبي في تقويم الدين و قمـــع الـــبدع ، فقد كان أيضا باعثا من أقوى بواعث النهضة الإسلامية الحاضرة ، استندت إليه الحركة السلفية في المشرق والمغرب منذ أخرجه للناس العلامة المرحوم ([3]) السيد محمد رشيد رضـــا من طبعة المنار 1332هـــ " ، وقال أيضا " وظهرت مزية كتابه ظهورا عجيبا في قرننا الحاضـــر و القرن قبله لما أشكلت على العالم الإسلامي عند نهضته من كبوته أوجه الجمع بين أحكام الدين و مستجدات الحياة العصرية " .

وعـــن هذين الكتابين يقول الباحث كمال راشد " ..ينبني على ما سبق أن الشاطبي لم يقصد من كتابـــيه الموافقات و الاعتصام أن يكونا كتابين تقليدين ، وإنما أراد منهما ما هو أعد من ذلك و أعمق ، لقد قصد فيهما إلى صياغة و تأصيل مدرسته العلمية التي كانت تهدف إلى تجديد العلم

---

[1] المجددون في الإسلام ص 309

[2] أعـلام الفكـر الإسـلامي ، نقـلا مـن الـشاطبي ومقاصد الشريعة ص 278 ـ 279 ، وابن عاشور هذا هو من مواليد 2شوال عام 1327هـ / 1909 م بـتونس ، أديب خطيب مشارك في علوم الدين ، من طلائع النهضة الحديثة النابغين ، تخرج بالمعهد الزيتوني فأصبح أستاذا فيه ثم عميد لكلية الشريعة وأصول الدين سنة 1961 م ، له مؤلفات عدة مطبوعة منها " أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغـرب العربـي " ، " الحـركة الأدبية والفكرية في تونس " ، " التفسير ورجاله " ، توفي بتاريخ 23 أفريل 1970 م ، ينظر الأعلام للزركلـي ج 6 / 325 ـ 326، معجـم الأدباء لكامل سلمان الجبوري ج 6 / 54 ، معجم المؤلفين لرضا كحالة ج 3/ 552 ، أعلام تونـسيون للـصادق الزّمرلـي ؛ تقـديم وتعـريب حمادي الساحلي ص 349 ـ 354 ( الطبعة الأولى 1986م ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت )

[3] الجـزم بمـثل هاتـه العـبارات فـيه نظـر !! ، فـنقول رحمـه الله تعـالى ، ينظـر جـواب اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المـستدرك علـى معجـم المناهي اللفظية لسليمان بن صالح الخراشي ص 123 ـ125 ( الطبعة الأولى 1427هـ ـ 2006 م ، دار طيبة للنـشر ـ الـرياض ـ ) ،معجـم المناهي اللفظية لبكر بن عبدالله أبو زيد ص499 ( الطبعة الثالثة 1417 هـ ـ 1996 م ، دار العاصمة بالمملكة العربية السعودية )

و إصـــلاح العمل على قاعدة الرجوع إلى الكتاب والسنة .... معتمدا طريقة التأصيل و التقعيد الكلي .." ([1]) .

- **الإفادات و الإنشادات:** يقــول محمــد أبي الأجفان : " بأنه من المصنفات التي تجمع ما يختاره المؤلفــون مــن الطــرائف و الــنوادر و الفوائد النثرية و المنظومة التي يباحً لهم روايتها عن شيوخهم في مواضيع مختلفة ، تأخذ من كل فن بطرف ، وتكون زادا للمحاضرة ومادة للاستفادة .." ([2]) .

وقال التنبكتي : " وكتاب الإفادات و الإنشادات في كراسين فيه طرف و تحف وملح أدبيات و إنشادات "([3]) .

ويقــول حمادي العبيدي ([4]) : " و أهمية هذه الكتب تعود إلى أنها وثائق صادقة ، تصور الكثير مــن حــياة عــصر المؤلف ، و تطلعنا على دقائق لا تذكرها كتب التاريخ ، كما تصور حياة المؤلف نفسه أصدق تصوير لأنه يكتب عن واقعه،وعن أشياء يعايشها " .

ويقول عبد الله النجمي : " ... ومن الحق أنه إن كان الشاطبي أول من أطلق على هذا الصنف من التأليف إسم " الإفادات والإنشادات " ... " ([5]) .

تلك هي إذن مؤلفات الشيخ المطبوعة ، وهناك أيضا عدة فتاوى قام بجمعها الدكتور أبو الأجفان مــن عدة مصادر كالمعيار للونشريسي ، تحت عنوان ــ فتاوى الشاطبي ــ وصل عددها إلى ستين فتوى ، فلهذا لم أذكره ضمن مؤلفاته لأنه ليس بتأليف مستقل ، أما عن مؤلفاته التي فقدت و المخطوطة فهي :

---

[1] مجلة المعيار ص 222

[2] الإفادات و الإنشادات ص 6

[3] نيل الابتهاج ج 1 /35

[4] الشاطبي و مقاصد الشريعة ص 99

[5] ينظر مقال له بعنوان " الإفادات والإنشادات لمحمَّد الصغير الإفراني " ضمن كتاب متنوعات محمّد حجي ص 61 ( الطبعة الأولى 1998 م ـ دار الغرب الإسلامي ـ )

▪ **المقاصد الشافية في شرح خلاصة الكافية :** وهذا التصنيف هو شرح على ألفية ابن مالك في النحو ، قال عنه صاحبه الشاطبي : " ... ولذلك وسمته بـــ ( المقاصد الشافية في شرح خلاصة الكافـــية ) ، ولعمـــري إن مطالعه ليطلع منه على كثير من أسرار علم اللسان ، ودقائق سيبويه وغيـــره من علماء هذا الشان .." ([1]) ، وقال أيضا التنبكتي : " منها شرحه الجليل على الخلاصة في النحو في أسفار أربعة كبار ، لم يؤلف عليها مثله بحثا و تحقيقا ، فيما أعلم "([2]) ، وهي" في خمـــسة مجلـــدات ضخام ، كتبت سنة 862 هـــ ، و النسخة نفسية ، في خزانة الرباط ( 1013 جـــلاوي) "([3]) ، قلـــت ولقد نقل لنا البغدادي([4]) بعض النقول منها فلينظر كتابه "خزانة الأدب" في حوالي خمسة وعشرين موضعا .

---

[1] نقل لنا هذه الفقرة من المخطوط الدكتور حسين بركات في مقال له منشور في مجلة معهد المخطوطات العربية ـ القاهرة ـ بعنوان " جهود النحويين في خدمة ألفية ابن مالك ( دراسة بيليوغرافية للحركة العلمية التي قامت عليها ) " المجلد 46 ، ـ الجزء الأول ـ ربيع الأول 1423 هـ / مايو 2002 م ص 77، وينظر مزيد بيان عن أماكن تواجد مخطوطات والدراسات القائمة حول هذا الشرح في نفس المقال المذكور .

[2] نيل الابتهاج ج 1 /35، والكتاب صدر منه جزأين عن مكتبة دار التراث بمكة المكرمة عام 1417 هـ ـ 1996م بتحقيق الدكتور عيَّاد الثبيتي يبدأ الشرح من نائب الفاعل إلى نهاية حروف الجر ، ذكر ذلك شايع الأسمري ص 7 ، ينظر مجلة الجامعة الإسلامية مقال مع الإمام الشاطبي في مباحث علوم القرآن و التفسير ، عدد رقم 115، فتاوى الشاطبي ص 60 ) ،كما أن الباحث الدكتور ـ طاهر محمد مسعود ـ قد حقق الجزء الأول منه بجامعة الأزهر ـ كلية اللغة العربية ـ : ينظر أخبار التراث الإسلامي ( نشرة علمية تراثية تصدر عن مركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت) العدد 17 ـ سنة 1409هـ ـ 1989 م ص7 ، العدد 23 ص 13 .

[3] ينظر الأعلام ج 1 / 75 ، وهناك نسخة أخرى مصورة بمكتبة مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، تحت رقم ( 806 ـ نحو ـ ) عن مكتبة الإسكوريال بإسبانيا ، ينظر تفسير مبهمات القرآن ج1 / 572 .

[4] هو علامة الأدب والتاريخ عبد القادر بن عمر من مواليد عام ( 1030هـ ـ 1620 م ) ببغداد ، رحل إلى دمشق ومصر و أدرنه ، وجمع مكتبة نفيسة، توفي في القاهرة سنة ( 1093هـ ـ 1682 م ) مخلفا وراءه مجموعة مصنفات هامة منها : " خزانة الأدب " التي شرح فيها شواهد شرح الكافية للأستراباذي ، " حاشية شرح بانت سعاد " ، " شرح شواهد شرح التحفة الوردية في النحو " ،" مختصر تمام المتون إلى شرح رسالة ابن زيدون " ، ينظر الأعلام للزركلي ج 4 / 41، معجم الأدباء لكامل سلمان الجبوري ج 4 / 13 ، معجم المؤلفين لكحالة ج 2 / 192 .

وقال أحد التلاميذ الذين حضروا شرح الألفية على الشيخ عبد الحميد ابن باديس ــ رحمه الله ــ للبشير الإبراهيمي : " ..... سمعته يقرّر القاعدة النحوية التي أرادها ابن مالك فسمعت ما أدهشني من التحقيق الذي لم يعهد من علماء عصرنا بالأسلوب الذي لم يعهد من شراح الأفية سابقهم ولا حقهم ما عدا أبا إسحاق الشاطبي .." ([1]) .

فيتبين لنا من هذه الفقرة أمران اثنان :

ــ أن هذا الشرح كان معروفا عند هؤلاء ، وأنه كان متداولا عندهم .

ـــ مدى أهميته بين شراح الألفية بحيث أنه قد إستحق التفضيل والتقديم و الأسبقية والصدارة بين كلّ تلك الشروحات التي كانت معلومة عندهم .

- **المجالس** : شرح فيه كتاب البيوع من صحيح البخاري ،ووصفه كلٌّ من مخلوف و التنبكتي فقالا: " فيه من الفوائد و التحقيقات ما لا يعلمه إلا الله "([2]) ، قال العبيدي : " وهو كتاب على ما يظهر قد اتخذه الشاطبي سجلاً كان يدور به ما يدور بالمجالس العلمية التي يعقدها العلماء بين الحين و الآخر ، أو في مناسبات خاصة مثل الأيام الأواخر من شهر رمضان "([3]) ، ومما يلاحظ أن هذا المصنف أنه هو الوحيد الذي صنفه في فن الفقه .

[1] ينظرآثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي ج 5 / 139 ، ( جمع وتقديم نجله الدكتور أحمد الطالب الإبراهيمي ؛ الطبعة الأولى 1997 م دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ )

[2] نيل الابتهاج ج 1/ 35، شجرة النور الزكية ج 1 /333 ، تراث المغاربة في الحديث النبوي وعلومه لمحمّد بن عبد الله التلّيدي ص 243 ( الطبعة الأولى 1416 هـ ـ 1995 م ، دار البشائر الإسلامية )

[3] الشاطبي ومقاصد الشريعة ص 98

- **عنوان الانفاق في علم الاشتقاق :** قال التنبكتي : " ورأيت في موضع آخر أنه أتلفه في حياته "[1] ) وهــذا أشار إليه الشاطبي في شرحه للألفية ، قال العبيدي : " هو كتاب يدل عنوانه أنه في علم الــصرف و فقــه اللغة ، ولعله شبيه بكتاب الخصائص لابن جني ، وقد اتخذه من مراجعه في شرحه لألفية ابن مالك ذكر ذلك البغدادي في إيضاح المكنون"( [2]) .

- **أصول النحو :** وهذا الكتاب قد أتلف أيضا

- **جزء مفرد :** وهــذا الكتاب ذكره في الاعتصام وهو يؤكد على أن العلماء هم ورثة الأنبياء فقال رحمه الله : ".. وقد قيدنا في ذلك جزءاً مفرداً فمن أراد الشفاء في المسألة فعليه به ، وبالله التوفــيق " ([3]) ، وهذا الجزء لم يذكره أحد ممن ترجم له، ويبدو من كلامه أنه في غاية الإحكام بدليل أنه وصفه بالشفاء ،فكأنه يذهب بتلك الأمراض التي تعاني منها النفوس المريضة بالشُبَّه و البدع، فيا ليت الأيام تظهره لنا لنستفيد منه فنصِح .

قال التنبكتي عن مؤلفاته كلها : "ألَّف تواليف نفيسة اشتملت على تحقيقات و تحريرات للقواعد ، واستنباطات جليلة " ([4]) .

وقال الزركلي في الأعلام : " وفي خزانة الرباط ( 10/3 جلاوي ) مخطوطة من " الجمان في مختصر أخبار الزمان " منسوبة إليه " ([5]) .

قلت : هذه المخطوطة ليست للشاطبي بالتأكيد لدليلين اثنين :

**الأول :** أنها لم يشر إليها أحد من المتقدمين عند ذكر مؤلفاته ــ رحمه الله ــ .

---

[1] نيل الابتهاج ج 1 / 35

[2] الشاطبي و مقاصد الشريعة ص 98

[3] ينظر الاعتصام ج2/ 352 ، ج 2 / 467 مشهور

[4] ينظر نيل الابتهاج ج 1 / 35

[5] ينظر الأعلام ج 1/ 75،و نسب إليه الزركلي أيضا رسالة أخرى في " الأدب " ، قال عنها نشرت نبذة منها في مجلة المقتبس ( المجلد الثامن ).

**الثانـــي** : هـــي للـــشطيبي بـــدون الألف ، فلهذا ربما وقع الخلط ، ونسبت خطأً لأحمد المقري صـــاحب " نفح الطيب " ، استفدت ذلك مما ذكره الدكتور " بالقاسم سعد الله " ([1]) ، ومما يزيد الأمر أن الزركلي نفسه نسبه إلى الشطيبي في كتابه الأعلام ([2]) .

تلك هي إذن مؤلفات الإمام الشاطبي التي نالت من الشُهرة وطيرورة الصِّيت وحظيت به من علم غزير مبني على التأصيل والتقعيد .



[1] ينظر تـاريخ الجزائـر الـثقافي مـن القـرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري ( 16 ـ 20 م) ج 1 / 306 ( طبعة الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ـ الجزائر ـ1981 ) ، ( وطبعة دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى 1998م ) ج 303/1

[2] الأعلام ج 6 / 292 ، قلت و الشطيبي لعله هو محمد بن علي توفي سنة 963هـ ـ 1556 م ،نظرات في كتاب الأعلام لأحمد العلاونة ص 20 ، ( الطبعة الأولى 1424هـ ـ 2003 م ، المكتب الإسلامي )

# المبحث الخامس
# مكانته عند العلماء و شعره

**شعره :** لقــد كان مترجمنا من الشعراء الذين نظموا الشعر و يدل على ذلك ما وصلنا من شعره فقال لما أبتلي بالبدع ([1]) :

***بُلــيت يــا قــوم والــبلوى مــنوعة  بمــن أُداريــه حتــى كــاد يردينــي***

***دفع المضرة لا جلبا لمصلحة  فحسبي الله في عقلي وفي ديني***

أنــشد ذلــك تلمــيذه الإمام يحي بن عاصم له مشافهة ، ويلاحظ من البيتان السابقان أن روح المقاصد لم تفارقه حتى في شعره فليتأمل لفظ المضرة ومثلها المصلحة

ومــن نظمه أيضا في مدح الشفاء للقاضي عياض ([2]) لما أرسل شيخه الخطيب ابن مرزوق للأندلس يطلب من علمائها نظم قصائد تتضمن مدح الشفاء ليجعلها في طالعة شرحه عليه ، فقال الشاطبي في حق الكتاب المذكور ما يلي ([3]) :

---

[1] ينظر نيل الابتهاج ج 35/1

[2] هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، وصنف التصانيف المفيدة منها "الإكمال في شرح كتاب مسلم" ، كمل به المعلم في شرح مسلم للمازري ومنها "مشارق الأنوار" وهو كتاب مفيد جدا في تفسير غريب الحديث المختص بالصحاح الثلاثة وهي الموطأ والبخاري ومسلم، و"شرح حديث أم زرع" شرحا مستوفى وله كتاب سماه"التنبيهات" جمع فيه غرائب وفوائد وبالجملة فكل تواليفه بديعة، وكان مولده بمدينة سبتة في النصف من شعبان سنة ست وسبعين وأربعمائة ،وتوفي بمراكش يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة ،وقيل في شهر رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة رحمه الله تعالى ،ودفن بباب إيلان داخل المدينة وتولى القضاء بغرناطة سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة، ينظر وفيات الأعيان ج3/ 483 ـ 485، سير أعلام النبلاء ج 20 / 212 ـ 218

[3] ينظر نيل الابتهاج ج1 /36 ، إرشاد المقلدين عند اختلاف المجتهدين لابن الشيخ سيدي الشنقيطي ص 117 ـ 118

| | |
|---|---|
| ***يـــا مـــن ســـما لمراقي النجم مقصدهُ*** | ***فنفـــسه بنفـــيس العلـــم قـــد كلفـــت*** |
| ***هـــذي ريـــاض بـــروق العلم مخبرها*** | ***هـــي الـــشفا لنفوس الخلق إن دنفت*** |
| ***يجنـــي بها زهر التقديم أو تمر التعظيم*** | ***و الفـــوز للأبـــدي التـــي اقـــتطفت*** |
| ***أبـــدت لـــنا مـــن ســـناها كل واضحة*** | ***حـــسانة دونهـــا الأطمـــاع قد وقفت*** |
| ***وشـــــيد العقـــــد أركـــــان مـــــؤكدة*** | ***بهـــا على متن أهل الشرع قد وقعت*** |
| ***قـــوت القلـــوب و ميـــزان العقول متى*** | ***حادث عن الحجة الكبرى أو انحرفت*** |
| ***يا أهل الفضل حزت الفضل في عرض*** | ***بهـــا أقـــرت لـــك الأعلام و اعترفت*** |
| ***وكـــنت بحـــر علـــوم ضـــلَّ ســـاحله*** | ***مـــنه استمدت عيون العلم واغترفت*** |
| ***زارتـــه مـــن جنـــبات القـــدس ناسمة*** | ***فحـــركت مـــنه مدح الفكر حين وفت*** |
| ***حتـــى إذا مـــا طمـــت أرجـــاؤه قذفت*** | ***لـــنا بـــدرتها الحـــسناء و انصرفت*** |
| ***إن العناية لا يحظى بنائلها*** | ***حريصُها بل على التخصيص قد وقفت*** |

قال الإمام محمد بن العباس التلمساني ، " هذه الأبيات من أحسن ما قيل فيه" .

أمـــا إذا أردنا أن نذكر محاسن الشاطبي و ثناء العلماء عليه ، فحسبنا في ذلك أن نذكر ما لهذا الـــرجل من سيرة عطرة وإرث علمي ، يعد خير شاهد على ألمعية الرجل و إخلاصه في سبيل رفعـــة هذا الدين و إعلاء شأنه ، ولقد أثنى على الشاطبي جماعة من أهل العلم و الفضل نذكر منهم :

تلمـــيذه المجـــاري ، واصـــفا له بـــ :" .. الشيخ الإمام العلامة الشهير ، نسيج وحده ، و فريد عصره ، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللَّخمي الشاطبي.." ([1]) .

[1] الإفادات و الإنشادات ص 19، الفتاوى ص 77، الشاطبي ومقاصد الشريعة ص50 ، الإمام الشاطبي عقيدته وموقفه من البدع و أهلها ص83

قـــال أحمـــد بابـــا التنبكتي : " ... الإمام العلامة المحقق القدوة ، الحافظ الجليل المجتهد ، كان أصـــوليا مفـــسراً ([1]) ، فقـــيها ، محدثا لغويا بيانيا نظاراً ، ورعا صالحا زاهدا ، سنيا ، إماما مطلقـــا ، بحاثـــا مدققا جدليا ، بارعا في العلوم ، من أفراد العلماء المحققين الأثبات ، و أكابر الأئمة المتفنين الثقات...." ([2]) .

ووصـــفه الحفـــيد ابن مرزوق : " .. الشيخ الأستاذ الفقيه الإمام ، المحقق العلامة الصالح أبو إســـحاق " ، وقـــال التنبكتي معلقا على هذه التزكية الأخيرة :" وناهيك بهذه التحلية من مثل هذا الإمام ، وإنما يعرف الفضل لأهله أهله " ([3]) .

وحـــلاه الشيخ محمد مخلوف : " العلامة المؤلف المحقق النظار، أحد الجهابذة الأخيار ، كان له القـــدم الراســـخ فـــي سائر الفنون و المعارف ، ... له استنباطات جليلة و فوائد لطيفة..."([4]) .

---

[1] ومـن الباحثين الذين إعتبروا أن الشاطبي قد تعاطى فن التفسير ؛ الدكتور إبراهيم أحمد الوافي في مقال له بعنوان ـ التفسير وعلوم القـرآن بالغـرب الإسلامي من القرن الثاني الهجري إلى القرن الثامن الهجري ـ ( الجذور والتفاعلات والحصيلة ) ، ينظر السجل العلمي لـندوة الأندلس ـ قرون من التقلّبات والعطاءات ـ القسم الخامس الخاص بالعلوم الشرعية ص 52 ( الطبعة الأولى 1417 هـ ـ 1996 م ، مكتبة الملك عبد العزيز العامة )

[2] نيل الابتهاج ج33/1

[3] المصدر نفسه ج 34/1

[4] شجرة النور الزكية ج 1/ 332

ووصـــفه التُـــسولي ([1] ) :" .. الإمام الشاطبي مفتي غر ناطة ــ رحمه الله ــ "([2]) ، وهاهو محمد بن الحسن الحجوي يقول : " هو الإمام الحافظ الجليل المجتهد من أفراد المحققين الأثبات و أكابر المتفننين فقها ، و أصولا وعربية وغيرها.." ([3]) .

وقـــال عنه الدكتور يوسف القرضاوي : " و الإمام أبو إسحاق الشاطبي ، من هؤلاء المجددين مـــن العلماء المستقلين ، بل هو من أعلامهم المتميزين ، الذين دلت عليهم آثارهم ، وعبر عنهم تـــراثهم فليس أدل على قيمة العالم من الكتب التي يصنفها .."([4]) ، وقال عنه في موضع آخر :" الإمام الشاطبي رحمه الله ، ليس مجرد أصولي مجدد أو فقيه متميز ، ولكنه ــ مع ذلك ــ معلم كبيـــر ، ومدرب عظيم .." ([5]) ، ومما يدل على مكانته أيضا ما قاله أحد الناسخين للموافقات ، وهذا في نسخة خطية من محفوظات الخزانة العامة بالرباط ( رقم 375 مخطوطات الأوقاف ) " الشيخ الفقيه الإمام ، العالم الأوحد الكبير ، قدوة الأئمة المهتدين ، وخاتمة المحققين المعتمدين و ناصـــر الـــسنة ، إحـــياءً لمعالم الدين ، المعدود على تأخر زمانه في أهل السَّبق ، المصنِّف العلامـــة ، الخطـــيب الـــصالح الكامـــل ، أبـــو إسحاق ، إبراهيم بن موسى..."( [6] ) ، ووصفه

---

[1] علـي بن عبد السلام بن علي ، أبو الحسن، فقيه من علماء المالكية ، تسولي الأصل و المولد ، يلقب " مديدش" نشأ بفاس ، وولي القـضاء بهـا ، ثـم بـتطوان وغيرهـا ، تـوفي بفـاس عـام ( 1258هـ ـ 1842 م )، له شرح مختصر الشيخ بهرام ، في الفقه ، و شرح الـشامل في عدة مجلدات ، " حاشية على شرح التاودي للامية الزقاق " ، ينظر الأعلام ج4 / 299،معجم المؤلفين لرضا كحالة ج 2 / 458 ، ومقدمـة التحقـيق لكـتابه الموسـوم بـــ" أجـوبة التُـسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد "ص17 ،دراسة وتحقيق عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صالح ،( طبعة دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى 1996م )

[2] أجوبة التُسولي عن مسائل الأمير عبد القادر ص 148

[3] الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ج2 / 291

[4] ينظر مجلة الموافقات ص 127، في مقال له بعنوان" الجوانب التربوية عند الإمام الشاطبي "

[5] المرجع نفسه ص 129

[6] ينظر الموافقات بتحقيق مشهور بن حسن آل سلمان ج 73/1

الونشريسي ([1]) قائلا : " كتب به من غرناطة قاعدة الأندلس الشيخ العالم العارف المحقق ، سيدي أبو إسحاق الشاطبي ــ رحمه الله ــ " ([2]) .

وقال المراغي : " العلامة المؤلف المحقق النظار الأصولي المفسر الفقيه اللغوي ، المحدث الورع الزاهد " ([3]) ، وشبهه الصعيدي بالإمام الشافعي قائلا : " وإذا كان الإمام الشافي فضل وضع علم أصول الفقه ....وبهذا يكون للشاطبي ذلك الفضل الكبير بعد الإمام الشافعي ، لأنه سبق هذا العصر الحديث بمراعاة ما يسمى فيه روح الشريعة أو روح القانون ، وهذا باهتمامه بمقاصد الشريعة.."([4]) ، وقال عنه أبو الأجفان :" هذا أبو إسحاق..أحد مجدّدي عصره في الأندلس وأحد الأعلام الذين تفتخر بهم حضارتنا الإسلامية ، و ثقافتنا العربية لتفانيه في خدمة العربية و الشريعة .."([5]) .



[1] أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي الفقيه الكامل ،ولد سنة ( 834 هـ ـ 1430 م ) ، له مصنفات لطيفة منها كتابه المسمى " المعيار المغرب و الجامع المعرب عن فتاوى علماء إفريقية و الأندلس و المغرب" ، جمع فيه فتاوى المتأخرين ، و" إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك " وهي قواعد لطيفة أجاد فيها ،و " المنهج الفائق والمنهل الرائق في أحكام الوثائق " ، توفي عام ( 914 هـ ـ 1508 م ) على نحو 80 عاما ، ينظر ( توشيح الديباج و حلية الابتهاج لبدر الدين القرافي ، تحقيق الدكتور علي عمر ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ؛ الطبعة الأولى 1425هـ ـ2004م ، كفاية المحتاج للتنبكتي ج 1/ 70 ، البستان في ذكر أولياء تلمسان ص 53 ـ 54 ، الأعلام للزركلي 1 / 269ـ 270 ، معجم المؤلفين لكحالة ج 1 / 325 )

[2] ينظر المعيار المغرب ج 12/ 293

[3] الفتح المبين في طبقات الأصوليين ج 2 /213

[4] المجددون في الإسلام ص309

[5] الإفادات و الإنشادات ص 53

# المبحث السادس
# المصادر التي اعتمدها ووفاته

لاجَرم أن الشاطبي من جهابذة العلماء الذين هضموا علمهم ، وقد وفِّقَ إلى اختيار أطايب آراء القدماء وهذا في الغالب ؛ اللَّهم إلا في بعض الأمور العقدية التي جانب فيها الصواب ــ عفا الله عنه ــ ([1]) ، فرُزق حظا من التنسيق و الترتيب فأبرز تآليفه منقحة محرَّرة و لم يكن جامدًا على مــا قــرأ في الكتب ، بل كان يحسن استخدام عقله ، معتمداً في ذلك على منهج انتقائي ، فكان يــستمد مادته من عدة مصادر ، ثم يلائم بين أجزائها بدقة ، تجعل القارئ يُحس بمدى ما يبذله فــي ســبيل الانــتقاء و الدقة معًا من جهد ، وسأقتصر هنا على تلك المصادر الخاصة بجانب الدراسات القرآنية ، ومن أهمها :

- **أحكام القرآن** : لإسماعيل بن إسحاق ([2]) ذكره في الموافقات و الاعتصام ، مصرحا به فجاء في المــوافقات : " وفــي أحكام إسماعيل بن إسحاق عن ابن سرين قال:..." ([1])، وعدة مرات في الموافقات .

---

[1] للمـزيد في معـرفة ذلـك ينظـر مـا كتبه عبد الرحمان آدم علي في رسالته " الإمام الشاطبي عقيدته و موقفه من البدع و أهلها " ، و كـذلك " الإعـلام بمخالفـات المـوافقات و الاعتصام " لناصر بن حمد الفهد الطبعة الأولى 1419هـ ،تهذيب الموافقات لمحمّد بن حسين الجيزانـي ص 22 ـ 24 ؛ ( الطبعة الأولى صفر 1421 هـ ـ دار ابن الجوزي ـ المملكة السعودية ) ، وبعض تعليقات مشهور بن حسن آل سلمان في تحقيقه للموافقات و الاعتصام .

[2] هـو القاضـي المالكي ،مولى آل جرير بن حازم ، أصله من البصرة ، وبها نشأ و استوطن بغداد ، الحافظ ، المقرئ المفسر ، النحوي سمع أباه و أبا الوليد الطياليسي ، و علي بن المديني ، روى عنه موسى بن هارون ، والنسائي ، و أبو القاسم البغوي ، له تآليف كثيرة مفيدة تعد أصولا في فنونها ، منها الموطأ ، المبسوط في الفقه ومختصره ،إعراب القرآن ، كتاب القراءات ، ولد سنة ( 199هـ ـ 815م ) ، أو ( 200هـ ـ 816م )، تـوفي لـيلة الأربعاء ببغداد لثمان بقين من ذي الحجة عام ( 282هـ ـ 896 م ) ، ينظر ( ترتيب المـدارك وتقـريب المسالك للقاضي عياض ج1 / 464 ـ 472 ، الطبعة الأولى 1418 هـ ـ 1998 م ، ضبطه وصححه محمد سالم هاشـم ، دار الكتب العلمية ـ لبنان ـ ) جمهرة تراجم الفقهاء المالكية الحلقة الأولى ، رجال المالكية من كتاب ترتيب المدارك و تقريب =

- **أحكام القرآن :** لأبـــي بكـــر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المالكي ، قال في الموافقات : " ابن العربي الاستحسان عندنا و عند الحنفية هو العمل بأقوى الدليلين .." ([2]) .

---

= المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض أبي الفضل بن موسى اليحصبي السني 476هـ ـ 544هـ ، بقلم الدكتور قاسم علي سعد الطبعة الأولى ، 1423هـ ـ 2002 م ، دار البحوث و الدراسات الإسلامية و إحياء التراث ـ دولة الإمارات العربية المتحدة ج 1/ 324 ـ 326 ، رقم ترجمته 233 بتصرف ) ، طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنه وي ص 41 ،الوافي بالوفيات للصّفدي رقم ( 1666 ) ج 9 / 56 ـ 58 ، المنتظم لابن الجوزي رقم ( 1878 ) ج 12 / 346 ـ 348 ، معجم المؤلفين لرضا كحالة ج 1 / 359 ، وكتاب أحكام القرآن المذكور في الأعلى طبع مؤخراً عن دار ابن حزم ـبيروت ـ ضمن سلسلة الأجزاء و الكتب الحديثية ، رقم( 34) ، بتحقيق و تقديم و تعليق الدكتور عامر حسن صبري ، الطبعة الأولى 1426هـ ـ 2005م ، قال الإمام الذهبي عن كتابه " أحكام القرآن " : " ....لم يُسبق إلى مثِله .." ، سير أعلام النبلاء ج 13 / 340،ترجمة إسماعيل هذا رقمها في السير 157، تحقيق علي أبو زيد تحت إشراف شعيب الأرنؤوط ، العبر في خبر من غبر ج 1 / 405 ، الدِّيباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي ص 151 ـ 155 ، ترجمة رقم ( 167)

[1] ينظر الموافقات ج5 / 33 طبعة دار ابن القيم و ابن عفان ، ج 4/ 73طبعة دار الكتب العلمية

[2] الموافقات ج 196/5 تحقيق مشهور ، ج4 /150 تحقيق الدراز ، وابن العربي هو محمد بن عبد الله الأندلسي الإشبيلي المالكي صاحب التصانيف ،سأله ابن بشكوال عن مولده فقال:" ولدت ليلة الخميس لثمان بقين من شعبان في سنة ( 468هـ ـ 1076 م ) وتفقه بالإمام أبي حامد الغزالي والفقيه أبي بكر الشاشي والعلامة الأديب أبي زكريا التبريزي وجماعة،وصنف وجمع في فنون العلم وكان فصيحا بليغا خطيبا ،صنف كتاب عارضة الأحوذي في شرح جامع أبي عيسى الترمذي ، وفسر القرآن المجيد فأتى بكل بديع ، وله كتاب كوكب الحديث والمسلسلات ،وكتاب الأصناف في الفقه وكتاب أمهات المسائل وكتاب نزهة الناظر، وكتاب ستر العورة والمحصول في الأصول وحسم الداء في الكلام على حديث السوداء كتاب في الرسائل وغوامض النحويين وكتاب ترتيب الرحلة للترغيب في الملة والفقه الأصغر المعلب الأصغر وغيرها ،اشتهر اسمه وكان رئيسا محتشما وافر الأموال بحيث أنشأ على إشبيلية سورا من ماله ، توفي بالعدوة ودفن بمدينة بفاس سنة ( 543هـ ـ 1148م ) ـ رحمه الله تعالى ـ انتهى كلام ابن بشكوال ، ينظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء للذهبي ج 20 / 198 ـ 204، وفيات الأعيان لابن خلكان ج 4 / 296 ـ 297 ،طبقات المفسرين للأدنه وي ص 180 ـ 181 الوافي بالوفيات للصّفدي ترجمة رقم ( 1390 ) ج 3/ 265 ـ 266 ،الأعلام للزركلي ج 6 / 230 ، معجم المؤلفين لرضا كحالة ج 3 / 456 ـ 457 ، شذرات الذهب لابن العماد ج 6 / 232 ـ 234 ، الدّيباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون ص 376 ـ 378، ترجمة رقم ( 509 ) ، نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء لعقيل موسى ج 3 / 1412 ـ 1414 رقم ( 871 ) .

- **الناسخ و المنسوخ** ([1]) : "وذكـــر ابـــن العربي مبالغة مالك في منع نكاح المتعة ... وهذا كرمه في كتاب " الناسخ و المنسوخ "([2]) .
- **تأويل مشكل القرآن** : لابـــن قتيبة الدينوري ([3]) قال : " و تأمل ما ذكره القتبي في صدر كتابه في " مشكل القرآن " و كتابه في " مشكل الحديث " ([4]) .
- **تفسير عبد بن حميد** ([5]) : نقل عنه في الباب الخامس من الاعتصام قال:" فخرج عبد بن حميد و إسماعيل بن إسحاق القاضي و غيرهما عن عبد الله بن مسعود ﷺ ... "([1]) .

---

[1] صدر الكتاب عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية ، بتحقيق ودراسة الأستاذ الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري سنة 1408هـ ـ 1988م ، وعن هذا التصنيف يقول الباحث سعيد أعراب : " ..هو مختصر في غاية التحرير والإتقان ، اعتمده الزركشي في البرهان ، ونوه به الحافظ السيوطي في الإتقان ..." ينظر مع القاضي أبي بكر ابن العربي ، الطبعة الأولى ( 1407 هـ ـ 1987 م ) دار الغرب الإسلامي

[2] الموافقات ج1 / 388 مشهور ، ج 1/ 182 ـ183 الدراز

[3] أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري وقيل المروزي النحوي اللغوي ،صاحب كتاب المعارف وأدب الكاتب كان فاضلا ثقة سكن بغداد ،وتصانيفه كلها مفيدة منها ما تقدم ذكره ومنها : غريب القرآن الكريم وغريب الحديث ، وعيون الأخبار، ومشكل القرآن ومشكل الحديث ، وطبقات الشعراء ،والأشربة ، وإصلاح الغلط ،وكتاب الخيل وكتاب إعراب القراءات ، وغير ذلك وكانت ولادته سنة ( 213 هـ ـ 828م ) ،وتوفي في ذي القعدة سنة 70هـ وقيل سنة 71هـ ، وقيل أول ليلة في رجب وقيل منتصف رجب سنة ( 276 هـ ـ 889م ) عن عمر يناهز الثلاث والستون سنة ،والأخير أصح الأقوال ، وفيات الأعيان ج 3 / 42 ـ 44 ، سير أعلام النبلاء ج 13 / 296 ـ 302، العبر في خبر من غبر ج 1/ 397 ،الوافي بالوفيات للصّفدي رقم ( 6479 ) ج 17/ 326 ـ 327 المنتظم لابن الجوزي ترجمة رقم ( 1824 ) ج 12 / 276 ـ 277، طبقات المفسرين للأدنه وي ص 44 ، طبقات النحويين واللغويين للحسن الزّبيدي ص 183، الأعلام ج 4 / 137، معجم الأدباء لكامل سلمان الجبوري ج 1 / 195 معجم المؤلفين ج 2 / 297 ـ 298 ، نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء لعقيل موسى ج 2 / 975 ـ 977 رقم ( 567 ) .

[4] الموافقات ج 5 / 150 مشهور ، الموافقات ج4 / 129 الشيخ دراز

[5] هو الإمام الحافظ الحجة الجوال أبو محمد عبد بن حميد بن نصر الكسي ويقال له الكشي بالفتح والإعجام من بلاد السند ، يقال اسمه عبد الحميد ،ولد بعد السبعين ومائة ،حدث عنه مسلم والترمذي والبخاري تعليقا في دلائل النبوة من صحيحه ، مات سنة ( 249 هـ ـ 863 م ) ،له مسند كبير في سفر ضخم وتفسير للقرآن الكريم، ينظر سير أعلام النبلاء ج 12 /235 ـ 238 ، العبر في خبر من غبر للذهبي ج 1/ 357، طبقات المفسرين للأدنه وي ص 34( تحقيق سليمان بن صالح الخزي ، الطبعة الأولى 1417 هـ ـ 1997م ، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة ) ،الوافي بالوفيات للصّفدي ترجمة رقم ( 7435 ) ج 19 / 224 =

- **فضائل القرآن :** لأبي عبيد القاسم بن سلام ([2]) ، فقال عند ذكر سبب نزول سورة يوسف :" أنظر الحديث في فضائل القرآن " لأبي عبيد"([3]) .

- **تفسير سعيد بن منصور :** قال في الباب التاسع :" فخرج أبو عبيد في فضائل القرآن وسعيد بن منصور([4]) في تفسيره عن إبراهيم التيمى قال ...."([5]) .

---

= الأعلام ج3 / 269 ، ولقد ظهرت مؤخرا قطعة من هذا التفسير تحوي سورتي آل عمران والنساء بعناية مخلف بنيه العرف صدرت عن دار ابن حزم ببيروت ، الطبعة الأولى 1425هـ ـ 2004م .

[1] ينظر الاعتصام ج 1/ 206 طبعة دار الحديث ، ج 2 / 129 تحقيق مشهور

[2] بتشديد اللام كان أبوه عبدا روميا لرجل من أهل هراة ، واشتغل أبو عبيد بالحديث والأدب والفقه ،وكان ذا دين وسيرة جميلة ومذهب حسن وفضل بادع وروى الناس من كتبه المصنفة بضعة وعشرين كتابا في القرآن الكريم والحديث وغريبه والفقه وله الغريب المصنف والأمثال ومعاني الشعر وغير ذلك من الكتب النافعة، ويقال إنه أول من صنف في غريب الحديث ،وقال أبو بكر ابن الأنباري : كان أبو عبيد يقسم الليل أثلاثا فيصلي ثلثه وينام ثلثه ويضع الكتب ثلثه وقال أبو بكر الزبيدي في كتاب التقريظ أن مولده سنة أربع وخمسين ومائة ،وقال الذهبي : أن مولده عام سبع وخمسين ومائة، ومن تصانيفه أيضا : المقصور والممدود والقراءات،وكتاب النسب وكتاب الأحداث ،وأدب القاضي وعدد آي القرآن ، والإيمان والنذور والحيض ،وكتاب الأموال وغير ذلك رحمه الله تعالى ،قال الخطيب في تاريخ بغداد بلغني أنه عاش سبعا وستين سنة ،وقال البخاري وغيره : مات سنة أربع وعشرين ومائتين بمكة ،وفيات الأعيان ج 4/ 60ـ 63، سير أعلام النبلاء ج 10 /490 ـ 509، العبر في خبر من غبر ج 1 / 308، المنتظم لابن الجوزي ترجمة رقم ( 1279 ) ج 11 /95ـ 97 ، طبقات النحويين واللغويين للحسن الزّبيدي ص 199 ـ 202

[3] المصدر الموافقات ج 51/1 مشهور ، ج 2/ 34الدراز

[4] ابن شعبة الحافظ الإمام شيخ الحرم أبو عثمان الخراساني المروزي ويقال الطالقاني ثم البلخي ثم المكي مجاورة ،مؤلف كتاب السنن ،سمع بخراسان والحجاز والعراق ومصر والشام والجزيرة وغير ذلك من مالك بن أنس والليث بن سعد، وخلق سواهما،وكان ثقة صادقا من أوعية العلم ، وتوفي بمكة في شهر رمضان سنة سبع وعشرين ومائتين ، سير أعلام النبلاء ج 10 / 586 ـ 590 ،العبر في خبر من غبر ج 1 / 314 كلاهما للذهبي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج 3 / 126 ـ 127

[5] ينظر الاعتصام ج 2 / 418 ، ج 3 / 145 تحقيق مشهور

- **جواهر القرآن** : لأبي حامد الغزالي قال : " ....في كتاب " جواهر القرآن " في الاعتبار القرآني " ([1]) .
- **إحياء علوم الدين** : له أيضا وهذا أكثر من مرة " فقال الغزالي ([2]) كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح إليه النفس .....وله في الأحياء من هذا المعنى مواضع يعرفها من زاوله " ([3]) .

هكـذا إذَن رجـع الشاطبي في كلِّ علم إلى أهم مصادره الأصلية ، غير أن اعتماده على هذه الكـتب لـم يكن اعتماد الناقل فقط ، وإنما كان يذكر آراء المؤلفين و العلماء ، و ينسب الرأي لـصاحبه في غالب الأحيان ، وقد يذكر الرأي و لا ينسبه في مواضع أخرى ، ثم نجده يناقش الآراء إذا لم يكن موافقا عليها ، ويُثبت ما يراه فيها من قوة و صحة ، أو من ضعف و شذوذ ، فشخـصية الـشاطبي واضحة في كلِّ ما نقله أو علَّق عليه ، وهنا أود أن أشير أن الشاطبي قد

---

[1] الموافقات ج 4 / 255 مشهور ، 303/3 ـ 304الدراز ، قال الأدنه وي أحد أعلام القرن الحادي عشر عن الكتاب المذكور : " ..ذكر فيه فضائل القرآن العظيم ، وهو كتاب شريف أيضا ، جليل القدر والشأن ومعتبراً ، ينظر طبقات المفسرين للأدنه وي ص 153 ، وهنا تنبيه على أن في الجواهر بعض المؤاخذات ،منها انتهاجه منهج الفلاسفة واعتماده على بعض أصولهم ينظر ردود ابن تيمية عليه في بغية المرتاد في الرَّد على المتفلسفة مثلا ص 316، 318، 320، 327، وغيرها كثير ( بغية المرتاد تحقيق ودراسة الدكتور ـ سليمان الدُّويش ، الطبعة الثالثة 1422 هـ ـ 2001 م ، مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ـ ، السعودية )

[2] هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي ،الملقب حجة الإسلام زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي، لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله،واشتغل بنفسه وصنف الكتب المفيدة في عدة فنون منها : ما هو أشهرها كتاب "الوسيط "و"البسيط "و"الوجيز" ، ومنها "إحياء علوم الدين" وهو من أنفس الكتب وأجملها وله في أصول الفقه "المستصفى" فرغ من تصنيفه في سادس المحرم سنة ثلاث وخمسمائة وله " تهافت الفلاسفة " ، و"معيار العلم" و"المقصد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى "، وكانت ولادته سنة خمسين وأربعمائة وقيل سنة إحدى وخمسين بالطَابران (إحدى بلدتي طوس) ، وتوفي يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة بها أيضا ،ينظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج 4 / 216 ـ 219، سير أعلام النبلاء للذهبي ج 19 / 322ـ 346 ، طبقات المفسرين للأدنه وي ص 152 ـ 153، شذرات الذهب لابن العماد ج 6/ 18 ـ 22 ، حجة الإسلام لمأمون غريب ( مركز الكتاب ـ القاهرة ـ ) ، الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه للدكتور القرضاوي ( الطبعة الرابعة 1414 هـ ـ 1994م ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ) .

[3] المصدر السابق على التوالي ج 2 / 355 ـ 356 ، ج 2 /163 .

رجـــع إلى كتب المتقدمين ؛ لأنه هو المنهج المتبع عنده ، كما صرح بذلك في الموافقات فقال : "...أن يتحـــرى كـــتب المتقدمين من أهل العلم المراد ، فإنهم أقعد به من غيرهم من المتأخرين ...فأعمـــال المتقدمين ــ في إصلاح دنياهم ودينهم ــ على خلاف أعمال المتأخرين ، وعلومهم فـــي التحقيق أقعد "([1]) وقال : " فلذلك صارت كتب المتقدمين و كلامهم و سِيَّرهم أنفع لمن أراد الأخذ بالاحتياط في العلم ، على أي نوع كان ، وخصوصا علم الشريعة الذي هو العروة الوثقى و الـــوَزَرُ الأحمى " ([2]) ، وكان يعني بالمتأخرين كابن بشير ، و ابن شاش و ابن الحاجب ومن بعدهم ، فإنه قد وصف هؤلاء كما أخبرنا بذلك "أبو العباس القباب بأنهم أفسدوا الفقه ، والسبب في عدم اعتماده عليهم إما للجهل بمؤلفيها أو لتأخر أزمنتهم جداً "([3]) .

أمـــــا عـــــن تـــــاريخ **وفاتـــــه** : فلقـــــد أجمـــــع أغلـــــب المتـــــرجمون علـــى أنها سنة 790هـــ ــ 1388م ، قال المجاري في برنامجه : " توفي ﷺ في شعبان عام 790هـــــ "([4]) ؛ وجـــاء في النيل : " توفي يوم الثلاثاء الثامن من شعبان سنة 790هـــ " ([5]) ، ولقد أخطأ "علي حسب الله حيث ذكر أن سنة وفاته 780هـــ "([6]) ، بينما نجد أن هذا التاريخ قد تصَّحف أو ربما هو خطأ مطبعي جاء" في دائرة المعارف الإسلامية أن سنة وفاته 970هـــ "([7])



[1] الموافقات ج1/68 تحقيق الدارز .

[2] الموافقات ج1/153 ـ154 تحقيق مشهور ، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة1 / 110 ـ 114 ، ( جمع مجموعة من الأساتذة تحت إشراف وليد بن أحمد الحسين الزبيري ، الطبعة الأولى 1424 هـ ـ 2003 م ـ إصدارت الحكمة ـ بريطانيا ـ )

[3] نيل الابتهاج ج 1/39ـ 40

[4] الإمام الشاطبي عقيدته وموقفه من البدع ص48، الفتاوى ص 76

[5] نيل الابتهاج ج1/37،فتح المبين في طبقات الأصوليين للمراغي ج 2/ 213

[6] ينظر أصول التشريع الإسلامي ص 7

[7] دائرة المعارف الإسلامية ج 9/423 ( إعداد و تحرير إبراهيم زكي خو رشيد ، أحمد الشنتناوي و غيرهم ، الطبعة الثانية ، كتبت مقدمتها يوم 01/20 /1969م ، ـدار الشعب ـ القاهرة )

# تمهيد ومدخل

قال ابن تيمية ([1]) : " ... وقد تنازع الناس في مسمى " الكلام " في الأصل فقيل هو اسم اللفظ الدال على المعنى ، وقيل المعنى المدلول عليه باللفظ ، وقيل : لكلٍّ منها بطريق الاشتراك اللفظي ، وقيل بل هو اسم عام لهما جميعا يتناولهما عند الإطلاق وإن كان مع التقييد ، يراد به هذه تارة ، هذا تارة ، هذا قول السلف و أئمة الفقهاء و إن كان هذا القول لا يعرف في كثير من الكتب .." ([2]) .

وسبب هذا النزاع هو عدم التحري لأصليين مهمين في هذه القضية ، قال ابن تيمية " فيجب على الإنسان في [ **مسألة الكلام** ] أن يتحرى أصلين : **أحدهما** : تكلم الله بالقرآن وغيره ، هل تكلم به بمشيئته وقدرته أم لا ؟ ، وهل تكلم بكلام قائم بذاته أم خلقه فيه غيره ؟

---

[1] أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي تقي الدين أبو العباس بن شهاب الدين ابن مجد الدين ولد في عاشر ربيع الأول سنة 661 قال الذهبي ما ملخصه كان يقضي منه العجب إذا ذكر مسالة من مسائل الخلاف واستدل ورجع وكان يحق له الاجتهاد لاجتماع شروطه فيه قال وما رأيت أسرع انتزاعا للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه ولا أشد استحضارا للمتون وعزوها منه كأن السنة نصب عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة وكان آية من آيات الله في التفسير والتوسع فيه وأما أصول الديانة ومعرفة أقوال المخالفين فكان لا يشق غباره فيه هذا مع ما كان عليه من الكرم والشجاعة والفراغ عن ملاذ النفس ولعل فتاويه في الفنون تبلغ ثلاثمائة مجلد بل أكثر توفي عام 728 هـ وكان يومه مشهودا ضاقت بجنازته الطريق وانتابها المسلمون من كل فج عميق يتقربون بمشهده يوم يقوم الأشهاد ويتمسكون بسريره حتى كسروا تلك الأعواد ، ينظر الدرر الكامنة لابن حجر ج 1/ 154 ـ 170 ، كتاب الإنتصار لمحمّد بن عبد الهادي المقدسي ( تحقيق وتقديم محمّد السَّيد الجليند ، الطبعة الاولى 1423 هـ ـ 2003 م مكتبة ابن عباس ـ القاهرة ـ ) ، شذرات الذهب لابن العماد ج 8/ 142 ـ 150 ، المختار المصون من أعلام القرون لابن عقيل موسى ج 1 / 38 ـ 49 ، الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون جمعه ووضع فهارسه محمّد عزير شمس ـ علي بن محمّد العمران ؛ دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ـ مكة المكرمة ـ

[2] ينظر مجموع الفتاوى ج 12 / 67

**الثاني :** تبليغ ذلك الكلام عن الله ، وأنه ليس مما يتصف به الثاني ، وإن كان المقصود بالتبليغ الكلام المبلغ.." ( [1] ) ، ولقد نظم ذلك تلميذه ابن القيم فقال ( [2] ) :

***وإذا أردت مجامع الطرق التي ... فيها افتراق الناس في القرآن***
***فمدارها أصلان قام عليهما ... هذا الخلاف هما له ركنان***
***هل قوله بمشيئة أم لا وهل ... في ذاته أم خارج هذان***
***أصل اختلاف جميع أهل الأرض ... في القرآن فأطلب مقتضى البرهان***

**تعريف الشاطبي للقرآن :**

لقد ذهب رحمه الله على أن القرآن الكريم هو قديم ، وذلك في قوله : " وهل للقرآن مأخذ في النظر على أن جميع سوره كلام واحد بحسب خطاب العباد ، لا بحسبه في
نفسه ؟ فإن كلام الله في نفسه كلام واحد لا تعدد فيه بوجه ولا باعتبار حسبما تبين في علم الكلام " ( [3] ) .

قال ناصر حمد الفهد معلقا عن تلك الفقرة : " .. قول محدث مبتدع في الإسلام لم يعرف إلا في القرن الثالث وأول من قاله ابن كلاب([4]) وتبعه على ذلك الأشعري و الأشاعرة .." ([1]) ، ومعنى

---

[1] المصدر السابق ج 12 / 100

[2] ينظر شرح القصيدة النونية ج 1 / 115

[3] ينظر الموافقات ج 3 / 314 ، ج 4 / 274

[4] رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصري، صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة وربما وافقهم أخذ عنه الكلام داود الظاهري قاله أبو الطاهر الذهلي ،وكان يلقب كلابا لأنه كان يجر الخصم إلى نفسه ببيانه وبلاغته، وكان يقول بأن القرآن قائم بالذات بلا قدره ولا مشيئة ،وهذا ما سبق إليه أبدا قاله في معارضة من يقول بخلق القرآن ،وصنف في التوحيد وإثبات الصفات وكتاب "خلق الأفعال"، وكتاب "الرد على المعتزلة" وأن علوا الباري على خلقه معلوم بالفطرة والعقل، على وفق النص، ولم أقع بوفاة ابن كلاب وقد كان باقيا قبل الأربعين ومائتين ، قال ذلك الذهبي ، ينظر سير أعلام النبلاء ج 11 /174 ـ 176 ، نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء لمحمّد حسن عقيل موسى ج 2 / 810 رقم ( 480 ) ، ( دار الأندلس جدة ـ السعودية ـ ) ؛ وينظر قوله في القرآن مقالات الإسلاميِّين و إختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري ج 2 / 233 ( تحقيق محمّد محي الدِّين عبد الحميد ، الطبعة الأولى 1369هـ ـ 1950 م ، مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ )

الكـــلام النفـــسي كما عرفه ابن الحاجب : " بأنه نسبة بين مفردين قائمة بالمتكلم "[2] واعترضه عـــن هذا التعريف البابرتي قائلا : " ولعل الأولى أن يقال : الكلام النفسي هو الصورة العلمية للكـــلام اللفظي وهو ما تضمن كلمتين بالإسناد " [3] ، وعرفه الزرقاني من المعاصرين بـــ : " أمـــا الكـــلام النفسي بالمعنى المصدري ، فهو تحضير الإنسان في نفسه بقوته المتكلمة الباطنة للكلمـــات التي لم تبرز إلى الجوارح ، فيتكلم بكلمات متخيَّلة يرتِّبها في الذهن ؛ بحيث إذا تلفظ بها بصوت حسي كانت طبق كلماته اللفظية .

والكـــلام النفسي بالمعنى الحاصل بالمصدر: هو تلك الكلمات النفسية ؛ والألفاظ الذهنية المترتبة ترتبًا ذهنيًا منطبقا عليه الترتُّب الخارجي " [4] .

و قـــال في الاعتصام في الباب الرابع منه المعَنون بمآخذ أهل البدع بالاستدلال ، في معرض ردِّه على بعض المنحرفين قال " ... فالكلام لا يعقل إلا بأصوات وحروف ، ذلك من صفات المحـــدثات والـــبارئ تنزه عنها " ( [5] ) ، وفي نفس الباب ذكر قوله : " ... وأما كون الكلام هو الأصوات والحروف فبناء على عدم النظر في الكلام النفسي وهو مذكور في الأصول " ( [6] )

---

[1] ينظر الإعلام بمخالفات الموافقات والاعتصام ص 29 ـ30 .

[2] الـردود و النقود شرح مختصر ابن الحاجب للبابرتي الحنفي ج 1/ 464 ( دراسة و تحقيق ضيف الله بن صالح بن عون العمري الطبعة الأولى 1426هـ ـ 2005م ، مكتبة الرشد ـ الرياض ـ ) .

[3] المـصدر نفسه ج 1 / 465 ، وقال أبي البقاء الكفوي : " .. كلام النفس هو كلّ ما يحصل في النفس من حيث يدل عليه بعبارة أو إشـارة أو كـتابة ، فهو كلام النفس سواء كان علماً ، أو إرادة ،أو إذعانا ، أو خبراً ، أو استخبارا ، أو غير ذلك ... " الكليات ص 742 ( معجـم في المـصطلحات والفـروق اللغـويَّة لأبـي البقاء أيُّوب بن موسى الحسيني الكفوي ت ( 1094 هـ ) ، قابله على نسخة خطـية وأعـدّه للطَّبع ووضع فهارسه الدكتور عدنان درويش ومحمّد المصري ، الطبعة الثانية 1419هـ ـ 1998 م ، مؤسسة الرسالة ـ لبنان ـ )

[4] مناهل العرفان في علوم القرآن ج 1/ 18 ( تحقيق أحمد طعمه حلبي ، الطبعة الأولى 1420هـ ـ 1999م دار المعرفة بيروت )

[5] ينظر الاعتصام ج 1 / 171، ج 2 / 44 طبعة ـ دار التوحيد ـ

[6] المصدر نفسه ، ج 2 / 45 تحقيق مشهور

قـــال ابـــن تيمـــية : " .... بل قول القائل إن القرآن حرف وصوت قائم به بدعة ، وقوله : إنه معنى قائم بذاته بدعة لم يقل أحد من السلف لا هذا ولا هذا .." ([1]) .

وورد أيـــضا في الباب العاشر من الكتاب السابق قوله : " **والثامن:** كلام البارئ تعالى إنما نفاه من نفاه وقوفًا مع الكلام الملازم للصوت والحرف ، وهو في حق البارئ محال ، ولم يقف مع إمكـــان أن يكون كلامه تعالى خارجًا عن مشابهة المعتاد على وجه صحيح لائق بالرب ، إذ لا ينحـــصر الكلام فيه عقلا ، ولا يجزم العقل بأن الكلام إذا كان على غير الوجه المعتاد محال ، فكان من حقه الوقوف مع ظاهر الأخبار مجردًا .

**والتاســـع:** إثبات الصفات كالكلام إنما نفاه من نفاه للزوم التركيب عنده في ذات البارئ تعالى ، علـــى القـــول بإثـــباتها ، فلا يمكن أن يكون واحدًا مع إثباتها ، وهذا قطع من العقل الذي ثبت قصور إدراكه في المخلوقات ، فكيف لا يثبت قصوره في إدراكه إذا ادعى من التركيب بالنسبة إلى صفات البارئ ..." ( [2] ) .

قال الإمام ابن أبي العزّ الحنفي في تأصيل هذه المسألة : " ... وفي قوله ــ يعني الطحاوي ــ " بالحقـــيقة " رد علـــى مـــن قـــال : إنه معنى واحد قام بذات الله لم يسمع منه وإنما هو الكلام النفساني ، لأنه لا يقال لمن قام به الكلام النفساني ولم يتكلم به : أن هذا كلامُ حقيقة ، وإلا للزم أن يكـــون الأخرس متكلما ، و لزم أن لا يكون الذي في الصحف عند الإطلاق هو القرآن ولا كلام الله ، ولكن عبارة عنه ليست هي كلام الله ... " ( [3] ) .

قـــال الـــباحث عـــبد الرحمان **آدم** بعد نقله للفقرة السابقة من كلام الشاطبي : " فهذا الكلام من الشاطبي صريح في أنه يقرر مذهب الأشعرية ، ويقول به في صفة الكلام " ( [4] ) .

---

[1] التسعينية لـه ج 1 / 116،( دراسة وتحقيق الدكتور محمّد بن إبراهيم العجلان ، الطبعة الأولى 1420هـ ـ 1999م ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ )

[2] المصدر نفسه ج 2/ 521

[3] ينظر شرح العقيدة الطحاوية ص 183

[4] ينظر الإمام الشاطبي عقيدته وموقفه من البدع و أهلها ص 214

قال ابن تيمية : " و الصواب الذي عليه سلف الأمة ، كالإمام أحمد ، والبخاري صاحب الصحيح في كتاب خلق أفعال العباد و غيره ، وسائر الأئمة قبلهم و بعدهم ، اتباع النصوص الثابتة ، وإجماع السلف الأمة ، وهو أن القرآن جميعه كلام الله ، حروفه ومعانيه ، .... وليس القرآن اسمًا لمجرد المعنى ولا لمجرد الحروف بل لمجموعهما ، وكذلك سائر الكلام ..." ([1])

ومن المواصفات التي أطلقها رحمه الله على كلام الله ، أنه قديم فانظر إلى كلامه وهو يقول :

" ... فكتاب الله تعالى هو أصل الأصول ، والغاية التي تنتهي إليها أنظار النظار، ومدارك أهل الاجتهاد ، وليس وراءه مرمى لأنه كلام الله القديم﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾[2] ... " ([3]) ،

وفي موضع آخر قال : " وقسم هو مأخوذ من عادة الله تعالى في إنزاله، وخطاب الخلق به، ومعاملته لهم بالرفق والحسنى، من جعله عربيًا يدخل تحت نيل أفهامهم، مع أنه المنزه القديم.." ([4]) ، فهنا أود التنبيه على أنه لابد من اجتناب مصطلح " القديم " على القرآن ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن صاحب هذا القول : " بأنه لم يعتمد في كون كلام الله قديماً على حجة عقلية ، ولا كتاب و لا سنة .." ([5]) ، وقال أيضا : " أن أحداً من السلف و الأئمة لم يقل : إن القرآن قديم ، وإنه لا يتعلق بمشيئته وقدرته " ([6]) ، وقال عثمان السبت في أثناء تقويمه لكلام الزرقاني حول هذا المصطلح : " ...وهذا بلا شك مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة ..، فأهل السنة يعتقدون أنَّ أصل الصفة أزلي وأن آحادها حادث ، وليس معنى قولهم " حادث" أي

---

[1] ينظر التسعينية له ج 2 / 541

[2] سورة النجم الآية 42

[3] الموافقات ج 3 / 31، ج 3 / 230

[4] المصدر نفسه ج 3/ 281 ـ282 ، ج 4 / 200

[5] ينظر التسعينية له ج 2 / 611

[6] المصدر السابق ج 2 / 612

مخلوق ، لا بل المراد أنه متعلق بالمشيئة و القدرة ، فيتكلم متى شاء ، كيف شاء ، تبارك وتعالى .." (1) .

وقال الباحث محمد العروسي عبد القادر : " ووصف كلام الله سبحانه بأنه قديم أي تكلم به سبحانه قبل خلق الناس وَصف صحيح ــ وإن لم يستعمله السلف ــ فإن القرآن موجود في اللوح المحفوظ ..ولكن لما كان اللفظ يفهم منه معنى فاسداً لم يطلق إلا مع بيان ما يزيل المحذور ، والأشاعرة إذا قالوا : إن القرآن قديم ،يعنون به أن الله سبحانه لم يتكلم ، فالواجب أن يعرف كلام الله بألفاظ لا توهم بعض المستمعين معنى فاسداً " (2) ، وقال أيضا " والقديم لفظ فيه إجمال ، فإنه قد يعني به أنواعه قديمة لا أوَّل له ، وهو سبحانه لا يزال متكلما متى شاء ، فمن عنى بالقديم هذا المعنى وأنه بدأ من الله تعالى وأنه غير مخلوق فهذا معنى صحيح وقد يعنى به أنه قديم العين ثم انقطع ولم يتجدد ، وهذا المعنى هو الذي يذهب إليه الأشاعرة ومن تبعهم فإنه يعنون بالقديم أنه سبحانه تكلم في الأزل ثم سكت فهو قديم العين " (3)

وكخلاصة لهذا المدخل أشير إلى مقولة العلامة ابن القيم رحمه الله (4) :

***والله ربـــي لـــم يـــزل مـــتكلما وكلامـــه المـــسموع بـــالآذان***
***صـــدقا وعـــدلا أحكمـــت كلماتـــه طـــبًا وأخـــبارا بـــلا نقـــصان***

---

[1] ينظر مناهل العرفان دراسة وتقويم ج 1 / 212، ج 2 / 725( وهو عبارة عن رسالة ماجستير ، الطبعة الثانية 1422هـ ـ 2001م ، دار ابن عفان ـ جمهورية مصر العربية )

[2] المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين ص 222 ،( الطبعة الأولى 1410هـ ـ 1990م ، دار حافظ للنشر والتوزيع ، جدّة ) ، وللمزيد ينظر المسألة التاسعة و الثلاثون منه ص 217 ـ 225 ، والمسألة الثامنة والثلاثون حول رده لشبهة الكلام النفسي ص 205 ـ 217 ، معجم المناهي اللفظية لبكر بن عبدالله أبو زيد ص438 ـ 439

[3] المرجع السابق ص 222 ـ 223 وللمزيد ينظر المسألة التاسعة و الثلاثون منه ، الإنتصار في الرّد على المعتزلة القدرية الأشرار للشيخ يحي ابن أبي الخير العمراني ت ( 558 هـ ) ج 2 / 583 ـ591 ، دراسة وتحقيق الدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف ؛ الطبعة الأولى 1419 هـ ـ 1999 م ـ أ ضواء السلف ـ ، آراء الكلابية العقدية وأثرها في الأشعرية لهُدًى بنت ناصر السُلالي ص 128 ـ 132 ،طبعة عام 1420هـ ـ 2000 م ـ مكتبة الرشد بالرياض ـ

[4] شرح القصيدة النونية ج 1 / 107 ـ 108

ورســـــوله قـــــد عـــــاذ بالكلمـــــات مـــــن ... لـــــدغ ومـــــن عـــــين ومـــــن شـــــيطان
بـــــل عـــــاذ بالكلمـــــات وهـــــي صـــــفاته ... ســـــبحانه ليـــــست مـــــن الأكـــــوان
وكـــــذلك القـــــرآن عـــــين كلامـــــه المـــــ ... ســـــموع مـــــنه حقـــــيقة ببـــــيان
هـــــو قـــــول ربـــــي كلـــــه لا بعـــــضه ... لفظـــــاً ومعنـــــى مـــــا همـــــا خلقـــــان
تنـــــزيل رب العالمـــــين وقـــــوله ... اللفـــــظ و المعنـــــى بـــــلا روغـــــان



لقد تعرض الشاطبي في مصنفاته لمباحث علوم القرآن ، وهي المباحث المتعلقة بكتاب الله من حيث ترتيبه و أسباب نزوله ، ومكيه ومدنيه... إلى غير ذلك من المباحث .

ولقد تفاوتت درجة اهتمام الشاطبي بتلك العلوم ، بين التناول السريع ؛ والوقوف الطويل و لكن المهم أنه عرض لها ، وعنى بها في مواضعها المناسبة .

وقبل أن نبدأ في عرض كلٍّ تلك الفوائد والدرر لابد أن نذكر **تعريفا** لفن علوم القرآن فنقول :

" ... فهي تشير إلى كلِّ المعارف والعلوم المتصلة بالقرآن ، ومن ثمَّ جُمع لفظ « علوم » ولم يفرد لأن المراد شمول كل علم يبحث في القرآن من أي ناحية من نواحيه المتعددة ؛ فيشمل ذلك « علم التفسير» و « علم الرسم العثماني » و «علم القراءات » و « علم غريب القرآن» و «علم مجاز القرآن » و «علم أمثال القرآن »، إلى غير ذلك من العلوم الكثيرة التي توسع فالعلماء في بحثها

ويكون موضوعه : هو القرآن الكريم من ناحية تفسيره ؛ أو من ناحية رسمه أومن حيث طريقة أدائه أو من حيث إعجازه .. " ([1]) .

[1] للمزيد في معرفة تعريفه وأنواعه ينظر المدخل لدراسة القرآن لأبي شهبة ص 25 ـ 26 ، مباحث في علوم القرآن للقطان ص 15 ـ 16 ، مناهل العرفان للزرقاني 1 / 24 ، كتاب مناهل العرفان دراسة وتقويم لخالد عثمان السبت ج 1 / 13 ـ 24 ، أصول التفسير للعك ص 39 ـ 40 ، علوم القرآن بين البرهان والإتقان لحازم سعيد حيدر ص 17 ـ 27 ، علوم القرآن للدكتور عدنان محمّد الزرزور ص 123 ـ 126 ، الواضح في علوم القرآن للدكتور مصطفى ديب البغا ـ مجي الدين ديب مستو ص 8 ، محاضرات في علوم القرآن للدكتور غانم قدوري الحمد ص 7 ، مورد الظمآن في علوم القرآن لصابر حسن محمد ص 6 ـ 8

# المبحث الأول
# المكي و المدني في القرآن الكريم

## المطلب الأول :

لقد اختلف المفسرون والباحثون في معنى المكي والمدني ، فصاروا ثلاث فرق :

قال الشيخ الطاهر الجزائري : " اعلم أن للناس في المكي والمدني ثلاث اصطلاحات : **أحدها** أن المكي ما نزل على النبي بمكة ، والمدني مانزل عليه بالمدينة ... ، ويدخل في مكة ضواحيها كامنزل عليه بمنى ، عرفات ، الحديبية ويدخل في المدينة أيضا ضواحيها كالمنزل عليه ببدر و أحد .

**الثاني** : أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة ، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة

**الثالث** : أن المكي ما نزل قبل الهجرة و إن نزل بغير مكة ، والمدني ما نزل بعد الهجرة ، وإن نزل بغير المدينة " ([1]) .

إذن الملاحظ من هذه الفقرة أنه قد تفاوتت نظرة هؤلاء الأعلام في تعريف هذين المصطلحين وهذا بسبب نظرة كلّ واحد ، فمنهم من إعتمد على المكان و الآخر على الزمان ؛ وثالث على النص والخطاب أما عن أهمية معرفة هذا العلم وما يحتويه من فوائد جمة فنذكر منها الآتي ([2]) :

---

[1] ينظر التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن ص 03 ( الطبعة الأولى 1334 هـ ، مطبعة المنار ـ مصر ـ )

[2] المدخل لدراسة القرآن الكريم محمّد أبوشهبة ص 29 ( الطبعة الثالثة 1407هـ ـ 1987 م ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، المملكة السعودية ) ، وللتوسع أكثر حول معنى المكي والمدني ينظر المراجع الآتية : الإتقان للسيوطي ص 43 ـ 45 ( تحقيق مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد 1426 هـ ) ، الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي ج 1 / 203 ( الطبعة الأولى 1427 هـ ـ 2006 م تحقيق مجموعة من الباحثين ، جامعة الشارقة ) تاريخ القرآن الكريم للدكتور محمّد سالم محيسن ص 49 ـ 56 ( السنة الثانية 1402 هـ ـ نشر دار الأصفهاني بجدة ) ، علوم القرآن من خلال مقدمات علوم التفاسير للدكتور محمّد صفاء شيخ إبراهيم حقي ج 2 / 203 ، ( الطبعة الأولى 1425 هـ ـ 2004 ، مؤسسة الرسالة ) ، المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية للدكتور شعبان محمد إسماعيل ج 1 / 269 ـ 271 ( الطبعة الأولى 1400هـ ـ 1980 م ؛ دار الأنصار ـ مصر ـ ) محاضرات في علوم القرآن للدكتور غانم قدوري الحمد ص 77 ـ 78 ( الطبعة الأولى 1423 هـ ـ 2003 م ، دار عمار ـ الأردن ـ ) =

ـــ معرفة الناسخ والمنسوخ .

ـــــ يعين في معرفة تاريخ التشريع و الوقوف على سنة الله الحكيمة في تشريعه ، وهي التدرج في التشريعات بتقديم الأصول على الفروع ، والإجمال على التفصيل .

## المطلب الثاني : أراء الشاطبي فيهما

مـــن المسائل التي اهتم بها الشاطبي هذه القضية ، وهو ليس بدعًا في ذلك فهاته المسألة تحدث فيها الكثيرون من قبله ، و يمكن حصر الكلام فيها في بعض النقاط :

- **مفهوم المكي و المدني :** سيتبين لنا أن الضابط عنده هو مكان النزول ، فما نزل قبل الهجرة هو المكي ؛ وما نزل بعدها فهو المدني ، وهذا هو الراجح إن شاء الله .

تكلَّـــم رحمـــه الله عن **المطلق و المقيد** فقال : " التقييدات وردت في الأصول المدنية ، مثل : العـــدل و الإحسان و الصبر فهذه الأمور العادية الأخيرة جاءت مطلقة "([1]) ، ومعني الكلام هنا أن الآيات الدالة على العدل و الإحسان و غيرها ، وردت مطلقة في القرآن المنزل بمكة

وقـــال : " المدنيات هو جزئية أو هي تكميل لأصلي كلي ، وإن بدت لأول مرّة كلِّية، فالكليات الخمس ( الدين ، النفس ، العقل ، النسل ، المال ) أنزلت بمكة .." ثم دلل على كلامه هذا قائلا " ومنها الدين فهو أصل ما دعا إليه القرآن و السنة وما نشأ عنهما ، وهو أول ما نزل بمكة ، و أمـــا الـــنفس فظاهرٌ إنزال حفظها بمكة كقوله تعالى ﴿ **وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ** ﴾([2])،﴿ **وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩** ﴾([3]) ، و أما العقل فوروده في

---

= الواضح في علوم القرآن للدكتور مصطفى ديب البغا ـ محي الدين ديب مستو ص 63 ـ 64 ، المقدمات الأساسية في علوم القرآن للجديع ص 57 ـ 58 ( منشورات مركز البحوث الإسلامية ببريطانيا ، الطبعة الأولى 1422 هـ ـ 2001م ـ توزيع دار الريان بيروت)

[1] الموافقات ج 3 / 33 ( ط ـ دار الكتب العلمية ) ، ج 3 / 235

[2] سورة الأنعام الآية 151

[3] سورة التكوير الآية9

المكـــيات مجملا ، إذ هو داخل في حرمة حفظ النفس ، كسائر الأعضاء وهذا إن لم يرد تحريم ما يفسده وهو الخمر إلا بالمدينة ، وشرب الخمر قد بين الله مثالبها في القرآن حيث قال ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾ ([1]) ، فظهـــر أنها من العون على الإثم و العدوان "([2]) قال : " فالعقل محفوظ شرعا في الأصول المكية عما يزيله رأســـا " ([3]) ، " أما النسل فقد ورد المكي من القرآن بتحريم الزنى ، و الأمر بحفظ الفروج إلا على الأزواج أو ملك اليمين ، أما المال فورد فيه تحريم الظلم ، و أكل مال اليتيم ، و الإسراف و البغـــي ، ونقص المكيال أو الميزان ..." ، " أما العرض الملحق بها فداخل تحت النهي عن إذايات النفوس " ([4]) ، وبالطبع فالشاطبي يقصد بالحفظ هنا الحفظ من جانبي الوجود و العَدَم وإلى هذا أشار الشيخ " ماء العينين " بقوله ناظم ([5]) :

| | |
|---|---|
| ***لـــــذا إذا رأيـــــتَ فـــــي المدنـــــيَّات*** | ***أصـــــلاً و كُلِّـــــيا تأمـــــل بالثَّـــــباتِ*** |
| ***تجـــــده جـــــزئياً بنـــــسبة إلـــــى*** | ***مـــــا هـــــوَ قُـــــل أعـــــمٌ مـــــنه مُـــــسجَلا*** |
| ***أو جـــــاء تكمـــــيلا لأصـــــل كُلِّـــــي*** | ***كـــــان بمكَّـــــة فخُـــــذ للـــــنقل*** |
| ***كالخمـــــسة التـــــي بحفظهـــــا أُمـــــر*** | ***ديـــــنٌ و نفـــــسٌ ثـــــم عقـــــلٌ يُـــــشتهَر*** |
| ***و النسلُ و المالُ فكُلٌّ مكيَّة*** | ***وزيدَ للتكميل في المدنيَّة*** |

ثم أضاف الشاطبي رحمه الله عن حفظ الدين قائلا : " هو راجع إلى التصديق بالقلب و الانقياد بالجوارح ، و التصديق بالقلب آت بالمقصود في الإيمان بالله و رسوله واليوم الآخر ، فالأصل وارد فـــي المكـــي و قد جاء في المكي من ذلك النطق بالشهادتين و الصلاة و الزكاة ، وذلك يحـــصل به معنى الانقياد ، أما الصوم و الحج فمدنيان من باب التكميل على أن الحج كان من فعل العرب أولا ، وارثة عن أبيهم إبراهيم فجاء الإسلام فأصلح منه ما أفسدوا و ردهم فيه إلى

---

[1] المائدة الآية 91

[2] الموافقات ج 3/ 34ـ 35

[3] نفس المصدر ج 3/ 34

[4] نفس المصدر السابق ج 3 / 35

[5] المرافق على الموافق ج1 / 372

شـــارعهم ، وكـــذلك الصيام أيضا ، فلقد كان صوم يوم عاشوراء في الجاهلية ، و الجهاد الذي شرع بالمدينة ، فرع من فروع الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر وهو مقر بمكة ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾[1] ، إذن فالتـــشريع المدنـــي أحكم تلك الـــشرائع و العبادات ، فأقرهما على ما أقر الله تعالى من التمام الذي بينه في أعظم أيامه حيث قال تعالى ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾[2] " [3] ، فهذه الأحكام كلها لها أصل في السور المكيَّة على الجملة . ثم واصل رحمه الله الكلام عن المكي و المدني في فصل **الأحكام و النسخ**

فقـــال : " اعلـــم أن القواعد الكلية هي الموضوعة أولاً، والذي نزل بها القرآن على النبي ﷺ بمكـــة ثم تبعها أشياء بالمدينة كملت بها تلك القواعد التي وضع أصلها بمكة وكان أولها الإيمان بـــالله ورســـوله واليوم الآخر، ثم تبعه ما هو من الأصول العامة كالصلاة وإنفاق المال وغير ذلـــك، ونهـــى عـــن كلِّ ما هو كفر أو تابع للكفر كالافتراءات التي افتروها من الذبح لغير الله وللـــشركاء الذين ادَعوهم افتراء على الله ..... وإنما كانت الجزئيات المشروعات بمكة قليلة والأصـــول الكلـــية كانـــت فـــي النزول والتشريع أكثر؛ ثم لما خرج رسول الله ﷺ إلى المدينة واتـــسعت خطَّـــة الإسلام كملت هنالك الأصول الكلية على تدريج كإصلاح ذات البين والوفاء بالعقود وتحريم المسكرات وتحديد الحدود ....." [4] ، وهذا كله تأكيد على أن الكليات الخمس ، أو مـــا يعـــرف بالـــضروريات نزلت بمكة ، والتكميل بالجزئيات إنما نزل في القرآن المدني ، ونظم لنا صاحب " المرافق على الموافق " قائلا [5] :

---

[1] سورة لقمان الآية 17

[2] سورة المائدة الآية 03

[3] ينظر الموافقات ج 3 / 35 ـ 36

[4] المصدر نفسه ج 3/ 77ـ 78 تحقيق الدراز ، ج 3 / 335 ـ 336 تحقيق مشهور

[5] المرافق على الموافق ج 1 / 409

أصـــــل قـــــواعدَ لأحكـــــام وضـــــع كلّـــــيُها بمكَّـــــة كمـــــا سُـــــمع
وكملـــــت لـــــدى المديـــــنة بمـــــا يتـــــبعها مـــــن كـــــلِّ جزئـــــيٍّ ســـــما
وذاك كالإيمان و الصَّلاة و الأمر بالعرف ونهي آت

ومـــن العلماء الذين ذهبوا مذهب الشاطبي في أن أصل الإنفاق نزل بمكة ، الشيخ محمّد الطاهر بن عاشور في قوله : " ... فلذلك أنا أرى لأن الزكاة فُرضت على المسلمين بوجه إجمالي غير مـــضبوط ولا ممـــنوع في أول الإسلام ، وكانت مقاديرُها ومواقيتُها موكولةٌ لما عليه المؤمنون حينـــئذٍ من قوة الإيمان وإيثار التقرب إلى مرضاة الله تعالى على رغائب نفوسهم ،وأحسب أنها فرضـــت مع فرض الصلاة أو قريبًا منه ... وفرضت الزكاة المحددة المنوعة في سنة اثنين أو ثلاث بعد الهجرة .." ([1]) .

فالـــشاطبي رحمـــه الله يحدد الإطار التاريخي لنزول القرآن الكريم اعتمادا على ما احتوته من القـــواعد العامـــة للشريعة ، قال العبيدي : " ويوضح أن طابع التشريع بمكة كان طابع التأطير بوضـــع الكليات العامة للإسلام ، وأن طابعه بالمدينة كان طابع التشريع العلمي الذي يتوجه إلى الوقائع الجزئية المندرجة في تلك القواعد العامة ، فتعد تكميلا لها ، أو تطبيقا لمقتضياتها " ([2]) .

ومما قرره أيضا بعض **الخصائص التي يمتاز بها المكي** فقال : " ..وغالب المكي أنه مقرِّر لثلاثة معان، أصلها معنى واحد وهو الدعاء إلى عبادة الله تعالى :

**أحدها** تقرير الوحدانية لله الواحد الحق ،غير أنه يأتي على وجوه، كنفي الشريك بإطلاق أو نفيه بقيد ما ادَّعاه الكفار في وقائع مختلفة، من كونه مقرِّبا إلى الله زلفى أو كونه ولداً ، أو غير ذلك من أنواع الدعاوى الفاسدة .

و**الثاني** تقرير النبوة للنبي محمد، وأنه رسول الله إليهم جميعا صادقا فيما جاء به من عند الله

---

[1] ينظر أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ص 305 ـ306 ( قرأه وخرَّج أحاديثه ووثق شواهده محمد الطاهر الميساوي ، الطبعة الأولى 1421هـ ـ 2001 م ، دار النفائس ـ الأردن ـ )

[2] ينظر الشاطبي ومقاصد الشريعة ص 129

و**الثالث** إثبات أمر البعث والدار الآخرة ،وأنه حق لا ريب فيه، بالأدلة الواضحة والرد على من أنكر ذلك ....." ([1]) ، قال : " فهذه المعاني الثلاثة هي التي اشتمل عليها المنزل من القرآن بمكة في عامة الأمر ، و ما ظهر ببادئ الرأي خروجه عنها فراجع إليها في محصول الأمر " ([2]) ، ويشير "ماء العينين" ناظما([3]) :

**ولم يكُن بذا اكتفاءٌ حتىَّ خاطَبَ بالتوحيدِ قبلُ بتَّا**
**مع دلائِل لأخرى آتيا كذلك الإيمانُ قُل بالأنبيا**

ومن **مواصفات السور المكية** أيضا ذكر ما يلي : " وأما ما يرجع إلى الاتصاف بمكارم الأخلاق وما ينضاف إليها؛ فهو أول ما خوطبوا به ، وأكثر ما تجد ذلك في السور المكية من حيث كان آنسَ لهم، وأجري على ما يُتَمدَّح به عندهم كقوله تعالى﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ ([4]) وقوله تعالى﴿ ۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا ﴾ ([5]) إلى انقضاء تلك الخصال ...."([6]) ، وهنا أشار رحمه الله إلى مكارم الأخلاق ، قال " ماء العينين "([7]) :

**قد كان في مكارم الأخلاق أولُ الخطاب بالإطلاقِ**

---

[1] الموافقات ج 3 / 311 ـ 312 الدراز ، ج 4 /269 ـ 270 مشهور

[2] نفس المصدر ج 3 / 312، ج 4 / 270 على التوالي

[3] المرافق على الموافق ج 1 / 198

[4] سورة النحل الآية 90

[5] سورة الأنعام الآية 151

[6] الموافقات ج2 / 58 الدراز ، ج 2 / 122 ـ 123 مشهور

[7] المرافق على الموافق ج1 / 196

ثم استطرد في ذكر أقسام تلك المكارم فقال : " وهي على ضربين :
**أحـــدهما** ما كان مألوفا وقريبا من المعقول المقبول، كانوا في ابتداء الإسلام إنما خوطبوا به، ثم لمَّـــا رســـخوا فيه تمم لهم ما بقي وهو **الضرب الثاني** وكان منه ما لا يعقل معناه من أول وهلة فأخِّر، حتى كان آخره تحريم الربا، وما أشبه ذلك " ([1]) .
ويؤكد لنا صاحب المرافق فذكر([2]) :

**وهـــي علـــى ضـــربين مألـــوفٌ قـــريبُ ... مـــن العقـــولِ قابـــلٌ لـــه الأريـــبُ**
**كقـــولهِ يأمُـــرُ بالعـــدلِ وبـــال ... ـإحـــسان مـــع إيـــتاء ذِي القربـــىَ قـــبل**
**ثانـــيهما لـــم يُعقلَـــن معـــنًاه ... كمـــثل تحـــريم الـــرِّبا أنـــسَاه**

ويـــزيد في تأكيد كلِّ تلك الأمور بقوله : "وبيان ذلك أن المشروعات المكية وهى الأولية كانت فـــي غالـــب الأحـــوال مطلقة غير مقيدة، وجارية على ما تقتضيه مجاري العادات عند أرباب العقول وعلى ما تحكمه قضايا مكارم الأخلاق" ([3]) ، ونظم" ماء العينين" ذلك ([4]) :

**وكـــلُّ مـــشروعٍ بمكَّـــة يُـــرى ... فـــي غالـــب الأحـــوالِ مطلقـــا جَـــرى**
**غيـــر مُقـــيَّد و جاريـــا علـــى ... مواقـــعِ العـــادات عـــند العُقـــلا**
**كـــذا علـــى مـــا حكَمـــت قـــضايا ... مكـــارم الأخـــلاق فـــي المـــزايا**
**مـــن كـــلِّ مـــا عُـــرف فـــي مَحاسِـــن ... عـــاداتهم فعـــلا و قـــول الألـــسن**
**مـــع التـــباعُد عـــن الـــذي نُكِـــر ... لـــدى محاســـنِ العـــادات شُـــهر**

[1] الموافقات ج 2/ 59 الدراز ، ج 2 / 124 مشهور
[2] المرافق على الموافق ج 1 / 198
[3] الموافقات ج 4 / 169 الدراز ، ج 5 / 234 مشهور
[4] المرافق على الموافق ج 2 / 724

وأما عن الأحكام المدنية : "فمنزلة في الغالب على وقائع لم تكن فيما تقدم من بعض المنازعات والمشاحات والرخص والتخفيفات ..... فإن الكليات كانت مقررة محكمة بمكة، وما أشبه ذلك مع بقاء الكليات المكية على حالها ،ولذلك يؤتى بها في السور المدنيات تقريراً وتأكيداً ، فكملت جملة الشريعة، والحمد لله بالأمرين، وتمت واسطتها بالطرفين .." ([1]) ، و أشار صاحب " الموافق على المرافق " ([2]) :

**وكُلٌّ ذا كأنه تكميل لما بمكَّة يُرى تنزيل**
**فبُينت كليَّةٌ بالجزئيَّات وقررِّت جزئيةٌ بالكليات**

قال الباحث الريسوني : "أن التشريعات التي جاءت بالمدينة ، وإن وجد فيها ما يعتبر أصلا كليا و قاعدة عامة ، فإنها تعتبر فروعًا للكليات الأعم و الأهم ، وهي التي نزلت لأهميتها ــ بمكة ــ فمقاصد التشريع العليا ، و أسسه الكبرى ، تم إرساؤها في القرآن المكي ، جنبا إلى جنب مع أصول العقيدة و أسسها " ([3]) .

ويستفاد هنا قاعدة التدرج في سنِّ الأحكام والقوانين ، فلو حدث أن خاطبهم بما لم تَألفهُ أنفسهم؛ لرُبما رفضوه في الغالب أو تثاقلوا على فعله .

ومما أبرزه لنا الشاطبي في هذا الموضوع **قاعدة من القواعد التفسيرية** ضرورية، لكل من يريد أن يخوض غمار التفسير ، أو كلُّ من يريد حقا تدبر القرآن الكريم ؛ ألا وهي قوله : " المدني من السور ينبغي أن يكون منزلا في الفهم على المكي، وكذلك المكي بعضه مع بعض والمدني بعضه مع بعض ،على حسب ترتيبه في التنزيل وإلا لم يصح ،والدليل على ذلك أن معنى الخطاب المدني في الغالب مبني على المكي كما أن المتأخر من كل واحد منهما مبني على متقدمه، دل على ذلك الاستقراء ...." ([4]) ، وهنا قال الباحث الجيلالي المريني :" .. حتى

---

[1] الموافقات ج 4 / 172 الدراز ، ج 5 / 238مشهور

[2] المرافق على الموافق ج 2 / 726

[3] نظرية المقاصد عند الشاطبي ص 133

[4] الموافقات ج 3 / 304 الدراز ، ج 4 / 256 مشهور

تكــون الــرؤية شــمولية ، وكاملة ، والتفسير ، وفق هذا المنهج كفيل بمعرفة كلام الله ، لأن القــرآن وحــدة متكاملة يكمل بعضه بعضا ، و يفسر بعضه بعضا .."[1] ، ولشرح هذه القاعدة ينظر ما ذكره الباحث " عثمان بن خالد السبت "[2] ، فالمحصلة هي أنه لابد للمفسر من مراعاة الترابط بين الآيات المكية و المدنية ، و المتقدم من كل واحد من القسمين مع المتأخر من نوعه وهــذا من فوائد معرفة المكي و المدني ؛ وسيأتي إيضاح ذلك في مبحث الناسخ و المنسوخ إن شــاء الله . ومــن الأمثلة التي ضربها على كلامه الأخير ــ سورة الأنعام ــ قال:" فإنها نزلت مبيــنة لقــواعد العقائــد وأصول الدين، وقد خرَّج العلماء منها قواعد التوحيد التي صنف فيها المــتكلمون مــن أول إثــبات واجب الوجود إلى إثبات الإمامة"[3] ،ومن أول السور التي نزلت بالمديــنة علــى النبي ﷺ بعد الهجرة " سورة البقرة "[4] : " وهي التي قررت قواعد التقوى المبنية على قواعد سورة الأنعام ، فإنها بينت من أقسام المكلفين جملتها ...."[5] ، ثم ختم كلامه بــزيادة تأكيد على تفهم ما قاله : " فلا يغيبن عن الناظر في الكتاب هذا المعنى، فإنه من أسرار علوم التفسير، وعلى حسب المعرفة به تحصل له المعرفة بكلام ربه سبحانه" [6] .

---

[1] القواعد الأصولية عند الشاطبي ص 112

[2] ينظر قواعد التفسير جمعا ودراسة ج 78/1

[3] الموافقات ج 3 / 304 الدراز ، ج 4 / 256 ـ257مشهور

[4] هي مدنية باتفاق العلماء قال أبو المظفر السمعاني " اعلم أن سورة البقرة مدنية باتفاق الأئمة "( تفسير القرآن ج 1 /40 ، دار الوطن ـ الرياض ـ تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم ، الطبعة الأولى 1418هـ ـ 1997م )، وقال ابن كثير : وروي في ذلك آثار عن ابن عباس ، وعن عبد الله بن الزبير ، زيد بن ثابت رضي الله عنهم ..، وهكذا قال غير واحد من الأئمة و العلماء و المفسرين ولاخلاف فيه " (تفسير القرآن العظيم ج 1 / 119 ـ120الطبعة الأولى 1423هـ ـ 2002م دار ابن حزم بيروت )

[5] الموافقات ج 3 / 305 الدراز ، ج 4/ 257 مشهور

[6] نفس المصدر ج 3 / 305 ، ج 4 / 258 على التوالي

# المبحث الثاني
# المحكم والمتشابه في القرآن الكريم

**المطلب الأول : معاني المحكم و المتشابه**

**المحكم في اللغة :** عرف بعدة عبارات ، و نذكر منها ما يلي:

عرفَه ابن فارس ([1]) : " الحاء و الكاف و الميم أصل واحد ، وهو المنع ، و أول ذلك : الحُكم ، وهو المنع من الظُلم ، وسمِّيت حَكَمة الدابة لأنها تمنعها "([2]) .

وفي" لسان العرب " هو : " الذي لا اختلاف فيه ، و لا اضطراب ، فعِيلٌ بمعنى مُفعَلٍ ، أحُكم فهو محكَم ....وقيل ما لم يكن متشابهاً لأنه أحكِم بيانه بنفسه و لم يفتقر إلى غيره " ([3]) .

---

[1] أبـو الحـسين أحمـد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي ؛ كان إماماً في علوم شتى ، خصوصا اللغة فإنه أتقنها وألـف كـتابه " المجمـل في اللغـة " وهـو على اختصاره جمع شيئا كثيرا ، وله كتاب " حلية الفقهاء " وله رسائل أنيقة ، ومسائل في اللغـة ، ومـنه اقتبس الحريري صاحب المقامات ذلك الأسلوب ، ووضع" المسائل الفقهية في المقامة الطبية " ، وهي مائة مسألة ، وكان مقيما بهمذان ، وعليه اشتغل بديع الزمان الهمذاني صاحب المقامات وله أشعار جيدة كثيرة ، توفي بالري سنة تسعين وثلاثمائة ، وقيل إنـه تـوفي في صفر سنة خمس وسبعين وثلاثمائة بالمحمدية ، والأول أشهر ، ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان رقم ( 49 ) ج 1 / 118 ـ 119 .

شـذرات الـذهب لابن العماد ج 4 / 480 ـ 482 ، سير أعلام النبلاء للذهبي رقم ( 65 ) ج 17 /103 ـ 106، الوافي بالوفيات للصّفدي رقم ( 915 ) ج 7 / 181 ـ 183 ، الديباج المذهب لابن فرحون رقم ( 30 ) ص 94 .

[2] معجـم مقايـيس اللغـة ج 2 / 91 ـ 92 ، مُجمـل اللغة ج1 / 246 ،تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ج 31 / 516 مادة [ حكم ]

[3] لسان العرب ج 2 / 129 .

وقال الإمام المازري : " فأما حقيقة المحكم في اللّغة ؛ فإنه السديد النظم المفيد فائدة صحيحة ، ألا تـــراهم يقولون : بناء محكم ، وصيغة محكمة ، بمعنى حسن الترتيب والنظام ، وعدم التثبج والتخلـــيط ، فكـــذلك الكلام الحسن النظام لفظا ومعنى ، يوصف بأنه محكم والمتشابه في اللّغة بمعنـــى المتماثل ، ولا فرق بين قولنا هذا البياض يشبه هذا البياض ، ويكون المتشابه في اللغة أيضا بمعنى الملتبس المشكل ، وربما كان هذا المعنى الثاني مأخوذا من الأول .." ([1]) .

ولقـــد عـــدَّد لـــنا الباحث عبد الكريم ابن محمّد النملة اثني عشر مذهبا في تعريف ــ المحكم و المتـــشابه ــ وقـــال إن أقربها للصحة : " ... أن المحكم هو ما أمكن معرفة المراد بظاهره أو بدلالة تكشف عنه ؛ والمتشابه ما لم يمكن معرفة المراد بظاهره أو ما يعلم تأويله إلا الله " ([2])

## المطلب الثاني : المحكم و المتشابه عند الشاطبي

لا ريـــب أن الـــشاطبي قد أدلى بدلوه أيضا ، في هذه المسألة ، ويمكن حصر كلامه حولها في الجوانب الآتية:

1. **وجود التشابه** في الشريعة ومن ضمنها القرآن الكريم : لقد أثبث رحمه الله وجوده فقال " فإن الشريعة قد اشتملت على ما تعرفه العرب عامة ، وما يعرفه العلماء خاصة ، وما لا يعلمه إلا الله تعالـــى ، وذلك المتشابهات فهي شاملة لما يوصل إلى فهمه على الإطلاق وما لا يوصل إلـــيه علـــى الإطلاق .." ([3]) ، ثم شرح تلك المتشابهات قائلا " ..أما المتشابهات فإنها من قبيل غير ما نحن فيه لأنها إما راجعة إلى أمور إلهية لم يفتح الشارع لفهمها بابا غير التسليم والدخول

---

[1] إيضاح المحصول من برهان الأصول ص 313 ، ( دراسة وتحقيق الدكتور عمار الطالبي ، الطبعة الأولى 2001م دار الغرب الإسلامي ، بيروت ) ، الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي ج 5 / 8 ـ 9 ، بحوث منهجية في علوم القرآن لموسى إبراهيم ص 155

[2] ينظر الخلاف اللفظي عند الأصوليين ج 2 / 16 ـ 20 بتصرف ( الطبعة الأولى 1417 هـ ـ 1996 م ، مكتبة الرشد ـ الرياض ـ ) ، ولمعرفة معانيه أكثر ينظر : الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي ج 5 / 6 ـ 12 ،

[3] الموافقات ج 2 / 69 دار الكتب العلمية ، ج 2 / 145 دار ابن القيم ـ ابن عفان

تحت آية التنزيه وإما راجعة إلى قواعد شرعية فتتعارض أحكامها " ([1]) .

وقال عن هذا القسم الأخير بأنه " خاص مبنى على عام " ([2]) .

1. **معاني المحكم و المتشابه** : عرف رحمه الله المحكم بحسب إطلاقاته فقال :

" أما عن **المحكم** : يطلق بإطلاقين عام وخاص ، **فالخاص** هو الذي يراد به خلاف المنسوخ وهي عبارة علماء الناسخ والمنسوخ ، فيقولون هذه الآية محكمة وهذه الآية منسوخة ، وأما **العام** : فالذي يعني به البيِّن الواضح الذي لا يفتقر في بيان معناه إلى غيره ويقابله المتشابه بالإطلاق الأول هو المنسوخ وبالإطلاق الثاني الذي لا يتبين المراد به من لفظه " قال : " وعلى هذا الثاني مدارك كلام المفسرين في بيان معنى قول الله تعالى ﴿ **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ** ﴾ ([3]) ...." ([4]) .

ولقد قام" ماء العينين" بنظم نثره فقال ([5]) :

| | |
|---|---|
| فمحكمٌ يطلقُ إطلاقَينِ | ما عمَّ أو ما خصَّ دون مينِ |
| ما خصَّ ما رِيدَ به خلاف | منسوخهم عبارةٌ تضاف |
| لعلماء ناسخَ و منسوخ | نسخ أولا عند ذي الرُّسوخ |
| أمَّا الّذي عمَّ فيُعنى البيِّنُ | لم يفتقر إلى بيانٍ عيَّنوا |
| فالمتشَابهُ هو المنسوخُ أو | ذاك الّذي لم يتبيَّن قد رووا |

ومعنى البيان المندرج تحت المحكم كما يقول الباحث عبد الحميد العلمي : " سواء كان هذا البيان صفة ذاتية له " كالكلام المستغني عن التفسير" ، لوضوحه في نفسه ؛ أم صفة عارضة للفظ المحتمل الذي كان بحاجة إلى تفسير ، ثم ورد عليه بيانه . " ([6]) .

---

[1] المصدر نفسه على التوالي ج 2 / 69 ، ج 2 / 146

[2] المصدر نفسه ج 2 / 69، ج 2 / 146

[3] سورة آل عمران الآية 07

[4] ينظر الموافقات ج 3 / 63، ج 3 / 305

[5] المرافق على الموافق ج 1 / 395، ومعنى المين في البيت الأول هو الكذب

[6] منهج الدرس الدلالي عند الإمام الشاطبي ص257

وهنا يلتقي قول الشاطبي مع قول ابن تيمية في تعريف المحكم و المتشابه حين قال : " ...وهو أن الله قـد جعل المحكم مقابل المتشابه تارة ، ومقابل المنسوخ أخرى...ويدخل فيه المجمل فإنه متشابه ، وإحكامه رفع ما يتوهم فيه من المعنى الذي ليس بمراد .." ( [1] ) .

وقال رحمه الله أيضا في الدرء : " ..... هو التشابه العام الذي وصف الله به القرآن في قوله ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ ﴾ [ الزمر: 23 ] وهذا ليس هو التشابه الخاص الذي وصف الله تعالى بعض القرآن في قوله ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ [ آل عمران: 7 ] فإن ذلك التشابه العام يراد به التناسب والتصادق و الإئتلاف " ( [2] ) .

و أمـا عن مصطلح المتشابه عند الشاطبي فهو اللفظ الخفي الدلالة ، أو الذي يحتمل عدة أوجه جملـة واحـدة ، ثـم أوضـح ذلك مرة أخرى بقوله : "وإذا تؤمل هذا الإطلاق وجد المنسوخ والمجمـل والظاهـر والعـام والمطلق قبل معرفة مبيِّناتها داخلةً تحت معنى المتشابه ، كما أن الناسخ وما ثبت حكمه والمبين والمؤوّل والمخصص والمقيّد داخلة تحت معنى المحكم " ( [3] ) .

والآن يمكـن إطـلاق القول بأن كلُّ نص واضح محكم ، وكلّ نص أو كلام خفي فهو متشابه ، قال الكافيجي ( [4] ) معلقا على مثل ما نحن فيه : " ... أما المحكم فهو ما أحكمت عباراته ؛ بأن حفظـت عن الاحتمال والاشتباه ، أي : هو المتضح المعنى ، يتناول المفرد والمركب ويندرج فـيه ؛ الظاهـر والنص والمفسر .... ، وأما المتشابه فهو ما تكون عباراته مشتبهة محتملة ،

---

[1] ينظر مجموع الفتاوى ج 13 / 272 ـ 273

[2] درء تعارض العقل والنقل ج 1 / 274 ( تحقيق الدكتور محمّد رشاد سالم ـ دار الكنوز الأدبية ـ )

[3] ينظر الموافقات ج 3/ 63 ، ج 3 / 306 مشهور

[4] هو محي الدين محمد بن سليمان ابن سعد بن مسعود ،ولد سنة 788 هـ بككجة كي من بلاد صروخان ، ومصنفاته بلغت المائة وأغلبها صغير الحجم ، منها " حاشية على تفسير البيضاوي " ، " حاشية على الكشاف " توفي ليلة الجمعة الرابع من جمادى الأولى 879 هـ ، ينظر حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي 1 / 549 ـ 550 ( تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى 1967 هـ ـ 1387 هـ ، مكتبة إحياء الكتب ) ، الأعلام للزركلي ج 6 / 150

يندرج فيه الخفي والمشكل والمجمل .. " ([1]) .

ومما ذكره أن " التشابه قد علم أنه واقع في الشرعيات، لكن النظر في مقدار الواقع هل هو قليل أم كثير؟ والثابت من ذلك القلة لا الكثرة " ([2]) .

قال صاحب "المرافق على الموافق" ([3])

تشابهٌ يقع في الشَّرعيَّات ... وهل كثيرٌ أو أتى بقلات

وثابتٌ من ذاك قيل القِلَّة ... لا كثرةٌ للنَّصِّ عند الجِلَّة

فالشاطبي لا ينفي وجود التشابه في القرآن خاصة أو في الشريعة عامة ، و لكن مقدار وجوده فيه هو قليل ؛ ثم استدل رحمه الله على قلته بأمور وهي :

" **أحدها** : النص الصريح وذلك قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ﴾ ([4]) فقوله في المحكمات ﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ يدل أنها المعظم والجمهور، وأمُّ الشيء معظمه وعامته، كما قالوا "أمُّ الطريق" بمعنى معظمه و"الأم" أيضا الأصل ولذلك قيل لمكة "أم القرى" لأن الأرض دحيت من تحتها، فإذا كان كذلك فقوله تعالى ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ﴾ إنما يراد بها القليل .." ([5]) ، ورجح الشاطبي أن معنى " أم" هو المعظم " ([6]) .

ومما يؤكد هذا الترجيح قوله في الاعتصام : " .. ثم إتباع المتشابه وهو خلاف المحكم

---

[1] التيسير في قواعد علم التفسير ص 184 ـ 187 بتصرف ، ( دراسة وتحقيق ناصر بن محمّد المطرودي ، الطبعة الأولى 1410 هـ ـ 1990 م ، دار القلم بدمشق ـ دار الرفاعي بالرياض )

[2] الموافقات ج 3 / 63

[3] المصدر المذكور أعلاه ج 1 / 396

[4] الآية 07 من سورة آل عمران

[5] الموافقات ج 3 / 63 ـ 64 ، ج 3 / 307 بتصرف

[6] نفس المصدرالسابق إلا أن المعلِّق الدراز اعترض على هذا الترجيح بقوله " لو قال و "الأم" أيضا الأصل و العماد كما في القاموس، لظهر رجوعه للأول ،( ينظر الهامش (3) ج 307/3تحقيق مشهور ، هامش (1) من طبعة دار الكتب )

الواضح المعنى ، الذي هو أمُّ الكتاب و معظمه .... " ([1]) .

**الثانـــي** :" أن المتـــشابه لو كان كثيرًا لكان الالتباس والإشكال كثيرًا ، وعند ذلك لا يطلق على القرآن أنه بيان وهدى كقوله تعالى ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ ([2]) ، وقوله تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ ([3]) .

وإنمـــا نزل القرآن ليرفع الاختلاف الواقع بين الناس ، والمشكل الملتبس إنما هو إشكال وحيرة ..... ولـــولا أن الدلـــيل أثـــبت أن فـــيه متشابها، لم يصح القول به " ([4])، ونلاحظ في عبارته الأخيرة مدى أهمية الدليل عنده ، فهو وقاف مع الدليل في كلِّ أحواله.

أما عن **الدليل الثالث** : فهو الاستقراء ([5]) ، فإن المجتهد إذا نظر في أدلة الشريعة جرت له على قانـــون النظـــر واتـــسقت أحكامهـــا وانتظمت أطرافها على وجه واحد كما قال تعالى﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ ﴾ ([6]) ، وقال تعالى ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ ﴾ ([7]) .... " ([8]) .

ودائمـــا حـــول قلـــة المتشابه قال في موضع آخر : " ..فإذا نظر المجتهد في أصول الشريعة

---

[1] ينظر الاعتصام ج 1 / 106 ، ج 1 / 243 ـ 244 تحقيق مشهور

[2] الآية 02 من سورة البقرة

[3] الآية 44 من سورة النحل

[4] ينظر الموافقات ج 3 / 64، ج 3 / 308

[5] جاء في تعريفه : " بأنه تصفح أمور جزئية ليحكم بحكمها على أمر يشمل تلك الجزئيات ، وهو ينقسم إلى تام وناقص .." ينظر البحر المحيط للزركشي ج 6/ 10 ـ 11، ( قام بتحريره الدكتور عبد الستار أبو غدّة ، وراجعه الشيخ عبد القادر عبد الله العاني ) ، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة لحبنكة الميداني ص 188( الطبعة الرابعة 1414 هـ ـ 1993 م ، دار القلم ـ دمشق ـ )

[6] سورة هود الآية 01

[7] سورة يونس الآية 01

[8] ينظر الموافقات ج 3 / 64 ـ 65 دار الكتب ، ج 3 / 308 دار ابن القيم ـ دار ابن عفان

وتقصاها وجمع أطرافها ؛ لم يجد فيها ما يُحكم له معناه، ولا ما يدل على مقصوده ومغزاه ولا شك في أنه قليل لا كثير...." ([1]) .

ولقد طرح رحمه الله إشكالا مفادُه " كيف يكون المتشابه قليلا ؟ ، وهو كثير جدا على الوجه الذي فسر به آنفا ، فإنه قد دخل فيه من المنسوخ والمجمل والعام والمطلق والمؤول كثير وكل نوع من هذه الأنواع يحتوي على تفاصيل كثيرة ويكفيك من ذلك الخبر المنقول عن ابن عباس حيث قال لا عام إلا مخصص إلا قوله تعالى﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ ([2]) " ([3]) ، فأطال الشاطبي لدفع هذا الإشكال مستدلا بذلك بعدة أدلة ، ويمكن حصر جوابه في قوله : " ..أما المتشابه بحسب التفسير المذكور، وإن دخل فيه تلك الأنواع كلها التي مدار الأدلة عليها، فلا تشابه فيها بحسب الواقع ، إذ هي قد فسرت ، فالعموم المراد به الخصوص قد نصب الدليل على تخصيصه ، وبيِّن المراد به فأي تشابه فيه وقد حصل بيانه ؟ ، ومثله سائر الأنواع " ([4]) وكخلاصة لهذا الجانب المتمثل في قلة المتشابه قال : " ... فإذا جمعت هذه الأطراف تبين منها أن المتشابه قليل ، وأن المحكم هو الأمر العام الغالب "([5]) ،ذكر ذلك في القسم الرابع من كتاب ــ الأدلة الشرعية ــ .

2. **أقسام المتشابه** : ثم تطرق الشاطبي ذاكرا أقسام المتشابه، وهذا مما لم يذكره الكثير من المفسرين في كتبهم فقال : " و المتشابه الواقع في الشريعة على ضربين: أحدهما **حقيقي** والآخر **إضافي** ، وهذا الضرب هو المراد بآية آل عمران **[ 7 ]** ، وثم ضرب آخر راجع إلى المناط الذي تتنزل عليه الأحكام" ([6]) ثم أخبرنا عن **علامات كلِّ نوع** من تلك الأنواع التي ذكرها ، فقال : " عن الأول أنه لم يجعل لنا سبيل إلى فهم معناه ، ولا نصب لنا دليل على المراد

---

[1] ينظر الموافقات ج 3 / 68 ، ج 3 / 315 بالترتيب السابق

[2] سورة البقرة الآية 282

[3] ينظر الموافقات ج 3 / 65 ، ج 3/ 309

[4] الموافقات ج 3/ 66 ـ 67، ج 3 / 311 ـ 312

[5] المصدر السابق ج 3 / 71 ، ج 3 / 321

[6] الموافقات ج 3 / 71 ، ج 3 / 321

منه وهو لا يكون إلا فيما لا يتعلق به تكليف سوى مجرد الإيمان به

أمـــا عن الإضافي : ليس بداخل في صريح الآية ، وإن كان في المعنى داخلا فيه لأنه لم يصر متـــشابها مـــن حيث وضع في الشريعة ... ولكن الناظر قصر في الاجتهاد أو زاغ عن طريق البيان اتباعا للهوى ؛ فلا يصح أن ينسب الاشتباه إلى الأدلة وإنما ينسب إلى الناظرين التقصير أو الجهل بمواقع الأدلة .. ومن أمثلة هذا القسم ما تقدم آنفا المعتزلة والخوارج وغيرهم " ([1]) ولقد قام " ماء العينين" بتلخيص كلامه قائلا ([2]) :

| | |
|---|---|
| ومتـــــشابهٌ علـــــى ضـــــربين قـــــل | يجـــــي حقيقـــــيٌّ إضـــــافيٌّ نُقـــــل |
| وثـــــمَّ ضـــــربُ آخـــــر إلـــــى مـــــناط | نـــــزول أحكـــــامٍ رجـــــوعه ارتـــــباط |
| أمـــــا الحقيقـــــيُّ فمـــــا لـــــم يُجعـــــل | لفهمـــــه لـــــنا ســـــبيلٌ ينجلـــــي |
| ثـــــانٍ إضـــــافيٌّ كثيـــــرًا يقـــــصر | عـــــن فهمـــــه أو زاغ مـــــن قـــــد ينظـــــر |
| و ثالـــــثٌ كميـــــتةٍ بالتَّذكـــــية | تـــــشتبهان فـــــافهمن نقلـــــيَه |

فنـــستخلص من كلام الشاطبي هنا أن الإضافي داخل في المعنى لا في الصريح المنطوق به ؛ فهـــو تشابه نسبي فقط ، و سيأتي مزيد إيضاح لذلك حين التحدث عن نتيجة إتباع المتشابه عن قريب إن شاء الله .

أمـــا **الثالث** فقال : " فالتشابه فيه ليس بعائد على الأدلة وإنما هو عائد على مناط الأدلة ، فالنهي عـــن أكـــل الميـــتة واضح ، والإذن في أكل الذكية كذلك ، فإذا اختلطت الميتة بالذكية حصل الاشتباه في المأكول لا في الدليل على تحليله أو تحريمه .... فلا مدخل له في المسألة " ([3]) .

**3. التشابه لا يقع في الكليات:** جاء في المسألة الرابعة من القسم الرابع من أقسام "المـــوافقات " ، " التـــشابه لا يقع في القواعد الكلية ، و إنما يقع في الفروع الجزئية، و الدليل على ذلك من وجهين : **أحدهما** الاستقراء أن الأمر كذلك ، و**الثاني** أن الأصول لو دخلها التشابه

---

[1] الموافقات ج 3 / 69 ، ج 3 / 317

[2] المرافق على الموافق ج 1 / 397 ـ 398

[3] المصدر نفسه ج 3 / 69 ، ج 3 / 318 مشهور

لكـــان أكثـــر الشريعة من المتشابه ، وهذا باطل وبيان ذلك أن الفرع مبنى على أصله ، يصح بصحته ويفسد بفساده ..." ([1]) ، وجاء في نظم الموافقات([2]) :

**ولـــــيس فـــــي قـــــواعد كلِّـــــيَّة تـــــشابهٌ يقـــــع بـــــل جـــــزئيَّة**
**مـــــن الفـــــروع دلَّ الاســـــتقراء علـــــيه و الأصـــــول لا إخفـــــاء**

و المقصود بالمتشابه في هذه الفقرة هو التشابه الحقيقي ، كما أشار إلى ذلك الشيخ الدراز، قلت ومما يؤكد إشارة الدراز قول الشاطبي : " .. لم يوجد التشابه في قاعدة كلية ولا في أصل عام اللَّهـــم إلا أن يؤخذ التشابه على أنه الإضافي، فعند ذلك لا فرق بين الأصول والفروع في ذلك .... وليس هو المقصود هاهنا " ([3]) .

قـــال الـــباحث المريني تعليقا على القاعدة السابقة ضمن القواعد الأصولية اللغوية المختلفة : " وبعد هذا يبدوا أن الشاطبي يوافق الأصوليين في هذه القاعدة ، بالإضافة إلى ما انفرد به عنهم مـــن ميـــزة التقعيد الواضح ، و الدقيق ، القائم على حجج عقلية ، ونقلية " ([4]) ، ومعنى القواعد الكلـــية عند الشاطبي هي " الأصول ، سواء كانت في أصول الدين أو في أصول الفقه ، أو في غير ذلك من معاني الشريعة الكلية ؛ لا الجزئية " ([5]) .

**4. واجب المكلف اتجاه المتشابه :**

أوضح الشاطبي الواجب من ذلك في قوله :

".. لكن ما جاء فيه من ذلك فلم يتعلق بالمكلفين حكم من جهته زائدٌ على الإيمان به وإقراره كما جـــاء ، وهـــذا واضح "([6]) ، فيتبين لنا من كلامه ومما سيأتي ذكره بعد هذا الكلام ، أن واجب المكلفـــين فعلـــه عند وجود التشابه هو الإيمان بذلك النص ، و التسليم له ، بدون أي معارضة

---

[1] المصدر نفسه ج 3 / 71 ـ 72 ، ج 3 / 322 على التوالي

[2] المرافق على الموافق ج 1 / 402

[3] المصدر السابق ج 3 / 72 ، ج 3 / 327

[4] ينظر القواعد الأصولية ص 401

[5] الموافقات ج 3 / 72 ، ج 3 / 323 مشهور

[6] المصدر نفسه ج 3 / 64 ، ج 3 / 308

بتأويل ، أو تحريف فالتشابه لا يقع في المسائل العملية ، إنما هو واقع في أصول الدين ، أو في الجانب الإعتقادي ، ويؤكد ما ذكرت قوله : " .. ولا يكون إلا فيما لا يتعلق به تكليف، سوى مجرد الإيمان به"([1]) .

وقال أيضا : " ولمَّا بين الله تعالى أن في القرآن متشابهًا بيَّن أيضا أنه ليس فيه تكليف إلا الإيمان به على المعنى المراد منه ، لا على ما يفهم المكلف منه ؛ فقد قال الله تعالى ﴿ **فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ** ﴾ إلى قوله﴿ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ ﴾ ([2]) "

([3]) ، إذن فلا مدخل للتكليف به سوى الإقرار و التصديق ، وترك أمره إلى الله ﷻ

قلت وهو الأسلم إن شاء الله ، قال الكافيجي عند كلامه عن أحوال الناس اتجاه المتشابه : " ... أما الفرقة الأولى وهم السلف من عامة الصحابة والتابعين فمذهبهم فيه وجوب اعتقاد حقية المراد منه وتسليم علمه إلى الله ، إيثارًا للطريق الأسلم ، فعلى هذا وجب الوقف على الجلالة في قوله تعالى ﴿ **وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ** ﴾[ آل عمران: 7 ]، فإنه لو وصل لفهم أن الراسخين يعلمون تأويله ، فيتغير المعنى " ( [4] ) .

قال الباحث " عثمان السبت " : " ومن القواعد التي يمكن استنباطها هي أنه يجب العمل بالمحكم ، و الإيمان بالمتشابه ؛ فإذا كان معنى ما خاطبنا الله تعالى به معلومًا فإنه يجب امتثاله سواء كان من قبيل الطلب بالفعل أو الترك ، أما المتشابه فلا بد من تفويض العلم بكيفيته و كنهه إلى الله ﷻ ، إذا كان من التشابه الحقيقي ، أما إن كان من الإضافي فالواجب على العبد الإيمان بالنص في الجملة حتى يتبين له المعنى بالنظر و الدرس ، إن كان سهلا أو سؤال

---

[1] المصدر نفسه ج 3 / 68 ، ج 3 /315

[2] سورة آل عمران الآية 07

[3] ينظر الموافقات ج 3 / 255 ، ج 4 / 138مشهور

[4] التيسير في قواعد علم التفسير ص 188 ـ 189 بتصرف

العلماء امتثالا لقوله تعالى ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [1] " [2]

ومما أقرَّه في هذا المبحث أيضا ، ما يُعرف بتأويل المتشابه ولكني ارتأيت أن أدمجه في مبحث التأويل عند الشاطبي لأنه به ألصق .

5. **آيات الصفات هل هي من المتشابه أم لا ؟ :** لقد جعل الشاطبي الآيات التي جاء فيها الإخبار بصفات الباري ﷻ من المتشابه ، وهذا أمر غير مسلم له به بإطلاق ( [3] ) فلقد جانب فيه رحمه الله تعالى الصواب ، وسيأتي إيضاح ذلك أثناء نقل كلامه ، قال عفا الله عنه :

" فالمراد أن لا يتعلق تكليف بمعناه المراد عند الله تعالى ... وذلك بأن يؤمن أنه من عند الله كقوله ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ ( 4) .. وأشباه ذلك" (5) .

وقال أيضا في كتاب لواحق الاجتهاد : " السؤال عن المتشابهات ، وعلى ذلك يدل قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ﴾ ...ومن ذلك سؤال من سأل مالكا عن الاستواء ، فقال " الاستواء معلوم ، والكيفية مجهولة ، والسؤال عنه بدعة " (6) ، فيلاحظ تصريحه بذلك ، ولتبيين الصواب في هذه المسألة أقول ، ذهب شيخ الإسلام إلى العكس من ذلك ، فآيات الصفات ليست من المتشابه فإن معناها تعرفه العرب ، بلّه السلف رحمهم الله فهاهو يقول :

---

[1] سورة النحل الآية 43

[2] ينظر قواعد التفسير جمعا و دراسة ج 2 / 662 ـ 663 بتصرف

[3] وهناك علماء آخرين ساروا نفس المسير ، أذكر منهم الزركشي في النوع السابع و الثلاثين ( البرهان في علوم القرآن ج 2 / 89 ) ، السيوطي في النوع الثالث و الأربعين ( الإتقان ج 2 / 10 ) وأيضا في معترك الأقران في إعجاز القرآن ج 1 / 111، الطوفي ( شرح مختصر الروضة ج 2 / 44 ) ، ومن المعاصرين الزرقاني ( مناهل العرفان ج 2 / 164 ، 169 ومواطن أخرى ) ولقد رد على هذا الأخير عثمان السبت ( مناهل العرفان دراسة و تقويم ج 2 / 502 ـ 520 )

[4] سورة طه الآية 5

[5] الموافقات ج 4 / 237 ، ج 5 / 390 ـ 391

[6] ينظر الموافقات ج 3 / 256، ج 4 / 139مشهور

" ... وأمـــا إدخـــال أسماء اللّه وصفاته ــ أو بعض ذلك ــ في المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا اللّـــه ، أو إعـــتقاد أن ذلـــك هو المتشابه الذي استأثر اللّه بعلم تأويله ، كما يقول كل واحد من القولـــين طوائف من أصحابنا وغيرهم ، فإنهم وإن أصابوا في كثير مما يقولونه ونجوا من بدع وقع فيها غيرهم ، فالكلام على هذا من وجهين:

**الأول** : من قال إن هذا من المتشابه وأنه لا يفهم معناه ، فنقول أما الدليل على

[ **بطـــلان** ] ذلـــك فإني ما أعلم عن أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة ، لا أحمد بن حنبل ولا غيره أنه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية ، ونفى أن يعلم أحد معناه ، وجعلوا أسماء اللّه وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم... "([1]) .

وقال أيضا : " وأيضًا فالسلف من الصحابة والتابعين وسائر الأمة قد تكلموا في جميع نصوص القـــرآن آيـــات الـــصفات وغيـــرها، وفسروها بما يوافق دلالتها وبيانها، ورووا عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة توافق القرآن ، وأئمة الصحابة في هذا أعظم من غيرهم.... " ([2]) .

قـــال القاسمي : " و القول الشامل في هذا الباب ما قاله الإمام أحمد رضي الله عنه : لا يوصف الله إلا بما وصـــف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، لا يتجاوز القرآن والحديث ، و تعلم أنّ ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز و لا أحاجي بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامـــه ، وهـــو ســـبحانه مع ذلك ، ليس كمثله شيء في نفسه المقدسة المذكورة ، بأسمائه و صفاته ، ولا في أفعاله .. ومذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل " ([3]) .

وقال محمد الأمين الشنقيطي ([4]) في جعل الآية السابقة من المتشابه : " لا يخلو من نظر؛ لأن

---

[1] ينظر مجموع الفتاوى ج 13 / 294 ـ 295

[2] مجموع الفتاوى ج 13 / 307

[3] محاسن التأويل ج 1 / 234 ، ( تحقيق أحمد بن عليّ ـ حمدي صبح ، دار الحديث ـ القاهرة ـ طبعة عام 1424 هـ ـ 2003 م )

[4] محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي : مفسر مدرس من علماء شنقيط ( موريتانيا ) . ولد عام ( 1325 هـ ـ 1907 م ) وتعلم بها ،و أدى فريضة الحج سنة 1367 هـ ، واستقر مدرسا في المدينة المنورة ثم الرياض وأخيرا في الجامعة الإسلامية بالمدينة ،إلى أن وافته المنية يوم السابع عشر من ذي الحجة سنة 1393 هـ ـ 1973 م بمكة المكرمة ، له عدة =

آيات الصفات لا يطلق عليها اسم المتشابه بهذا المعنى من غير تفصيل ، لأن معناها معلوما في اللغـــة العربية ، وليس متشابها ، ولكن كيفية اتصافه جلَّ وعلا بها ليست معلومة للخلق ، و إذا فسَّرنا المتشابه بأنه هو ما استأثر الله بعلمه دون خلقه ، كانت كيفية الاتصاف داخلة فيه لا نفس الصفة "([1]) .

قال حمد الفهد في فصل " مخالفات الشاطبي في توحيد الأسماء و الصفات" : " أن ما ذكره من كـــون نـــصوص الصفات من المتشابه الحقيقي الذي لا يفهم منه شيء و لا يعقل له معنى وأن الصحابة والسلف كانوا لا يخوضون في معانيها وهم جاهلون بهذه المعاني هي عقيدة المفوضة وهي عقيدة الأشاعرة ..." ([2]) .

6. **فواتح السور** : لقد افتتح الله ﷻ سوره بعشرة أنواع من الكلام ([3]) ، لا يخرج شيء من السور عنها منها : الثناء ــ النداء ــ القسم ــ الدعاء ــ وحروف التهجي نحو﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾ ، ﴿ الٓمٓصٓ ۝١ ﴾ ، ﴿ طه ۝١ ﴾ ، ولقد جمعها أحدهم في قوله ([4]) :

**أثنـــى علـــى نفـــسه ســـبحانه بثـــبو ت المـــدح والـــسلب لمـــا اســـتفتح الـــسورا**
**والأمـــــر شـــــرط الـــــندا التعلـــــيل والقـــسم الـــدعاء حروف التهجي استفهم الخبرا**

---

= كـتب منها أضواء البيان في تفسير القرآن "،و" منع جواز المجاز – ط "، و " منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات – ط " صغير و " دفـع إيهـام الاضطراب عن آي الكتاب " و " آداب البحث والمناظرة "و "رحلة الحج إلى بيت الله الحرام" ، ينظر ترجمته بقلم تلميذه عطـية سالم في أضواء البيان ج 10 / 267- 298 ، الأعلام للزركلي ج 6 / 45 ، معجم المؤلفين لكحالة ج 3 / 146 ـ 147 ،ترجمته التي جمعهـا وصـنفها عبد الرحمان السديس وهي من منشورات دار الهجرة بالرياض عام 1411 هـ ،علماء ومفكرون عرفتهم لمحمّد المجذوب ج 1 / 171 ـ 191 ( الطـبعة الرابعة 1992 م ، دار الشواف للنشر ـ الرياض ـ السعودية ) ، مشاهير علماء نجد وغيرهم لعبد الرحمان بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ص ( 517 ـ 520 ) و ص ( 540 ـ 543 )

[1] مذكرة أصول الفقه ص 119

[2] الإعلام بمخالفات الاعتصام والموافقات ص 15

[3] ينظـر خـصائص القـرآن الكـريم للدكـتور فهـد الرومي ص 210 ، ( الطبعة التاسعة 1417 هـ ـ 1997 م ، مكتبة العبيكان ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية ) ، بحوث منهجية في علوم القرآن لموسى إبراهيم ص 226 ـ 228

[4] البرهان في علوم القرآن للزركشي ج 1/ 181

وهــذه الحــروف مــنها ما يتكون من حرف واحد مثل ﴿ صٓ ﴾ ، ﴿ قٓ ﴾ ، ﴿ نٓ ﴾ ، وأقصاها يصل إلى خمسة حروف نحو : ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ﴾

وسنبحث في هذه الجزئية حروف التهجي من حيث معناها ؟ ، وهل هي من المتشابه أم لا؟

قال الشاطبي : " وأما فواتح السور فقد تكلم الناس فيها بما يقتضي أن للعرب بها عهدًا ، كعدد الجُمَّل الذي تعَّرفوه من أهل الكتاب ، حسبما ذكره أصحاب السير، أو هي من المتشابهات التي لا يعلــم تأويلها إلا الله تعالى ، وغير ذلك ، وأما تفسيرها بما لا عهد به فلا يكون ، ولم يدّعه أحــد ممــن تقدم ، فلا دليل فيها على ما ادَّعوا ، .. فليس بجائز أن يضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه ، كما أنه لا يصح أن ينكر منه ما يقتضيه ، ويجب الاقتصار في الاستعانة على فهمه علــى كل ما يضاف علمه إلى العرب خاصة ... فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضلَّ عن فهمه وتقَّول على الله ورسوله فيه " ([1]) .

فلاحــظ معي مدى أهمية القيد الذي وضعه الشاطبي في هذا النص ؛ فلا بد من الحذر الشديد عــند الخــوض في تفسير كلام الله عز وجل ، فالمصير إلى فهم معانيه هو اللغة العربية ؛ وما تحــتويه من معاني دقيقة ومقاصد ، وكذاك الاعتماد على النقل الصحيح ، وإلا وقع في الضلال وــ العياذ بالله ــ .

**هــل فواتح السور معقولة المعنى أم لا ؟ :** لقد أجابنا الشاطبي على السؤال المطروح عند رده على من" ادعى أنها ليست معقولة المعنى " ([2]) .

فقــال : " فالجــواب عن الأول : أن فواتح السور للناس في تفسيرها مقال ، بناء على أنه مما يعلمه العلماء ، وإن قلنا إنه مما لا يعلمه العلماء ألبته ؛ فليس مما يتعلق به تكليف على حال ([3])

---

[1] الموافقات ج 2 / 61 ـ 62، ج 2 / 129 ـ 131

[2] نفس المصدر ج 3 / 20 ، ج 3 / 210

[3] قال الدراز هنا : أي لا أمر اعتقادي أو عملي ، وهذا خطأ منه والله أعلم ،بل لابد أن نؤمن أنها من عند الله ولاشك فإن الإيمان اعتقاد

فـــإذا خـــرج عن ذلك ؛ خرج عن كونه دليلا على شيء من الأعمال ، فليس مما نحن فيه وإن ســـلم ؛ فالقسم الذي لا يعلمه إلا الله تعالى في الشريعة نادر، والنادر لا حكم له ولا تنخرم به الكلـــية المستدل عليها أيضا ؛ لأنه مما لا يهتدي العقل إلى فهمه ، وليس كلامنا فيه وإنما الكلام علـــى ما يؤدي مفهوما لكن على خلاف المعقول ، وفواتح السور خارجة عن ذلك ؛ لأنا نقطع أنها لو بيِّنت لنا معانيها ، لم تكن إلا على مقتضى العقول ، وهو المطلوب " ([1]) .

إذن الشاطبي رحمه الله يذهب في هذه الفقرة إلى أمرين اثنين :

- **الأول** : أن الحروف المقطعة معقولة المعني بدون أي شك ، و إن لم ندرك معانيها فيستحيل أن يـــوجد فـــي كتاب الله ، أمر غير معقول المعنى و كيف يحدث ذلك !، وهو تنزيل من ليس كمثله شيء و هو السميع البصير .
- **الثانـــي** : بمـــا أنه لا تكليف فيها ، فالأولى ترك الخوض في إدراك معانيها ، و الإيمان أنهـــا مـــن عـــند الله فقـــط ، فمن شأنه رحمه الله ، كما بين في المقدمات التي ذكرها في " المـــوافقات " ، أن كلَّ أمر لا ينبني عليه عمل فالأجدر به أن يترك ، ثم رجح رحمه الله ، أنها مـــن المتشابه ، وإن حاول البعض من العلماء الإتيان ببعض التأويلات ، فقال عند كلامه عن بعـــض التفاسير المشكلة أو التي هي من قبيل الباطن([2]) الصحيح : " فمن ذلك فواتح السور نحو ﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾ و ﴿ الٓمٓصٓ ۝١ ﴾ و ﴿ حٰمٓ ۝١ ﴾ ([3]) ونحوها فسرت بأشياء ، منها ما يظهر جـــريانه علـــى مفهوم صحيح ومنها ما ليس كذلك فينقلون عن ابن عباس أن ﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾ أن "ألـــف" الله و"لام" جبريل و"ميم" محمد ﷺ وهذا إن صح في النقل ([4]) فمشكل ، لأن هذا النمط

---

[1] الموافقات ج 3 / 21 ، ج 3 / 212

[2] سيأتي في الفصل الثالث إن شاء الله التفريق بين الظاهر والباطن ، وهل يجوز التفسير بالباطن أم لا ؟

[3] سورة الجاثية الآية 01 ، سورة غافر الآية 01، وغيرهما

[4] قال الرازي روي ذلك عنه أبي صالح و سعيد ابن جبير ، التفسير الكبير ج 2/ 06،( الطبعة الثالثة ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ) ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ج 1 / 207 ـ 208 من طريق شريك بن عبد الله عن عطاء بن السائب وفيهما ضعف ، مقدمة المفسرين للبركوي دراسة وتحقيق عبد الرحمان بن صالح بن سليمان الدَّهش ص 196 ـ 197 =

من التصرف لم يثبت في كلام العرب هكذا مطلقا، وإنما أتى مثله إذا دلَّ عليه الدليل اللفظي أو الحالي ، كما قال : **قلت لها قفي فقالت قاف** ([1]) وقال: **قالوا جميعًا كلّهم بلا فا** ([2]) وقال: **ولا أريد الشَّر إلا أن تا** ([3]) ، والقول في ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ﴾ ليس هكذا ، وأيضا فلا دليل من خارج يدل عليه ، إذ لو كان له دليل لاقتضت العادة نقله ؛ لأنه من المسائل التي تتوفر الدواعي على نقلهـــا ، لو صح أنه مما يفسر ، ويقصد تفهيم معناه ولمَّا لم يثبت شيء من ذلك ؛ دلَّ على أنه مـــن قبيل المتشابهات ، فإن ثبت له دليل يدل عليه صير إليه ، وقد ذهب فريق إلى أن المراد الإشـــارة إلـــى حـــروف الهجاء ، وأن القرآن منزل بجنس هذه الحروف وهي العربية ؛ وهو أقـــرب من الأول كما أنه نقل أن هذه " الفواتح أسرار لا يعلم تأويلها إلا الله" ([4]) ، وهو أظهر

---

= إصدارات الحكمة ـ بريطانيا ـ الطبعة الأولى 1425هـ ـ 2004م )

[1] البيت منسوب للوليد ابن عقبة بن أبي معيط أخي عثمان ابن عفان لأمه ؛وعجزه " لا تحسبينا قد نسينا الإيجاف " ينظر تفسير الطبري ج 216/1 ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج 1 / 62 ـ 63 ( شرح وتعليق د ـ عبد الجليل عبده شلبي ، الطبعة الأولى 1408 هـ ـ 1988 م ) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي ج1 /257 ـ 258 ( تحقيق وتعليق أحمد عبد الموجود وعلي محمّد المعوض ، الطبعة الأولى 1419هـ ـ 1998 م ،دار الكتب العلمية ـ لبنان ـ ) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ج 1 / 21 ( الطبعة الثالثة 1404هـ ـ 1984 م ، المكتب الإسلامي ) ،تفسير ابن كثير ج 4 / 2704 ،التحرير و التنوير ج 1 / 209 وشرح ابن قتيبة البيت فقال : " ... أراد قد وقفت ، فأومأت بالقاف إلى معنى الوقوف " ينظر تأويل مشكل القرآن ص 309 وقال محقق هذا الأخير صقر هو للوليد ابن عقبة ص 308 ( شرحه ونشره السيِّد أحمد صقر ، الطبعة الثانية 1393 هـ ـ 1973 م ، دار التراث ـ القاهرة ـ )

[2] أنشد هذا البيت سيبويه لغيلان وصدره : " نادَوهُم أن ألجِموا ، ألا تَا " ؛ قال ابن عادل الدمشقي : " أي لا تركبوا ، قالوا : بلى فاركبوا "ينظر اللباب في علوم الكتاب له ج 1 / 258

[ 3] صدر البيت : " بالخير خيرات وإن شراً فا " ؛ قال الطبري معلقا : " يريد إلا أن تشاء ، فاكتفى بالتاء والفاء في الكلمتين جميعا من سائر حروفهما " ، ينظر تفسيره ج 1 / 217 ، وقال محقق هذا الأخير عبد المحسن التركي : " أن صاحب البيت هو القيم ابن أوس كما في شرح الشواهد الشافية " ، زاد المسير لابن الجوزي 1 / 17 ( خرج أحاديثه أبو هاجر زغلول ، ط 1 جمادى الأولى 1407 هـ ـ 1987 م ، دار الفكر )

[4] يروي ذلك عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال: " لله في كلِّ كتاب سر و سره في القرآن أوائل السور " ، ينظر التفسير الكبير لفخر الدين للرازي ج 2 / 3 ، ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ج 1 / 127 ( تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي =

الأقــوال فهي من قبيل المتشابهات ، وأشار جماعة إلى أن المراد بها " أعدادها تنبيهًا على مدة هــذه الملــة" ([1]) ، وفي السير ما يدل على هذا المعنى ، وهو قول يفتقر إلى أن العرب كانت تعهــد في استعمالها الحروف المقطعة أن تدل بها على أعدادها ، وربما لا يوجد مثل هذا لها ألبتة ، وإنما كان أصله في اليهود حسبما ذكره أصحاب السير" ([2]) .

قــال شيخ المفسرين أبي جعفر الطبري معلقا على من فسر فواتح السور بمثل هذا التفسير : " ... كرهنا ذكر الذي حُكي ذلك عنه ، إذ كان الذي رواه ممَّن لايعتمد على روايته ونقله " ([3])

وقــال ابــن تيمية في رسالته المسماة بـــ " الإكليل في المتشابه و التأويل " : " .. قد روي أن الــيهود الــذين كانوا بالمدينة على عهد النبي ﷺ كحي بن أخطب و غيره من طلب حروف الهجــاء التي في أوائل السور تأويل بقاء هذه الأمة ، كما سلك ذلك طائفة من المتأخرين موافقة للصابئة المنجمين ، وزعموا أنه ستمائة و ثلاثة و تسعون عاما ، لأن ذلك هو عدد ما للحروف حساب الجمل ([4]) بعد إسقاط المكرر ، وهذا نوع من تأويل الحوادث التي أخبر بها القرآن في اليوم الآخر " ([5]) .

فنــرى ممــا سبق ، أن الشاطبي يرفض رفضا تاما تفسير تلك الآيات ، بمثل تلك الأمور التي تدعــي نهايــة أجل هذه الملة ، بل استمدوا بعضها من عند أهل الكتاب ، وخصوصا اليهود ، فلهــذا لابــد من الحذر من الخوض في كلام الباري سبحانه وتعالى بدون أي مستند شرعي ،

---

= بالـتعاون مـع مركـز هجـر للـبحوث ، الطـبعة الأولى 1424 هـ ـ 2003 م ) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمحمود الألوسي ج1 /100 ، دار إحياء الثراث العربي

[1] ضـعف ذلـك أيـضا ابن كثير ينظر تفسير القرآن ج 123/1 ، وأورد السيوطي حديثا طويلا نسبه إلى جماعة ونبه عن ضعفه حول هذا التفسير ينظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج 1 / 124 ـ 126

[2] الموافقات ج3/ 296 ـ297 ، ج 4 / 235 ـ 238

[ 3] جامـع البـيان عـن تأويـل القـرآن ج 1 / 210 ( تحقـيق وتعليق د ـ عبد الله ابن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث و الدراسات العربية والإسلامية ، الطبعة الأولى 1422 هـ ـ 2001 م ،دار هجر )

[4] مجموع الفتاوى ج 13 / 276 ، الإكليل في المتشابه والتأويل ص 13 ـ 14 ( خرّج أحاديثه وعلق عليه محمّد الشيمي شحاته ، دون رقم الطبعة ؛ دار الإيمان للطبع والنشر مصر )

صحيح ، بحيث أنه شكك في أثر ابن عباس رضي الله عنه ، وكأنه جزم بعدم صحته ، إذن فلا يبقى إلا طرحه جانبا ، وإلى هذا المعنى أشار " ماء العينين " قائلا ([1]) :

وقد أتى عن بعضهم تفاسير لبعضه مشكلةُ التناوِر
منها الذي قد قيل في فواتِح سُورِه ونحوها من شارح

فلاحظ معي لفظ " قيل " ، فهي من صيغ التمريض ، فصاحب المرافق لم يرتضي تلك الأقوال و يشهد لذلك قوله معلقا : " فمن أتى بشهود تشهد له على دعواه من أهل الحق قُبلت دعواه ، ومن لا ، فلا والشهود المقبولة النصوص القرآنية و النبوية والوقائع الصادقة المصدِّقة،﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِى ٱلسَّبِيلَ ۝٤ ﴾([2]) هدانا الله و أحبتنا إلى أقوم سبيل و أهدى دليل " ([3]) .

ويضيف ابن القيم ، قولا آخر في المسألة حيث يقول : " فأمر سر ﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾ كيف اشتملت على هذه الحروف الثلاثة فالألف إذا بدئ بها أولا كانت همزة ، وهي أول المخارج من أقصى الصدر ، واللام من وسط مخارج وهي أشد الحروف اعتمادًا على اللسان ، والميم آخر الحروف ومخرجها من الفم ، مع تضمنها سرًا عجيبا ، وهو أن للألف البداية ، واللام التوسط ، والميم النهاية ، وكل سورة استفتحت بها الأحرف الثلاثة فهي مشتملة على بدء الخلق ونهايته و توسطه ، فمُشتملة على تخليق العالم و غايته وعلى التوسط بين البداية و النهاية من التشريع و الأوامر... وتأمل السور التي اشتملت على الحروف المفردة كيف نجد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف فمن ذلك ﴿ قٓۚ ﴾ والسورة مبنية على الكلمات القافية من ذكر القرآن وذكر

[1] ينظر المرافق على الموافق ج 2 /566

[2] سورة الأحزاب الآية 04

[3] المرافق على الموافق ج 2 / 569

الخلــق وتكرير القول ومراجعته مرارا .. وإذا أردت زيادة إيضاح هذا فتأمل ما اشتملت عليه ســورة ﴿ صٓ ﴾مــن الخصومات المتعددة فأولها خصومة الكفار مع النبي ﷺ وقولهم ﴿ ۝ **أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا** ﴾ [1] إلــى آخر كلامهم ثم اقتضاء الخصمين عند داود ، ثم تخاصم أهل النار .. وهذه قطرة من بحر من بعض أسرَّار هذه الحروف .." [2] .

ومن العلماء الذين ذهبوا مذهب الشاطبي ، سأذكر عالمين جليلين وهما :

**الأول** : القاضــي ابــن العربي ( [3] ) حيث قال : " ومن الباطن علم الحُروف المقطَّعة في أوائل السُّور ، وقد قيدت فيها أزيدَ من عشرين قولا ، ولم يخلُق الله أحدًا يحكم عليها بعلمٍ ، ولا يَدعي في المُراد منها فهمًا ، بله رسول الله ﷺ " .

**الثانــي** : الشيخ ناصر السعدي حين قال : " و أما الحروف المقطعة في أوائل السور، فالأسلم فيها السكوت عن الغرض لمعناها من غير مستند شرعي مع الجزم بأن الله تعالى لم بها عبثا ، بل لحكمة لا نعلمها "( [4] ) .

وورد في تفسير أبي المظفر السمعاني : " ... قال الشعبي وجماعة من المتقدمين في هذا وسائر حروف التهجي في فواتح السور ، والفائدة في أوائل السور لا يعلم معناها ، وهي سر القرآن ، ولكــلِّ كــتاب سر وسر القرآن حروف التهجي وفواتح السور ، وقال غيرهم : معلومة المعاني وقــال ابــن عــباس رضي الله عنه معنى قوله ﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾ أنا الله أعلم ، وكل حرف يدل على معنى ، والألف دليل قوله " أنا " واللام " دليل قوله " الله " ، والميم دليل قوله " أعلم " ، ومثله ﴿ الٓمٓصٓ

---

[1] جزء من سورة ص الآية 05

[2] ينظر بدائع الفوائد ج 3 / 669 ـ 670 ( تحقيق وتعليق سيِّد عمران ـ عامر صلاح ، 1423 هـ ـ 2002 م ، دون رقم الطبعة دار الحديث القاهرة ) ، بدائع التفسير الجامع لما فسَّره الإمام ابن قيم الجوزية ج 1 / 90 ـ 91 ، ( جمعه وخرَّج أحاديثه يسرى السيِّد محمّد ؛ راجعه ونسق مادته صالح أحمد الشامي ، الطبعة الأولى 1427هـ ـ دار ابن الجوزي ـ )

[3] قانون التأويل ص 208

[4] تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان ص 26 ، ( تحقيق عبد الرحمان بن مُعلا اللويحق ، دار ابن حزم ـ بيروت ـ الطبعة الأولى 1424هـ ـ 2003م )

﴿ ﴾ أنا الله أعلم وأفص﴿ الٓمٓرٓ ﴾ أنا الله أعلم وأرى ، ﴿ الٓرٓ ﴾ أنا الله أرى ، قال الزجاج : هـذا حـسن ، وبمثله قالت العرب ، وقال قتادة : إنها اسم للقرآن ، وقال مجاهد : إنها أسماء للسور ، وقال غيرهم : هي قسم " ([1])



[1] تفسير القرآن ج 1 / 41 ، تفسير القرآن لابن كثير ج 1 / 120 ـ 124 ، تفسير القرآن لابن أبي حاتم 1 / 32 ـ 33، التفسير الصحيح لحكمت بن بشير ياسين ج 1 / 95 ـ 96 ( موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ،الطبعة الأولى 1420 هـ ـ 1999 م ، دار المآثر ـ المدينة النبوية ـ ) ، الحرر الوجيز لابن عطية 1 / 82 ـ 83 ، علوم القرآن بين البرهان والإتقان 161لحازم حيدر

# المبحث الثالث

## ـ أسباب النزول و أهميتها في التفسير ـ

## معنى أسباب النزول :

ســنتحدث هــنا عن علم هام جدا ، ألا وهو علم أسباب النزول ؛ وقبل الخوض فيه أود تعريف مامعنــى السبب لغة واصطلاحا فهو : " اسم لما يتوصل به إلى المقصود " ([1]) وفي الشريعة عبارة عمَّا يكون طريقا للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه

قــال العلمــاء : " هو علم يبحث فيه عن سبب نزول سورة أو آية ووقتها ومكانها وغير ذلك ، ومباديه مقدمات مشهورة منقولة عن السلف .... " ([2]) .

قــال الــشاطبي : في معرض حديثه عن الأحكام التفصيلية للكتاب ، " معرفة **أسباب التنزيل** لازمة لمن أراد علم القرآن ([3]) ، والدليل على ذلك أمران :

**أحــدهما** : أن علم المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن فضلا عن معرفة مقاصد كلام العرب ؛ إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال ، حال الخطاب من جهة نفس الخطاب أو المخاطِــب أو المخاطَــب أو الجمــيع ، إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين وبحسب مخاطبــين وبحسب غير ذلك .... ومعرفة الأسباب رافعة لكل مشكل في هذا النَّمط ، فهي من

---

[1] القاموس المحيط لفيروز آبادي 1 / 8 ، التعريفات للجرجاني ص 131

[2] ينظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ج 1 / 119 ( طبعة 1419 هـ ـ 1999 م ، دار الفكر ـ بيروت

[3] هذه من القواعد الأصولية الهامة التي لابد من مراعاتها عند تفسير النصوص ، ينظر القواعد الأصولية عند الشاطبي للباحث الجيلالي المريني ص 107 ، وينظر أيضا في فوائدها المراجع الآتية : المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية للدكتور شعبان محمد إسماعيل ج 1 / 173 ـ 178 ، المدخل لدراسة القرآن لأبي شهبة ص 136 ـ 143 ، محاضرات في علوم القرآن للدكتور غانم قدوري الحمد ص 39 ـ 40 ، مورد الظمآن في علوم القرآن لصابر حسن محمد ص 29 ـ 33 ( الطبعة الأولى 1404 ـ 1984 م ، الدار السلفية الهند ) ، تهذيب وترتيب الإتقان في علوم القرآن لمحمد بن عمر بن سالم بازمول ص 133 ـ 135 ، ( الطبعة الأولى 1412 هـ ـ 1992 م ، دار الهجرة ـ السعودية ـ ) ، بحوث منهجية في علوم القرآن لموسى إبراهيم ص 30 ـ 31

المهمات في فهم الكتاب بلا بدّ [1] " ، إذن معرفة مراد المتكلم ، أمر ضروري للمفسر، وأشار إلى كلامه السابق "ماء العينين" بقوله [2] :

| | |
|---|---|
| و ليعـــــــرفَنَّ طالـــــــبُ ذا أســـــــبابَا | تنـــــــزيله لـــــــيفهمَ الخطابـــــــا |
| إذ جَهلُهـــــا يُوقـــــعُ فـــــي الإشـــــكَالِ | و يُـــــورِد النُّـــــصوص فـــــي الإجمَـــــالِ |
| وذا بـــــــه يقـــــــعُ الاخـــــــتلاف | ويقـــــــعُ النِّـــــــزاع لا ائـــــــتلاف |

وجهات معرفة مراد المتكلم ، سواء كان كلام الله ﷻ أو غيره من البشر؛ هي ثلاثة كما يقرر ذلك ابن تيمية حيث قال :

" **أحـــدهما** : العلـــم بقصده من دليل منفصل كتفسير السنة للكتاب و تخصيص العموم **الثانية** : سبب الكلام و حال المتكلم ، **الثالث** : و ضع اللفظ مفردا أو مركبا ، ويدخل فيه القرائن اللفظية ..." [3] .

والـــشاطبي يعـــرف **أسباب النزول** في قوله : " ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال " ، فمعرفة تلك الأسباب هي الحلّ لفهم كلام الباري ﷻ

ثم قال " : وينشأ عن هذا الوجه:

**الـــوجه الثانـــي** : وهـــو أن الجهـــل بأسباب التنزيل موقع في الشُبه و الإشكالات ، ومورد للنصوص الظاهرة موردَ الإجمال حتى يقع الاختلاف ، وذلك مظنَّة وقوع النِّزاع " [4]

وكلامـــه الـــسابق يشبه كلام ابن تيمية إلى حدٍّ كبير ، إذ قال هذا الأخير "... ومن لم يحط علما بأســـباب الكـــتاب و السنة ، عظم خطؤه ، كما قد وقع ذلك لكثير من المتفقهة و الأصوليين و المفسرين و الصوفية..." [5] .

---

[1] الموافقات ج 3 / 258 ، ج 4 / 146

[2] المرافق على الموافق ج 2 / 522

[3] ينظر المسودة في أصول الفقه ج 1 / 309 ( تحقيق الدكتور أحمد بن إبراهيم بن عباس الذروي ، الطبعة الأولى 1422هـ ـ 2001 م ، دار الفضيلة ـ الرياض ، دار ابن حزم ـ بيروت ـ )

[4] الموافقات ج 3 / 259 ، ج 4 / 146

[5] ينظر المسودة لآل ابن تيمية ج 1 / 308

وممـــا أفادنا به قوله : " وهكذا شأن أسباب النزول في التعريف بمعاني المنزَّل ، بحيث لو فقد ذكر السبب، لم يعرف من المنزل معناه على الخصوص"( [1] )

وفـــي نفـــس المعنـــى يقرّر ابن تيمية : " ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية : فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب .." ( [2] ) .

ثم روي لنا مجموعة أثار تدل على كلامه ؛ أذكر منها أثر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : " و الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت ؟ ، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم أنزلت ؟ ، ولو أعلم أحدًا أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لركبت إلـــيه ، وهـــذا يشير إلى أن علم الأسباب من العلوم التي يكون العالم بها عالما بالقرآن " ( [3] ) ، رويـــت هـــذا الأثـــر دون غيره من الآثار([4]) ، لأن الشاطبي يقرر فيه ضرورة معرفة أسباب النـــزول صـــراحة ، فهـــو كما قال لا نسمي رجلا بالعالم بالقرآن حتى تكتمل له معرفة أسباب النزول ، ثم أكد كلامه هذا بقوله : " وعلى الجملة فهو ظاهر بالمزاولة لعلم التفسير " ([5]) .

ومـــن الأمثلة التي ضربها عن أسباب النزول قوله : " .... وقد كانوا في الصلاة يكلم بعضهم بعضاً، إلى أن نزل : ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ ([6]) " ( [1] ) .

---

[1] المصدر نفسه ج 3 / 260 ـ 261 ، ج 4 / 152

[2] ينظر مقدمة أصول التفسير له ص 38 ( اعتنى بها فواز أحمد زمرلي ، الطبعة الثانية 1418 هـ ـ 1997 م ، دار ابن حزم )

[1] الموافقات ج 3 / 261 ، ج 4 / 153، والأثر متفق عليه ؛ ينظر البخاري كتاب فضائل القرآن ـ باب القراء من أصحاب النبي ﷺ رقم ( 5002 ) ج 6 / 420، مسلم ـ كتاب فضائل الصحابة ـ رقمي ( 2462 ـ2463 ) ج 4 / 1520 ، عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه

[3] روى مجموعة من الآثار عن الحسن ، وعن ابن سرين عن عبيدة

[4] المصدر السابق ج 3 / 261 ، ج 4 / 153

[5] سورة البقرة الآية 238 ، والحديث أخرجه كلّ من البخاري كتاب تفسير القرآن ـ باب ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ أي مطيعين رقم ( 4534 ) 5 / 194 ، مسلم كتاب المساجد والمواضع رقم ( 539 ) ج 1 / 319 ـ 320 ، الترمذي كتاب الصلاة رقم ( 405 ) ج 2 / 256 ، وفي كتاب التفسير ( 2986 ) ج 5 / 203 ، كلهم عن زيد ابن الأرقم رضي الله عنه، صحيح المسند من أسباب =

قـــال ابـــن العربي عن معنى القنوت : " ... اعلموا وفقكم الله تعالى أن القنوت يرد على معان أمهاتهـــا أربع : 1 ــ الطاعة : قاله ابن عباس ، 2 ــ القيام : قاله ابن عمر ، 3 ــ السكوت : قالـــه مجاهد ، 4 ــ القنوت : الخشوع ؛ وهذه المعاني كلّها يصح أن يكون جميعها مراداً ، لأنه لا تنافر فيه إلا القيام فإنه يبعد أن يكون معنى الآية وقوموا لله قائمين ، إلا على تكلف... " ( [2] ) ويقـــول الشيخ وهبة الزحيلي : " .. إن أسباب النزول قرائن معبرة توضح غاية الحكم ، وتبين سبب التشريع ؛ وتعرف أسراره ومراميه وتساعد على فهم القرآن الكريم فهما دقيقا شاملا " ([3]) أما عن **أقسام النزول** فقال : " غير أن الكلام المنظور فيه تارة يكون واحدًا بكل اعتبار بمعنى أنـــه أنزل ، في قضية واحدة طالت أو قصرت ، وعليه أكثر سور المفصل ( [4] ) ، وتارة يكون

---

= النـزول لمقبل ابـن هادي الوادعي ص 45 ـ 47 ( الطبعة الثانية 1415 هـ ـ 1995 م ، مكتبة دار القدس باليمن ـ دار ابن حزم بيروت )

[1] ينظر الموافقات ج 3 / 80 ، ج 3 / 341

[2] ينظـر أحكـام القـرآن لـه ج 1 / 273 ، قـال ابن حجر ولقد نظمها شيخنا الزين العراقي قائلا : ولفظَ القنوت اعدد معانيَه تجد مزيداً على عشرِ معاني مُرضيَه

دعاءٌ خشوعٌ والعبادةُ طاعة إقامتها إ قراره بالعبودية

سكوتٌ صلاةُ والقيام وطوله كذاك دوام الطَّاعة الرَّابح القُنيه

ينظـر فـتح الـباري لابـن حجـر ج 2 / 570 ، تأويـل مـشكل القرآن لابن قتيبة ص 451 ـ 452 ، تفسير الطبري ج 4 / 379 ـ 381 ، الحقيقة الشرعية لبازمول ص 139 الكلمات الأساسية في الحقل القرآني لعبد العال سالم مكرم ص 103 ـ 104

[3] ينظـر التفـسير المـنير في العقيدة والشريعة والمنهج ج 1 / 18 ـ 19 ( طبعة سنة 1418 هـ ـ 1998 م ، دار الفكر ـ بيروت ، دمشق )

[4] قـال ابـن كثير : " أن سورة " ق " هي أول الحزب المفصل على الصحيح ، وقيل من " الحجرات " ، وأما ما يقول العامة : إنه مـن" عـم " فـلا أصـل لـه ، ولم يقلـه أحد من العلماء المعتبرين ... " ينظر تفسيره ج 4 / 2702 ، عمدة التفسير لأحمد شاكر ج 3 / 364 ( أعـدّه أنـور البـاز ؛ الطـبعة الثانـية 1426هـ ـ 2005م ، دار الوفاء ـ المنصورة ـ ) ، الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقـيلة المكـي ج 2 / 34 ( تحقـيق محمّـد صـفاء حقـي ؛ الطـبعة الأولى 1427هـ ـ 2006 م ، مركـز البحوث و الدراسات بجامعة الـشارقة ـ الإمارات العربية المتحدة ـ ) ، علوم القرآن للدكتور عدنان محمّد الزرزور ص 103 ( الطبعة الأولى 1401هـ ـ 1981 م ، المكـتب الإسـلامي ) ،الإتقـان في علوم القرآن للسيوطي ج 2 / 413 ـ 416 ( تحقيق مركز الدراسات القرآنية ـ مجمع الملك فهد =

متعددًا في الاعتبار، بمعنى أنه أنزل في قضايا متعددة كسورة البقرة وآل عمران والنساء واقرأ باسم ربك وأشباهها.. " ([1]) .

فهـو يقـرر أن هناك من السور ما نزل جملة واحدة ، ومنها آخر نزل منجما و مفرقا بحسب الحوادث و النوازل ، و سيأتي ذكر كلامه في الحكمة من نزول القرآن الكريم منجما لاحقا ، ثم بعد ذلك قسم القسم الأخير؛ المشتمل على السور التي نزلت في عدة قضايا إلى اعتبارين وهما **اعتـبار مـن جهـة تعـدد القضايا** : فتكون كل قضية مختصة بنظرها ، .. ويشترك مع هذا الاعتبار القسم الأول فلا فرق بينهما.

**واعتـبار مـن جهة النظم** : الذي وجدنا عليه السورة إذ هو ترتيب بالوحي لا مدخل فيه لآراء الـرجال ويـشترك معه أيضا القسم الأول لأنه نظم ألقي بالوحي وإنما يلتمس منه ظهور بعض أوجـه الإعجـاز" ([2]) ، ومـثل للاعتبار الثاني هذا بسورة البقرة ، و لكني اخترت أن أرجئ الكـلام عـنها لأذكـرها في موضع آخر من هذا البحث إن شاء الله ، ومن كلامه في الاعتبار الثانـي حيث أشار أن من فوائد نزوله في قضايا مختلفة يلتمس الإعجاز ، ذكرني بمقالة محمد الطاهـر بـن عاشور حين قال : " وثمة فائدة أخرى عظيمة لأسباب النزول ، وهي أن نزول القرآن عند حدوث حوادث دلالة على إعجازه من ناحية الارتجال ، وهي إحدى طريقتين لبلغاء العرب في أقوالهم ، فنزوله على حوادث يقطع دعوى من ادعوا أنه أساطير الأولين "([3])

ومن الجوانب التي تكلَّم عنها هنا، " **تعدد أقوال المفسرين في ذكر سبب نزول الآية الواحدة** " ، أشـار إلى ذلك في قوله : " ألا ترى أن الآية الأولى من سورة آل عمران إنما نزلت في قصة نـصارى نجران ؟ ثم نزلت على الخوارج حسبما تقدم ، إلى غير ذلك مما يذكر في التفسير ، إنمـا يحملونه على ما يشمله الموضع بحسب الحاجة الحَاضرة لا بحسب ما يقتضيه اللفظ لغة ،

---

= لطباعة المصحف ، طبعة عام 1426 هـ ) ، المقدمات الأساسية في علوم القرآن لعبد الله بن يوسف الجديع ص 147 ( الطبعة الأولى 1422هـ ـ 2001 م ، توزيع مؤسسة الريان ـ بيروت ـ )

[1] الموافقات ج 3 / 310 ، ج 4 / 266

[2] الموافقات ج 3/ 311، ج 4 / 268

[3] ينظر المقدمة الخامسة من التحرير و التنوير ج 1/ 50

هكذا ينبغي أن تفهم أقوال المفسرين المتقدمين ، وهو الأولى لمناصبهم في العلم .. " [1]

فالـشاطبي رحمه الله لا ينفي تعدد نزول الآية الواحدة لأسباب متعددة ، ومما يزيد تأكيدًا على ذلك أنه ضرب لنا مثال حول سبب نزول آية المائدة [2] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ قـال " روي في سبب نزولها أخبار جملتها تدور علـى معنـى واحد ، وهو تحريم ما أحل من الطيبات تدينا أو شبه التدين ، ولله نهى عن ذلك وجعلـه اعـتداء ، والله لا يحـب المعتدين ، ثم قرر الإباحة تقريرا زائدا على ما تقرر بقوله ﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا ﴾ ... " [3] .

قال : " فخرج إسماعيل القاضي من حديث أبي قلابة ﷺ : " قال أراد ناس من أصحاب رسول الله ﷺ أن يرفضوا الدنيا ، وتركوا النساء وترهبوا ، فقام رسول الله ﷺ فيهم فغلظ فيهم المقالة ، فقال: " إنما هلك من كان قبلكم بالتشديد، شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ، فأولئك بقاياهم في الديار والصوامع اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وحجوا واعتمروا ، واستقيموا يستقم بكم " [4] قال ونزلت فيهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ

---

[1] ينظر الاعتصام ص 1 /77 ؛ طبعة دار الحديث ، ج 1 / 174 تحقيق مشهور

[2] الآيات رقم 87 ـ 88

[3] ينظر الاعتصام ج 1 / 236 ، وسبب نزول الآية في تفسير ابن جرير الطبري ج 8 / 608 ـ 614 ، تفسير ابن أبي حاتم ج 4 / 1186 ـ 1188 ، الدر المنثور للسيوطي ج 5 / 420 ـ 432 ، تيسير العزيز العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير لنسيب الرفاعي ج 2 / 77 ( طبعة عام 1410 هـ ـ 1989 م مكتبة المعارف الرياض ) ، التفسير الصحيح لحكمت بشير ياسين ج 2 / 204

[4] أخرجه و بنحوه عند أبي داود كتاب الأدب ـ باب في الحسد ـ رقم ( 4904) ،ضعيف سنن أبي داود للألباني رقم ( 4904 ) ص 401 ـ 402، سنن أبي داود اعتناء مشهور رقم ( 4904 ) ص 887 ـ 888 ،السلسلة الصحيحة للألباني رقم ( 3124 ) ج 7 / 332ـ337 السلسلة الضعيفة للألباني رقم ( 3468) ج 7/ 467 ـ 468، عن أنس ابن مالك ﷺ ، و الطبراني في المعجم الأوسط ـ باب من اسمه بكر ـ رقم ( 3078 ) ج 3/ 258 عن سهل ابن حنيف ﷺ

﴿ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ ، وفي الترمذي عن ابن عباس ﷺ قال : " قال إن رجلا أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! إني إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء وأخذتني شهوتي فحرمت علي اللحم فأنزل الله الآية " ([1]) .

وفي رواية عن ابن عباس ـ ﷺ ـ قال: " نزلت هذه الآية في رهط من أصحاب رسول الله ﷺ منهم أبو بكر وعمر، وعلى وابن مسعود وعثمان بن مظعون والمقداد بن الأسود الكندي وسالم مولى أبى حذيفة ﷺ اجتمعوا في دار عثمان بن مظعون الجمحي فتوافقوا أن يجبوا أنفسهم بأن يعتزلوا النساء ولا يأكلوا لحما ولا دسما ، وأن يلبسوا المسوح ولا يأكلوا من الطعام إلا قوتا ، وأن يسيحوا في الأرض كهيئة الرهبان ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ من أمرهم"

وفي الصحيح عن عبد الله قال : " كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ليس معنا نساء فقلنا: ألا نختصي ؟ فنهانا عن ذلك ، فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب " ([2]) إلى أجل يعني – والله أعلم – نكاح المتعة المنسوخ " .

وهنا لابد من التنويه والإشارة إلى قاعدة هامة لابد من مراعاتها في هذا الباب ، ألا وهي : " إذا تعددت المرويات في سبب النزول نُظر إلى الثبوت فاقتصر على الصحيح ، ثم العبارة ، فاقتصر على الصريح ، فإن تقارب الزمان حمل على الجميع ، وإن تباعد حُكم بتكرار النزول أو الترجيح " ([3]) .

---

[1] رواه الترمذي كتاب تفسير القرآن باب ـ ومن سورة المائدة ـ رقم ( 3054 ) عن عبد الله ابن عباس ـ ﷺ ـ وقال الترمذي حديث حسن غريب ، الترمذي في السنن كتاب تفسير القرآن رقم ( 3054) ج 5 / 238، صحيح سنن الترمذي للألباني رقم ( 3054) ج 3/ 232 ـ 233 ، سنن الترمذي اعتناء مشهور رقم ( 3054 ) ص 684 ، ورواه بعضهم مرسلا أيضا من طريق عثمان ابن سعد وطريق أخرى عن عكرمة مرسلا الترمذي 5 / 239

[2] الحديث رواه البخاري ـ كتاب تفسير القرآن ـ باب قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ برقم ( 4615 ) ج 5 / 228، مختصر صحيح البخاري للألباني رقم ( 1894 ) ج 3 / 164 ـ 165،عن عبد الله ابن مسعود ابن غافل ابن حبيب ﷺ

[3] ينظر شرح هذه القاعدة والتمثيل لها قواعد التفسير لعثمان السبت ج 1 / 69

وممـــا نـــوه به الشاطبي أيضا القاعدة الأصولية " **العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب** " ، فجـــاءت مستجيبة لآرائه في أسباب النزول ؛ التي غالبا ما وقفت عرضة أمام معاني التفسير، حـــيث قال : " وهو كله مبني على القول باعتبار عموم اللفظ لا خصوص السبب ، ومثله قوله تعالى ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ ([1]) مع أنها نزلت في اليهود والسياق يدل على ذلك ، ثم إن العلماء عمُّوا بها غير الكفار وقالوا كُفر دون كفر..." ([2])

وألحـــق الـــشاطبي بقاعـــدة أسباب النزول مسألة أخرى اعتبرها من جنسها ، ألا وهي معرفة **عـــادات العـــرب** فقال : " ومن ذلك معرفة عادات العرب في أقوالها وأفعالها ومجاري أحوالها حالـــة التنزيل ، وإن لم يكن ثمَّ سبب خاص لا بد لمن أراد الخوض في علم القرآن منه ، وإلا وقـــع فـــي الشبه والإشكالات التي يتعذر الخروج منها ؛ إلا بهذه المعرفة "([3]) ، وأشار" ماء العينين" إلى ذلك ([4]) :

**كـــــذاك معـــــرفةُ عـــــادات العَـــــرَب فـــــي القـــــول والفعـــــل وحـــــالٍ يُـــــرتقَب**

ومن الأمثلة التي ضربها على ضرورة معرفة عادات العرب ، أذكر ما يلي :

- " قول الله تعالى ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ ([5]) ، فإنما أمر بالإتمام دون الأمر بأصل الحـــج ، لأنهم كانوا قبل الإسلام آخذين به ، لكن على تغيير بعض الشعائر، ونقص جملة منها، كالوقـــوف بعرفة وأشباه ذلك مما غيروا ، فجاء الأمر بالإتمام لذلك ... وإذا عرف هذا تبين هل في الآية دليل على إيجاب الحج أو إيجاب العمرة ؟ أم لا ؟ " ([6]) ، ومن الأمثلة أيضا :

---

[1] سورة المائدة الآية 44

[2] ينظر الموافقات ج 3 / 211 ، ج 4 / 39

[3] ينظر الموافقات ج 3 / 261 ، ج 4 / 154

[4] المرافق على الموافق ج 2 / 525

[5] سورة البقرة الآية 196

[6] الموافقات ج 3 / 261 ، ج 4 / 154

- " قوله تعالى ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾ [1] فعين هذا الكوكب لكون العرب عبدته وهم خزاعة ابتدع ذلك لهم أبو كبشة ، ولم تعبد العرب من الكواكب غيرها، فلذلك عينت " [2]

وهنا تنبيه أود الإشارة إليه ، أن هذا الأمر لا يتعلق بالقرآن العزيز وحده ، بل تشاركه في ذلك السنة النبوية ، قال الشاطبي : " وقد يشارك القرآن في هذا المعنى السنة ، إذ كثير من الأحاديث وقعت على الأسباب ولا يحصل فهمها إلا بمعرفة ذلك ، ومنه أنه نهى عليه الصلاة والسلام "عن ادخار لحوم الأضاحي بعد ثلاث" ( [3] ) ، فلما كان بعد ذلك قيل لقد كان الناس ينتفعون بضحاياهم ...." و"حديث الأعمال بالنيات "( [4] ) ، قال " صاحب المرافق على الموافق " ( [5] ) :

**وشارك السنة فذا القرآن لأنها بسبب قد تستبان**

وهنا مسألة أريد الإشارة إليها ، وهي ما هو السِّر في نزول القرآن منجما ؟

قال الشاطبي : " ... فلهذا المعنى بعينه وضعت العمليات على وجه لا تخرج المكلف إلى مشقة يمل بسببها أو إلى تعطيل عاداته التى يقوم بها صلاح دنياه ويتوسع بسببها فى نيل

---

[1] الآية 49 من سورة النجم ، وورد في صحيح البخاري تفسير مجاهد للآية بأن معنى الشعرى " هو مِرزم الجوزاء ، كتاب تفسير القرآن ج 6 / 354

[2] الموافقات ج 3 / 262 ، ج 4 / 155

[3] الحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأطعمة ـ باب ما كان السلف يدَّخرون في بيوتهم وأسفارهم من الطعام واللّحم وغيره ـ رقم ( 5423) المجلد الثالث ج 6 / 552 ، ومسلم كتاب الأضاحي ـ باب ، الترمذي كتاب الأضاحي ـ باب ما جاء في الرخصة في أكلها بعد ثلاث رقم ( 1510 ) 4 / 79 ـ 80 ، النسائي ـ باب الإدخار من الأضاحي 7 / 235 ـ 236 ، الطبراني في المعجم الأوسط رقم ( 9063 ) ج 9 / 35،صحيح سنن النسائي للألباني كتاب الضحايا ، باب ـ النهي عن الأكل من لحوم الأضاحيِّ بعد ثلاث وعن إمساكه ـ الأرقام ( 4435 ، 4436 ، 4437 ) ج 3 / 191 ، سنن النسائي اعتناء مشهور الأرقام ( 4423 ، 4424 ، 4425 ) ص 679 ،إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل رقم ( 1155 ) ج 4 / 368 ، عن ابن عمر و علي ابن أبي طالب و جابر رضي الله عنهم

[4] ينظر الموافقات ج 3 / 362

[5] المصدر المذكور أعلاه ج 2 / 526

حظــوظه وذلك أن الأمي الذى لم يزاول شيئاً من الأمور الشرعية ولا العقلية وربما اشمأز قلبه عمــا يخرجه عن معتاده بخلاف من كان له بذلك عهد ، ومن هنا كان نزول القرآن نجوماً فى عشرين سنة ، ووردت الأحكام التكليفية فيها شيئا فشيئاً ولم تنزل دفعة واحدة ؛ وذلك لئلا تنفر عنها النفوس دفعة واحدة .. " ( [1] ) .

إذن الــسِّر مــن ذلــك لكي لا تنفر النفوس ، فمعلوم أن القوم لا يزالون حديثو عهد بالإسلام ، فالشارع هو العليم الحكيم ، المطلِّع على ما تُخفي الصدور ، وقال الباحث حمادي العبيدي معلِّقا على كلام الشاطبي الأخير : " بأنه هو مستنبط نظرية ملائمة سنِّ القوانين للعوامل النفسية عند الأفــراد دون المجــتمعات كمــا نتبين من هذه النصوص ، وليس العالم والفيلسوف الفرنسي " مونسيكيوا " في كتابه " روح القوانين " ... " ([2]) .

قــال الــسيوطي : " .... يعــنون كما أنزل على من قبله من أرسل أي لنقوِّي به قلبك ، فإن الوحي إذا كان يتجدد في كلِّ حادثة كان أقوى للقلب ، وأشدَّ عناية بالمرسل إليه ، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه ، وتجديد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز ن فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة ... وقيل معنى أي لنحفظه فإنه كان أمياً لايقرأ ولا يكتب ، ففرّق عليه ليثبت عليه حفظه ، بخلاف غيره من الأنبياء فإنه كان كاتبا قارئا فيمكنه حفظ الجميع ... " ( [3] ) .

فالحكمــة من نزول القرآن منجما هو التيسير على المكلفين في تطبيق تلك التكليفات ، وهو من المــصالح فكلما نزل جزءً جزءً وآية فآية كان أدعى للفهم ، وبالتالي تطبيقه ، وهذا الأمر نفسه يؤكده الشاطبي في قوله : " .. فلو نزلت دفعة واحدة لتكاثرت التكاليف على المكلف فلم يكن لينقاد إليها انقياده إلى الحكم الواحد أو الاثنين .. " ( [4] ) .

---

[1] المصدر نفسه 2 /148

[2] ينظر الشاطبي ومقاصد الشريعة ص 249

[3] ينظر معترك الأقران في إعجاز القرآن ج 2 / 258 ـ 259 ، وللمعرفة المزيد حول الحكمة من نزوله مفرقا ينظر المدخل لدراسة القرآن للأستاذ أبو شهبة ص 69 ـ 83 ( الطبعة الثالثة 1407 هـ ـ 1987 م )

# المبحث الرابع
## ـ النسخ في القرآن العزيز ـ

قال ابن فارس :

" الـــنون والـــسين والخـــاء أصل واحد ، إلا أنه مختلف في قياسِه قال قوم : قياسَه رفع شيء وإثبات غيره مكانه ، وقال آخرون قياسه تحويل شيء إلى شيء ، ومنه نسخ الكتاب والنسخ أن تزيل أمرًا كان من قبل يعمل به يقال : انتسخت الشمس الظلَّ ، والشيب الشباب " ([1])

المسائل التي اهتم بها الشاطبي هنا هي كالآتي :

1. **أين وقع النسخ ؟** : أجاب رحمه الله على السؤال المطروح بأن معظمه كان بالمدينـــة المنورة ، والحكمة من ذلك ــ والله أعلم ــ كما ذكرها البعض هي التدرج في تشريع الأحكـــام ، فقال في الفصل الثاني من القسم الرابع : "... فالنسخ إنما وقع معظمه بالمدينة ، لما اقتـــضته الحكمـــة الإلهية في تمهيد الأحكام ، وتأمل كيف نجد معظم النسخ إنما هو لما كان فيه تأنيسٌ أولاً للقريب العهد بالإسلام ، واستئلاف لهم، مثل كون الصلاة كانت صلاتين ثم صارت خمـــسا، وكون إنفاق المال مطلقا بحسب الخيرة في الجملة([2]) ثم صار محدودا مقدرًا ، ... إلى غيـــر ذلـــك ممـــا كـــان أصـــل الحكم فيه باقيا على حاله قبل الإسلام ثم أزيل ، أو كان أصل مـــشروعيته قـــريبا خفيفا ثم أحكم " ([3]) ، فتأمل معي فكأن الشاطبي يشير إلى جواز النسخ من

---

[4] الموافقات 2 / 149

[1] معجم مقاييس اللغة ج 5 / 424 ـ 425 ، المجمل في اللغة ج 3 / 866 ـ 867 ، وللاستزادة في معرفة معاني النسخ لغة ينظر المصادر التالية : لسان العرب لابن منظور ج 49 / 4407 ، تاج العروس للزبيدي ج 7 / 355 ـ 356 ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل ابن حماد الجوهري ج 1 / 433 ، ( تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار ، الطبعة الرابعة 1990 ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ) ، التعريفات للشريف الجرجاني ص 260

[2] قال الدراز : أي في نوعه ومقداره ، وإلا فلإنفاق مطلوب من أول التشريع

[3] ينظر الموافقات ج 3 / 78 عبد الله دراز ، ج 3 / 336 ـ 337 مشهور

الأخف إلى الأثقل

ولقد استدل رحمه الله على ما سبق بأن النسخ وقع معظمه بالمدينة بما يلي :

1. **الاستقراء التام** ([1]) : فقال رحمه الله : " لأن الشريعة مبنية على حفظ الضروريات والحاجيات والتحسينيات ، وجميع ذلك لم ينسخ منه شئ ، بل إنما أتى بالمدينة ما يقويها ويحكمها ويحصنها وإن كان كذلك لم يثبت النسخ الكلي ألبتة ، فإنما يكون النسخ في الجزئيات منها والجزئيات المكية قليلة ..." ([2]) .

2. **النسخ لا يكون في الكليات** : قال " النسخ لا يكون في الكليات وقوعا وإن أمكن عقلا " ([3]) وهنا لابد أن نتذكر ما سبق في أن الكليات حافظ عليها المكي من القرآن مع النقطة الأولى التي هي ؛ أن النسخ وقع غالبه في المدينة ، ونظم " ماء العينين" ([4]) فقال :

**قواعد كلِّية ضروريَّات ... وحاجيَّات وكذا تحسينيَّات**
**لم يقعن نسخٌ بها و إنَّما ... وقع في جزئيَّة فلتَعلما**
**لأنها قد روعيت في المِلل ... مع اختلاف وجه حفظٍ فاعمل**

ثم قال الشاطبي في موضع آخر : " القواعد الكلية من الضروريات والحاجيات والتحسينيات لم يقع فيها نسخ ، وإنما وقع النسخ في أمور جزئية ، بدليل الاستقراء فإن كل ما يعود بالحفظ على الأمور الخمسة ثابت ، وإن فرض نسخ بعض جزئياتها فذلك لا يكون إلا بوجه آخر من

---

[1] هو الذي يتم فيه استيعاب جميع جزئيات أو أجزاء الشيء الذي هو موضوع البحث بالنظر والدراسة العلمية ، وفق المستوى الذي يتطلبه البحث العلمي أو هو إثبات حكم كلي لثبوته في الجزئيات ، فتتبع جميع الجزئيات يسمى تاما ويكون حجة ، وعكسه الناقص ينظر ضوابط المعرفة للميداني ص 193 ، التحقيقات في شرح الورقات لابن قاوان الشافعي ص 580 ( تحقيق ودراسة الشريف سعد بن عبد الله بن حسين ، الطبعة الأولى 1419 هـ ـ 1999م ، دار النفائس الأردن )، المستصفى من علم الأصول للغزالي ج 1 / 103 ـ 105، نثر الورود على مراقي السعود ج 2 / 567

[2] نفس المصدر السابق ج 3 / 79

[3] الموافقات ج 3 / 78 ، ج 3 / 338

[4] المرافق عل الموافق ج 416/1

الحفــظ " ([1]) ، وعلَّل ذلك أن تلك الكليات هي واحدة في الشرائع المختلفة ، فهي مشتركة ، إنمــا يقع الاختلاف في طرق حفظ بعض جزئياتها ، فقال : " فإذا كانت الشرائع قد اتفقت في الأصــول مع وقوع النسخ فيها، وثبتت ولم تنسخ فهي في الملة الواحدة الجامعة لمحاسن الملل أولى والله تعالى أعلم " ([2]) .

3. **غالب ما أُدعي فيه النسخ هو ليس بنسخ** ([3]) :

قــال الشاطبي " ما ادعى فيه النسخ إذا تأمل وجدته متنازعا فيه ، ومحتملا وقريبا من التأويل بالجمع بين الدليلين على وجه من كون الثاني بيانا لمجمل ، أو تخصيصا لعموم أو تقييدا لمطلق ومــا أشــبه ذلــك من وجوه الجمع مع البقاء على الأصل من الإحكام في الأول والثاني ([4]) ، وضرب على ذلك عدة أمثلة منها :

قــال الطبري : أجمع أهل العلم على أن زكاة الفطر فرضت ، ثم اختلفوا في نسخها قال ابن النحاس : فلما ثبتت بالإجماع وبالأحاديث الصحاح عن النبي ﷺ لم يجز أن تزال إلا بالإجماع أو حديث يزيلها ويبين نسخها ، ولم يأت من ذلك شيء ، انتهى المقصود منه " ([5]) .

▪ **تحــريم ما هو مباح بحكم الأصل ليس نسخا** : وذلك عند الأصوليين " كالخمر والربا ، فإن تحريمهما بعد ما كانا على حكم الأصل لا يعد نسخا لحكم الإباحة الأصلية ، ولذلك قالوا في حــد النسخ : إنه رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر ومثله ، رفع براءة الذمة بدليل ، وقد كانــوا فــي الصلاة يكلم بعضهم بعضا، إلى أن نزل ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ ([6]) ، وروى أنهم

---

[1] ينظر الموافقات ج 3/ 88

[2] المصدر نفسه ج 3 /89

[3] قال الدراز هنا : " ومنه يعلم أن الطريقة التي جرى عليها مثل الجلالين في التفسير ، ليست على ما ينبغي ، وإن كان جريا على الاصطلاح الآتي فهو تساهل في التعبير غير محمود في بيان كلام الله تعالى "

[4] الموافقات ج 3/ 80 ،

[5] ينظر الموافقات ج 3 / 80 ، ج 3 / 340ـ 341

[6] سورة البقرة الآية 238

كانوا يلتفتون في الصلاة إلى أن نزل ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ [1] .

قالـــوا : وهذا إنما نسخ أمرًا كانوا عليه ، وأكثر القرآن على ذلك " [2] ، أي أكثر تشريع القرآن هـــو رفـــع ونقـــض لما كانوا عليه ، و إنما كان أمهلهم مدة وأخذهم بالتدريج في تشريع ما به إصلاح عاداتهم و عباداتهم ، فلا يعد نسخا ، لأنه إنشاء لأحكام لم يسبقها تشريع في موضوعها قال ذلك الدراز ، و أشار "ماء العينين" إلى ذلك [3] :

**لـــذاك كـــان النَّـــسخ فـــي الجـــزئيَّات أكثـــر مـــنه أبـــدا فـــي الكلِّـــيَّات**

وينـــتج على كلِّ ما سبق المسألة اللاحقة وهي : " فإذا اجتمعت هذه الأمور، ونظرت إلى الأدلة من الكتاب والسنة ، لم يتخلص في يدك من منسوخها إلا ما هو نادر" [4]

ومما يؤكد على ندرة النسخ ، أن مفهومه عند المتقدمين هو عام ، فإذا حُقِّق في تلك الآيات التي قـــيل عنها أنها منسوخة تَجدها على خلاف ما ذُكر ، بل هي محكمة كلَّ الإحكام وهذا ما سنراه في الجزئية التالية

**مفهـــوم النـــسخ عـــند المتقدمين** : لقد توسع العلماء المتقدمون ، في إطلاق لفظ النسخ إذ هم يعتبـــرون تقييد المطلق ، و تخصيص العام ، وغيرها من المباحث نسخا ، قال الشاطبي : " و الـــذي يظهـــر عندهم في الإطلاق أعم منه في كلام الأصوليين ، فقد يطلقون على تقييد المطلق نـــسخا، وعلـــى تخـــصيص العموم بدليل متصل أو منفصل نسخا، وعلى بيان المبهم والمجمل نـــسخا، كمـــا يطلقـــون علـــى رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر نسخا ؛ لأن جميع ذلك مـــشترك في معنى واحد ، وهو أن النسخ في الاصطلاح المتأخر اقتضى أن الأمر المتقدم غير مـــراد في التكليف ، وإنما المراد ما جئ به آخرًا ، فالأول غير معمول به والثاني هو المعمول

---

[1] سورة المؤمنون الآية 02

[2] الموافقات ج 3 /80

[3] المرافق على الموافق ج 1 /411

[4] الموافقات ج 3 /81 ، ج 3 / 343

به " ([1]) .

ونظم "ماء العينين" قائلا ([2]) :

| | |
|---|---|
| وأطلقـــوا النّـــسخ علـــى أمـــور | دونكهـــا تفـــيد فـــي الدُّهـــور |
| تقيـــيد مطلـــقٍ وتخـــصيصُ العمـــوم | بـــيانُ مـــبهمٍ ومجمـــلٌ رســـوم |
| كمـــا علـــى رفـــعٍ بحُكـــم شـــرعي | بمتأخِّـــر الدلـــيل القطعـــي |
| إذ دلَّ كلُّهـــا علـــى أن المـــراد | هـــذا الأخيـــرُ لـــيس أوَّلُ يُـــراد |
| لأجـــل ذا استُـــسهل إطـــلاقُ المقـــال | بالنَّـــسخ فـــي الكـــلِّ لفهـــم مـــا يقـــال |

إذن هـذه المسألة لابد من مراعاتها بل يجب ذلك ، ففهم مصطلح كل قوم كي لا يحرف معناه قـال الباحث حسين الحربي بعد استفادته من كلام الشاطبي في هذه القضية : " ... فإذا تقرّر هذا ، فليس صحيحاً أن نحاكم أقوالهم على مصطلح نشأ بعدهم ، إلا ما كان من قولهم في معنى ذلـك المـصطلح ؛ إذ إن مـنازعة المتأخر لهم في آية أهي محكمة أو منسوخة ؟ نزاع منفكة جهـته ، ولـيس له أن ينقل الآثار عنهم في نسخ آية وهي من قبيل التخصيص أو التقييد ونحو ذلك ، ويحكم عليها بالنسخ على ما اصطلح عليه الأصوليون .. " ([3]) .

ومـن الأمثلة التي ضربها على أنها منسوخة ، وهي ليست كذلك عدَّد في ذلك إحدى و عشرين مثالا أذكر منها بعض النماذج :

- قـد روي عـن " ابـن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قوله تعالى ﴿ **مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ** ﴾ ([4]) أنه ناسخ لقوله تعالى ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ**

[1] المصدر نفسه ج 3 /81

[2] المرافق على الموافق ج 1 / 413

[3] قواعد الترجيح عند المفسرين ج 1 / 79 [ دراسة نظرية تطبيقية راجعه وقدم له الشيخ مناع بن خليل القطان ، الطبعة الأولى 1417 هـ ـ 1996 م ، دار القاسم ـ الرياض ـ ]

[4] جزء آية من سورة الإسراء رقم 18

﴿ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا ﴾ [1] ، وعلى هذا التحقيق تقييد لمطلق إذا كان قوله ﴿ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا ﴾ مطلقا ؛ ومعناه مقيد بالمشيئة ، وهو قوله في الأخرى ﴿ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ وإلا فهو إخبار والأخبار لا يدخلها النسخ " [2] .

- وقال : في قوله تعالى ﴿ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [3] إنه منسوخ بقوله ﴿ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ ﴾ [4] الآية وليس من الناسخ والمنسوخ في شيء ، غير أن قوله ﴿ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ ﴾ يثبت أن البيوت في الآية الأخرى إنما يراد بها المسكونة ..." [5] .
- وقال في قوله تعالى﴿ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ ﴾ [6] منسوخ بقوله ﴿ ۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ ﴾ [7] ، وإنما ذلك بيان لمبهم في قوله ﴿ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ ﴾ [1] .

---

[1] جزء آية من سورة الشورى رقم 20

[2] الموافقات ج 3 / 81 ـ 82 ، ومن العلماء الذين قالوا بنسخها ابن البارزي ص 18 ( ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه ،تحقيق حاتم الضامن مؤسسة الرسالة ) ،ابن حزم في الناسخ والمنسوخ ص 54 ، وقال ابن الجوزي " وليس بصحيح لأنه لا يؤتى إلاَّ ما شاء ، ويكون المعنى : لمن نريد أن نفتنه " ص 51 ( المصفى بأكف أهل الرسوخ ، تحقيق حاتم الضامن ، مؤسسة الرسالة ) ، الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي ج 5 / 395

[3] من سورة النور الآية 27

[4] من سورة النور الآية 29

[5] الموافقات ج 3 / 82 ، قال بنسخها الزهري ص 32 ( الناسخ و المنسوخ ، تحقيق حاتم الضامن ، المعلومات السابقة ، و ابن البارزي ص 42 ـ 43 ، المصدر السابق ) ، ابن حزم الأندلسي الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم ص 48 ( تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري؛ الطبعة الأولى 1406 هـ ـ 1986 م ، دار الكتب العلمية ـ لبنان ) ، الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي ج 5 / 383

[6] جزء آية من سورة الأنفال رقم 1

[7] جزء آية من سورة الأنفال رقم 41

- وقـــال في قوله ﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ ([2]) إنه منسوخ بقوله ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا ﴾ ([3]) الآية وآية الأنعام خبر من الأخبار ، والأخبار لا تَنسخ ولا تُنسخ ..." ([4]) .

وقال في قوله ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ ([5]) إنه منسوخ بقوله ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ ([6]) الآية وليس بنسخ ، إنما هو تخصيص لما تقدم من العموم .." ([7]) .

---

[1] الموافقات ج 3 /83،قال البغدادي بنسخها ينظر الناسخ والمنسوخ ص 120 ـ 121،الناسخ والمنسوخ لابن حزم ص 39 ،وهو قول لعكرمة والضحاك والشعبي ؛ ينظر نفس الصّباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه لأبي جعفر أحمد بن عبد الصمد ابن عبد الحق الخزرجي ( 519 هـ ـ 582 هـ ) ج 1 / 366 ،دراسة وتحقيق الأستاذ محمد عز الدين المعيار الإدريسي ؛ طبعة عام 1414 هـ ـ 1994 م ـ وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية ، الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي ج 5 / 362 ، و قال ابن عاشور " الآية محكمة غير منسوخة ، فيكون لكلٍّ آية منهما حكمها إذ لا تداخل بينهما " ، ( التحرير و التنوير ج 9 / 250 المجلد الرابع )

[2] من سورة الأنعام الآية رقم 69

[3] من سورة النساء الآية رقم 140

[4] الموافقات ج 3/ 83

[5] من سورة النور الآية رقم 31

[6] من سورة النور الآية رقم 60

[7] الموافقات ج 3 / 85، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بنسخها ، بخلاف أكثر أهل العلم ، ينظر الناسخ والمنسوخ لعبد القاهر البغدادي ص 228 ،( تحقيق الدكتور حلمي كامل أسعد عبد الهادى دار العدوي ـ عمان ـ الأردن وقال بنسخها ابن البارزي ص 43 ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه ، الزهري ص 31، الناسخ و المنسوخ ، ابن حزم ص 48 ، المصدر سابق ، تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة ج 2 / 664 ـ 665 للدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميدي ( مركز البحث العلمي وإحياء الثراث الإسلامي بكلية الشريعة ـ جامعة أم القرى ـ ) ، الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي ج 5 / 383

- وقال في قوله تعالى ﴿ ۝٧ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾ [1] الآيـــة ! ، إنـــه منسوخ بآية المواريث وقال مثله لضحاك والسدي وعكرمة ، وقال الحـــسن منسوخ بالزكاة ، وقال ابن المسيب نسخه؛ الميراث والوصية ، والجمع بين الآيتين ممكن لاحتمال حمل الآية على الندب والمراد بأولى القربى من لا يرث ، بدليل قوله ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ﴾ كما ترى الرزق بالحضور، فإن المراد غير الوارثين وبين الحسن أن المراد الندب أيضا ( [2] ) ، بدليل آية الوصية والميراث ، فهو من بيان المجمل والمبهم " ([3]) .

وهناك عدَّة أمثلة ضربها ، و أخرى لم يذكرها ؛ وكان غرضه من سرد كل تلك الأمثلة كما قال : " والأمـــثلة هـــنا كثيرة توضح لك أن مقصود المتقدمين بإطلاق لفظ النسخ بيان ما تلقى في الأحكـــام ،مـــن مجـــرد ظاهره إشكال وإيهام لمعنى غير مقصود للشارع فهو أعم من إطلاق الأصوليين، فليفهم هذا وبالله التوفيق " ([4]) .

---

[1] سورة النساء الآية 8

[2] روى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ من جهة أخرى أنها محكمة ، وأنها على الندب والترغيب وهو قول مجاهد وابن جبير وعطاء ، ينظر نفسّ الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه للخزرجي ج 1 / 267 ، تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة لعبد العزيز الحميدي ج 1 / 205 ـ 208 ، الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي ج 5 / 343

[3] المصدر السابق ج 3/ 83 ـ 84، روى ذلك عن سعيد بن المسيب ، وروى قتادة :" قال أبو موسى الأشعري أنها ليست منسوخة " ( الناسخ و المنسوخ لسدوسي ص 39 ، تحقيق حاتم الضامن ، مؤسسة الرسالة ) ، وقال ابن عباس : " الآية محكمة غير أنه أريد بها الوصية لهؤلاء بشيء دون دفع شيء من الميراث إليهم .." ، ينظر الناسخ والمنسوخ للبغدادي ص 194 ،الناسخ والمنسوخ لابن حزم ص 31 ، وقال ابن الجوزي : " ذهب جماعة إلى إحكامها ثم اختلفوا في الأمر ، فأكثرهم على الاستحباب وهو الصحيح وبعضهم على الوجوب " ( المصفى بأكف أهل الرسوخ ص 23 ) ، نظرية النسخ في الشرائع السَّماوية ص 181 ( لشعبان محمد إسماعيل ،الطبعة الأولى 1408 هـ ـ 1988 دار السلام للطباعة والنشر )

[4] نفس المصدر ج 3 / 88

ويمكن جمع هذه الأمثلة وما يدخلها من حالات تفسيرية ؛ ودلالات أصولية في قول الناظم ([1])

| | |
|---|---|
| وأطلقوا النّسخ على أمور | دونكها تفيد في الدُّهور |
| تقييد مطلقٍ وتخصيصُ العموم | بيانُ مبهمٍ ومجملٌ رسوم |
| كما على رفعٍ بحُكم شرعي | بمتأخِّر الدليل القطعي |
| إذ دلَّ كلُّها على أن المراد | هذا الأخيرُ ليس أوَّلُ يُراد |
| لأجل ذا استُسهل إطلاقُ المقال | بالنَّسخ في الكلِّ لفهم ما يقال |

ثم أكد ذلك أيضا في المسألة الرابعة حين قال : " القواعد الكلية من الضروريات والحاجيات والتحسينيات لم يقع فيها نسخ ، وإنما وقع النسخ في أمور جزئية ؛ بدليل الاستقراء فإن كل ما يعود بالحفظ على الأمور الخمسة ثابت ، وإن فرض نسخ بعض جزئياتها فذلك لا يكون إلا بوجه آخر من الحفظ .." ([2]) .

النسخ لا يقع في الأخبار : لقد سبق ذلك في مثال قريب فلينظر، بأنه لا نسخ في الأخبار، وأكد قوله هذا عند نفي النسخ في قوله تعالى : " الآية ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ ([3]) ، أنها منسوخة بقوله ﴿ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝ ﴾ ([4]) ، وهو إطلاق النسخ في الأخبار؛ وهو غير جائز" ([5]) .

4. **نسخ القرآن بالخبر الواحد :** هذه الجزئية اختلف فيها علماء الناسخ والمنسوخ ، وكذلك علماء الأصوليين ، على فرقتين ، منهم قائل بجواز ذلك وهم قلة ولكنه هو الصواب إن شاء الله ([6]) ، و طائفة أخرى قالت بأنه لا يجوز ذلك و الظاهر من كلام

---

[1] المرافق على الموافق ج 1 / 413

[2] الموافقات ج 3 / 88

[3] سورة مريم الآية 71

[4] سورة الأنبياء الآية 101

[5] الموافقات ج 3 /87

[6] قال الباجي " يجوز نسخ القرآن والخبر المتواتر بخبر الآحاد " ،ودليله في ذلك تحويل القبلة بالنسبة لأهل قباء من بيت المقدس إلى الكعبة بخبر الواحد ، ينظر الإشارة في معرفة الأصول و الوجازة في معنى الدليل ص 270 ـ 271دراسة وتحقيق علي فركوس ، الطبعة الأولى 1416هـ ـ 1996 م المكتبة المكية ، و للمزيد ينظر المسودة في أصول الفقه ج 1 / 414ـ 416، الردود و النقود =

الـــشاطبي أنه يساير الفريق الثاني ، وهم جمهور العلماء ؛ ويدل على ذلك في قوله : " ولذلك أجمـــع المحققون على أن خبر الواحد لا ينسخ القرآن، ولا الخبر المتواتر ، لأنه رفع للمقطوع به بالمظنون فاقتضى هذا أن ما كان من الأحكام المكية يدعي نسخه لا ينبغي قبول تلك الدعوى فيه إلا مع قاطع بالنسخ بحيث لا يمكن الجمع بين الدليلين ولا دعوى الإحكام فيهما " ([1]) .

فيستفاد من الفقرة المذكورة إلى ما سبق ذكره أمرين آخرين وهما :

**الأول** ضـــرورة الـــتأكد من أمر النسخ فلا ندعي في آية ما أنها منسوخة إلا اعتمادا على دليل ســـمعي ، و **الثاني** وهو مذهب جميع العلماء في أنه لا يلجأ إلى الناسخ و المنسوخ إلا إذا تعذر الجمـــع بين الأدلة المتعارضة ، وهذا تطبيقا للقاعدة المعروفة " **إعمال الدليلين أولى من إهمال أحـــدهما** " ، وهنا يقول الباحث " طاهر محمود محمد يعقوب " في فصل من أطروحته العلمية تحـــت عـــنوان " التحـــري و التـــيقن لإثـــبات الناسخ والمنسوخ " : " إن النسخ موضوع من الموضـــوعات الـــشائكة ، وهو أمر ذو خطر وحذر ؛ لأن نتيجته تعود إلى إحلال حرام ، أو تحريم حلال ، و ينتهي بحثه بإيجاب شيء أو نفيه ، أو بإعمال المطلوب و إهمال المتروك ، و لأجـــل ذلـــك لا يعتمد لإثباته أو نفيه على الدليل الضعيف ، أو الاحتمالات البعيدة و القياسات المحـــضة ، أو أقـــوال المفسرين المجردة من الاستناد الشرعي ، بل لابد لإثباته من التحري و الدقة و التيقن و إمعان النظر في الأدلة " ([2]) .

---

= للبابرتـي ج 2 / 426 ـ 428 ، ( تحقيق تـرحيب بـن ربـيعان الدّوسـري الطبعة الأولى 1426هـ ـ 2005 م ،مكتبة الرشد الرياض )، المستصفى في علم الأصول للغزالي ج 1 / 240 شرح مختصر الروضة للطوفي ج 2 / 325 ـ 329، التحقيقات في شرح الورقات لابن قاوان الشافعي ص 377 ، مذكرة أصول الفقه للشنقيطي ص 152ـ 154 .

[1] ينظر الموافقات ج 3 / 79

[2] أسباب الخطأ في التفسير ج 1 / 371

# المبحث الخامس
# ـ إعجاز القرآن ـ

**تعريف المعجزة :**

هي مشتقة لغة من أعجز وعجز ، والعجز الضعف ، والإعجاز في الكلام :

" هوأن يوّدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ماعداه من الطرق " ( [1] ) .

لـــم تفت قضية إعجاز القرآن الكريم ، إذ تكلم عليها في عدة مواضع من كتابه " الموافقات " ، ومن تلك المواطن النوع الأول من كتاب المقاصد ، حين بيَّن قصد الشارع في وضع الشريعة ، بادئـــا كلامه بالتأكيد على عصمة الشريعة ، فهاهو يقول : " إن هذه الشريعة المباركة معصومة كمـــا أن صاحبها محمد ﷺ معصوم ، و استدل للإيضاح على عصمتها بمجموعة آيات منها : قـــوله تعالى ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ** ﴾ ([2]) فأخبر أنه يحفظ آياته ويحكمها حتى لا يخالطهـــا غيـــرها ولا يداخلها التغيير ولا التبديل ..." ، واستدل أيضا بـــ : "..ما جاء من حـــوادث الشهب أمام بعثة النبي ﷺ ، ومنع الشياطين من استراق السمع ( [3] ) لمَّا كانوا يزيدون فـــيما ســـمعوا من أخبار السماء ،حيث كانوا يسمعون الكلمة فيزيدون معها مائة كذبة أو أكثر ، فـــإذا كانـــوا قد مُنعوا من ذلك في السماء فكذلك في الأرض، وقد عجزت الفصحاء اللسن عن الإتيان بسورة من مثله، وهو كله من جملة الحفظ ، والحفظ دائم إلى أن تقوم الساعة.. " ([4]) .

---

[1] ينظر التعريفات للجرجاني ص 32 ، وعن مادة [ عجز ] المصادر الآتية : لسان العرب ج 31 / 2816 ـ 2819 ـ تاج العروس للزبيدي ج 15 / 199 ـ 216 ، الصحاح للجوهري ج 3 / 883 ـ 885

[2] سورة الحج الآية رقم 52

[3] يشير رحمه الله إلى آيات سورة الجن

[4] الموافقات ج 2 / 45

وحين تكلم عن العلوم التي كانت عند العرب ، قال : " ومنها التفنن في علم فنون البلاغة ، والخوض في وجوه الفصاحة ([1]) والتصرف في أساليب الكلام ، وهو أعظم منتحلاتهم ، فجاءهم بما أعجزهم من القرآن الكريم ، قال تعالى ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ ([2]) ....." ([3])

و تعتبر معجزة القرآن ، من أعظم المعجزات التي جاء بها النبي ﷺ ، فهي التي تدل على صدق نبوته ، فقال ماء العينين : " .... الدليل على صدق الرسول المعجزة ، وقد حصر عليه السلام معجزته في القرآن بقوله " وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي " ([4]) ، هذا وإن كان له من المعجزات كثير جداً ، بعضه يؤمن على مثله البشر ، ولكن معجزة القرآن أعظم من ذلك كلِّه ..." ([5]) .

ثم انتقل بنا الشاطبي إلى موضوع آخر لا يقل أهمية عن غيره من المواضيع ، ويتمثل فيما يلي **إعجاز القرآن لا يعني أبدا عدم فهمه أو تدبره !** فقال : " فمن حيث كان القرآن معجزا ، أفحم الفصحاء وأعجز البلغاء أن يأتوا بمثله ، فذاك لا يخرجه عن كونه عربيا جاريًا على أساليب كلام العرب ، ميَّسرًا للفهم فيه عن الله ما أمر به ونهى، لكن بشرط الدُّربة ــ أي العادة ــ في

---

[1] قال ابن الناظم : الفصاحة : " هي صوغ الكلام على وجه له توفية بتمام الإفهام لمعناه ، وتبيين المراد منه ، وهي نوعان معنوية ولفظية " المصباح في المعاني والبيان والبديع ص 159 ـ 161 ، الكليات للكفوي ص 691 ، وينظر مادة [ فصح ] في كلٍّ من لسان العرب لابن منظور ج 38 / 3419 ـ 3420 ، تاج العروس للزبيدي ج 7 / 18 ـ 20 ، الصحاح للجوهري ج 1 / 391

[2] سورة الإسراء الآية 88

[3] الموافقات ج 2 / 57 ـ 58

[4] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في موضعين من صحيحه كتاب الاعتصام بالكتاب و السنة ـ باب قول النبي ﷺ " بعثت بجوامع الكلم " رقم ( 7274 ) ج 8/ 488، كتاب فضائل القرآن ـ باب كيف نزول الوحي ؟ ـ رقم ( 4980) ج 6/ 413، ومسلم كتاب الإيمان ـ باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس رقم ( 239 ) ج 1/ 121، والإمام أحمد في مسنده رقم ( 8491 ) ج 14 /190، ورقم ( 9828) ج 15/ 515 الألباني في مختصر صحيح البخاري رقم ( 2012) ج 3/ 333كلّهم عن الصحابي أبي هريرة رضي الله عنه

[5] المرافق على الموافق ج 1 / 367

اللـــسان العربـــي كما تبين في كتاب الاجتهاد إذ لو خرج بالإعجاز عن إدراك العقول معانيه ، لكـــان خطـــابهم بـــه مـــن تكليف ما لا يطاق ، وذلك مرفوع عن الأمة وهذا من جملة الوجوه الإعجازيـــة فيه ؛ إذ من العجب إيراد كلام من جنس كلام البشر في اللسان والمعاني والأساليب مفهـــوم معقول ، ثم لا يقدر البشر على الإتيان بسورة مثله ولو اجتمعوا ، وكان بعضهم لبعض ظهيرا ، فهم أقدر ما كانوا على معارضة الأمثال ، أعجز ما كانوا عن معارضته ، وقد قال الله تعالـــى ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [1] وقال ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾ [2] ، وعلى أي وجه فرض إعجازه ؛ فذلك غير مانع من الوصول إلى فهمه وتعقلِّ معانيه ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [3] فهذا يستلزم إمكان الوصول إلى التدبر والتفهم وكذلك ما كان مثله وهو ظاهر " [4] .

فمـــن هـــذا النص الطويل نوعا ما ، يفهم نظرة الشاطبي في الإعجاز ، فهو يذهب إلى أن جهة الإعجـــاز تكمـــن في الفصاحة التي احتواها كتاب الله ﷻ ، وخصوصا أن هذا الكلام هو من جـــنس تلـــك الحروف الأبجدية ، التي يستعملونها هم فكلُّ محاولاتهم التي حاولوها ؛ قد باءت بالفـــشل [5] ، وهـــذا مـــع مراعاة المدة الزمنية التي مكثها معهم النبي ﷺ فإعجاز القرآن لا يـــنقطع بوفاة شخص ما ، فخلوده باق إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهذا كأنه ردّ على تلك الطائفة الشاذة التي قالت بنظرية الصِرفة ، فالتحدي قائم ، و الأدوات موجودة ، فلما لا تفعلـــون ؟ وحين أخبرنا عن العلوم المضافة إلى القرآن ، أخبرنا بأن الإعجاز يكمل في كلِّ

---

[1] سورة القمر الآية 17

[2] سورة مريم الآية 97

[3] سورة ص الآية 29

[4] الموافقات ج 3/ 257 ـ 258 ، ج 4 / 144 ـ 145 ، المرافق على الموافق ج 2 / 521 ـ 522

[5] ممن حاول فعل ذلك مسيلمة الكذاب ، الأسود العنسي ، وغيرهما

آياتـــه ، أي في المائة و الأربع عشرة سورة ، فالإعجاز لا يختص بسورة مخصوصة أو آية معيـــنة بذاتها ، فهاهو يقول : " وقسم هو مأخوذ من جملته من حيث هو كلام لا من حيث هو خطـــاب بأمر أو نهي أو غيرهما ، بل من جهة ما هو هو، وذلك ما فيه من دلالة النبوة ، وهو كـــونه معجزة لرسول الله ﷺ فإن هذا المعنى ليس مأخوذا من تفاصيل القرآن ، كما تؤخذ منه الأحكام الشرعية إذ لم تنص آياته وسوره على ذلك ، ... وإنما فيه التنبيه على التَّعجيز أن يأتوا بـــسورة مثله ، وذلك لا يختص به شيء من القرآن دون شيء ولا سورة دون سورة ، ولا نمط منه دون آخر، بل ماهيته هي المعجزة له ، حسبما نبه عليه الصلاة والسلام "ما من الأنبياء نبيٌّ إلا أعطـــيَ مـــن الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليَّ ؛ فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة " ([1]) ، فهو بهيأته التي أنزله الله عليها دال على صدق الرســـول علـــيه الصلاة والسلام ، وفيها عجز الفصحاء اللّسن ، والخصماء اللّد عن الإتيان بما يماثله أو يدانيه، ووجه كونه معجزا لا يحتاج إلى تقريره في هذا الموضع " ([2]) .

قال ماء العينين ([3]) :

**ثـــان يـــرى بحـــيث أنـــه خطـــاب ومعجـــز كـــلَّ الأنـــام لا ارتـــياب**

- ومن المسائل التي أرشدنا إليها الشاطبي مسألة **كيف يعرف الإعجاز** ([4]) ؟

قال رحمه الله وهو يؤصل على ضرورة معرفة المسائل البيانية والمنازع البلاغية : " ومن هنا حـــصل إعجـــاز القرآن عند القائلين بأن إعجازه بالفصاحة ؛ فقال الله تعالى ﴿ **وَإِن كُنتُمْ فِي**

---

[1] الحديث قد سبق تخريجه ص 120

[2] ينظر الموافقات ج 3/ 281 ، ج 4 / 199

[3] المرافق على الموافق ج 2 / 546

[4] لمعرفة مذاهب العلماء في المسألة ينظر : الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي ج 6 / 378 ـ 415 ، أصول التفسير للعك ص 307 ، مناهل العرفان للزرقاني ج 2 / 212 ، الشفاء للقاضي عياض ص 174 ـ 190 =

﴿ رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ ([1]) ، وقال الله تعالى﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ([2]) ، وهو لائق أن يكون الإعجـــاز بالفصاحة ([3]) لا بغيرها ؛ إذ لم يؤتوا على هذا التقدير إلا من باب ما يستطيعون مثله فـــي الجملة ، ولأنهم دعوا وتحدوا وقلوبهم لاهية عن معناه الباطن الذي هو مراد الله من إنزاله فـــإذا عـــرفوا عجزهم عنه عرفوا صدق الآتي به ، وحصل الإذعان، وهو باب التوفيق والفهم لمراد الله تعالى " ([4]) .

إذن فلابد على كلِّ مكلَّف عرف القرآن الكريم ، و عرف إعجازه ؛ فما عليه إلا الإيمان به و التسليم على أنه منزل ، من عند الواحد الصمد ، ومعرفة الإعجاز تحصل عن طريق " معرفة علم المعاني و البيان ، وكذلك مقاصد كلام العرب " ([5]) فهي مهمة جدا كما قرَّر الشاطبي .



= ( تحقيق عامر الجزّار ،طبعة سنة 1425 هـ ـ 2004 م ، دار الحديث ـ القاهرة ـ )، التيسير في قواعد علم التفسير للكافيجي ص 165 ـ 166 ، النكت في إعجاز القرآن للرماني ت ( 386 هـ ) ص 75 ، بيان إعجاز القرآن للخطابي ت ( 388 هـ ) ص21، الرسالة الشافية لعبد القاهر الجرجاني ت ( 471 هـ ) ص 117 ؛ وهذه الرسائل الثلاث الأخيرة مجموعة ضمن كتاب " ثلاث رسائل في إعجاز القرآن " ( حققها وعلق عليها محمّد خلف الله أحمد ـ الدكتور محمد زغلول سلام ، الطبعة الثالثة 1976 م ، دار المعارف ـ مصر ـ ) ،بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم لموسى إبراهيم الإبراهيم ص 126 ـ 145 ،مباحث في علوم القرآن للقطان ص 252 مباحث في إعجاز القرآن للدكتور مصطفى مسلم ص 121 ( الطبعة الثانية 1416 هـ ـ 1996 م ، دار المسلم ـ الرياض ـ ) ، علوم القرآن للدكتور عبد الله شحاتة ص 68 ـ 74 ( الطبعة الأولى 1421 هـ ـ 1991 م ، دار الشروق ـ القاهرة ـ ) ، أصول الفقه للبرديسي 179 ـ 182

[1] سورة البقرة الآية 23

[2] سورة هود الآية 13

[3] ينظر أيضا دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ت ( 471 هـ ) ص 35 ـ 48 ، ( قرأه وعلّق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر الناشر مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ )

[4] الموافقات ج 3 / 290 ، ج 4 / 217

[5] نفس المصدر السابق ج 3 / 258، ج 4 / 146

# المبحث السادس
## ـ الخطاب القرآني وأنواعه ـ

لاشـــك أن الكلام العربي ، تتنوع أساليبه و طرائقه ؛ وهذا راجع لاتساع اللسان العربي ، فلذلك نجـــد تفاوت في التعبير البشري من شخص لآخر ، فما بالك بكلام الواحد الأحد ، فسنحاول في هـــذا المـــبحث معرفة الخطاب الذي نزل به القرآن ، فلم يفت الشاطبي الكلام على هذه القضية المهمـــة ، لأنها تفتح للمتدبر في كلام الله ، أبواب أساسية حتى يستطيع ، أن يفهم ما تحويه تلك الخطابـــات بـــين ثنـــياها من أسرار، ولقد بدأ كلامه ذلك عندما أراد أن يؤكد ضرورة سلوك مسلك العرب في الفهم ، فقال في كتاب المقاصد : ".. لكن الله سبحانه خاطبهم من حيث عهدوا وكلَّفهـــم مـــن حـــيث لهم القدرة على ما به كلفوا ، وغُذوا في أثناء ذلك بما يستقيم به مُنآدهم، ويقوى به ضعيفهم ، وتنتهض به عزائمهم ، من الوعد تارة والوعيد أخرى، والموعظة الحسنة أخـــرى ، وبيان مجارى العادات فيما سلف من الأمم الماضية والقرون الخالية ، إلى غير ذلك ممـــا في معناه حتى يعلموا أنهم لم ينفردوا بهذا الأمر دون الخلق الماضين ، بل هم مشتركون في مقتضاه ، ولا يكونون مشتركين إلا فيما لهم مُنَّة على تحمله ، وزادهم تخفيفا دون الأولين ، وأجرى فوقهم فضلا من الله ونعمة ، والله عليم حكيم " ([1]) .

فالخطـــاب القرآنـــي هـــو مـــن معهـــود العـــرب ، ولقد تنوعت فيه الأساليب ، فجاء بالوعد وبالوعـــيد أخـــرى ؛ وأيـــضا الإخبار على الأمم السالفة ، وذلك كلّه ليس بالترف العلمي ، بل أخبرنا عن قصص الماضين للاعتبار مما جرى لهم نتيجة جحودهم لرسالة الخالق ﷻ .

ولقـــد قسمها الزركشي إلى نحو ثلاث و ثلاثين نوعا ([2]) ، وهي عند التأمل العميق لا تخرج عـــن الأنـــواع التـــي ذكرها الشاطبي ، مثل خطاب المدح فيمكن إدراجه تحت الوعد ، خطاب الاعتـــبار يمكن درجه أيضا ضمن النظر فيما جرى للأمم الخالية والقرون الأولى ، ومما أكده

---

[1] الموافقات ج 2 / 65 ـ 66 ، ج 2 / 137

[2] البرهان في علوم القرآن ، أصول التفسير وقواعده للعك ص 312 ـ 317

الـــشاطبي في هذا الموضع ؛ هو ضرورة الاعتناء بالمعنى دون اللفظ فقال : " ومنها أن يكون الاعتـــناء بالمعانـــي المبثوثة في الخطاب هو المقصود الأعظم بناءًا على أن العرب إنما كانت عنايـــتها بالمعانـــي ، وإنما أصلحت الألفاظ من أجلها ، وهذا الأصل معلوم عند أهل العربية ، فاللفظ ([1]) إنما هو وسيلة إلى تحصيل المعنى المراد ؛ والمعنى هو المقصود " ([2])

ولقد قسم رحمه الله المعنى إلى قسمين :

**أحدهما** : التركيبي **الثاني** : إفرادي

والمعنـــى الـــذي قصده في الفقرة السابقة هو المعنى التركيبي ، فقال : " قد لا يُعبأ به إذا كان المعنـــى التركيبـــي مفهـــوما ، ومثاله قول **ذو الرّمّة** ([3]) "ببائس" ولا "يابس" اتكالا منه على أن حاصـــل المعنى مفهوم " ([4]) ؛ و المقصود بقول ذو الرّمّة هو"ما حكى ابن جنِّي عن عيسى بن عمر ، وحكى غيره أيضا ، سمعت ذا الرّمّة يُنشد :

**وظَاهـــر لهـــا مـــن يـــابس الـــشَّخت و اســـتَعن علـــيها الـــصَّبا و اجعـــل يـــديك لهـــا ســـترًا**

فقلـــت : أنـــشدتني مـــن " بـــائس" فقال " يابس "و "بائس" واحد ، فأنت ترى ذا الرُّمة لم يعبأ بالاخـــتلاف بـــين البؤس و اليُبس، لمَّا كان معنى البيت قائما على الوجهين ، وصوابا على كلتا

---

[1] عرفه في شرحه على الألفية بـ " أنه ما نطق به الإنسان " ، ينظر منهج الدرس الدلالي عند الشاطبي ص 231

[2] الموافقات ج 2 / 66 ، ج 2/ 138

[3] هـو الـشاعر غـيلان بن عقبة بن بُهيش يكنى بأبي الحارث ، من بني صعب ابن ملكان بن عدي بن عبد مناة ومعنى الرمة الحبل البالي ، قيل توفي سنة 117 هـ / 735م ، ينظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ص 556 ، ( قدم له الشيخ حسن تميم ،راجعه وأعدَّ فهارسـه الـشيخ محمـد عبد المنعم العريان ، الطبعة الثالثة 1407هـ ـ 1987م ـ دار إحياء العلوم ـ بيروت ـ ) ، وفيات الأعيان لابن خلكـان ج 4 / 11 ـ 17 ، ورقـم تـرجمته ( 523) ، شـذرات الـذهب لابـن العماد ج 2/ 12 ـ 16 ، الأعلام للزركلي ج 5/ 124 ، معجم المؤلفين رقم ( 10697) ج 2/ 605ـ 606.وفيه خطأ مطبعي حول تاريخ ميلاده ووفاته فلينظر .

[4] ينظر الموافقات ج 2 / 66 ، ج 2 / 139

الطريقتين" ([1]) .

ومن الأدلة التي اعتمدها الشاطبي للتأكيد على أن المعنى التركيبي هو الأساسي قوله : " وأبيَّن من هذا ما في جامع الإسماعيلي المخرَّج على صحيح البخاري ([2]) عن أنس ابن مالك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قرأ ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ ﴾ ([3]) قال : ما الأبّ ؟ ثم قال ما كُلفنا هذا أو قال : ما أُمرنا بهذا ، وفيه أيضا عن أنس : أن رجلا سأل عمر بن الخطاب عن قوله ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ ﴾ ما الأبّ ([4]) ؟ فقال عمر: نهينا عن التعمّق والتكلّف ومن المشهور تأديبه لضبيع حين كان يكثر السؤال عن المرسلات و العاصفات ونحوهما وظاهر هذا كله أنه إنما نهى عنه لأن المعنى التركيبي معلوم على الجملة ، ولا ينبني على فهم هذه الأشياء حكم تكليفي..."([5]) .

---

[1] ينظر المرافق على الموافق ج 1 / 202 ـ 203 ، وذكر أيضا بيت آخر يرويه أحمد بن يحي ؛ قال أنشدني ابن الأعرابي : وموضع زبنٍ لا أريدُ مبيتَهُ كأني به من شدَّةِ الرَّوع آنسُ ، فقال له شيخ من أصحابه ليس هكذا ؛ أنشدتنا " وموضع ضِيف " فقال سبحان الله ! تصحبنا منذ كذا وكذا ، ولا تعلم أن الزبن و الضِّيف واحد

[2] قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ؛ ـ باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلّف ما لا يعنيه ـ : " هو عند الإسماعيلي من رواية هشام عن ثابت " ، وطريق آخر عن يونس ابن عبيد عن ثابت" الفتح الباري ج 13 / 285 ( تقديم وتحقيق وتعليق عبد القادر شيبة الحمد ، الطبعة الأولى 1421 هـ ـ 2001م ، مكتبة الملك فهد الوطنية ) ، ج 13 / 271 ( تحقيق فؤاد عبد الباقي و محب الدين الخطيب ،دار المعرفة 1379هـ )

[3] سورة عبس الآية 31

[4] قال ابن اليزيدي : الأبّ المرعى ، وقال غيره : الأبّ للبهائم كالفاكهة للناس وقال شمرٌ : الأبّ مرعى للوائم .. وهو عناق الأرض ينظر الغربين في القرآن والحديث لأبي عبيد أحمد بن محمّد الهروي ت ( 401 هـ ) ج 1 / 37 ( تحقيق ودراسة أحمد فريد المزيدي الطبعة الأولى 1419 هـ ـ 1999 م ـ مكتبة نزار مصطفى الباز ـ المملكة السعودية ) ،تاج العروس للزبيدي ج 2 /5 ـ 6 ، معترك الأقران للسيوطي 2 / 6 ،الصحاح تاج اللغة لإسماعيل بن حماد الأنصاري ج 1 / 86 ،مفردات القرآن لعبد الحميد الفراهي ص 245 ـ 246

[5] الموافقات ج 2 /66

إذن فالمعنى الإفرادي ليس ضروريا في الفهم دائما ، فيمكن الاستغناء عنه إذا كان المعنى التركيبي واضح ، ولكن إن احتيج إليه فلابد للصيرورة إليه و الدليل على ذلك المثال الآتي : " كما روى عن عمر نفسه في قوله تعالى ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾[1] فإنه سئل عنه على المنبر فقال له رجل من هُذيل[2] : التخوف عندنا التنقص ، ثم أنشده

تخوف الرَّحلُ منها تامِكا قردِا كما تخوف عود النَّبعة السَّفنُ

فقال عمر: " أيها الناس تمسكوا بديوان شعركم في جاهليتكم فإن فيه تفسير كتابكم " فليس بين الخبرين تعارض ؛ لأن هذا قد توقف فهم معنى الآية عليه بخلاف الأول"[3] ، ففي هذا المثال المعنى الإفرادي غير معروف أو هو مجمل غير واضح ، فلهذا هو ضروري إليه ، مع العلم أنه ليس من التكلف المذموم الذي ورد في النصوص السالفة ، وأشار صاحب "المرافق " إلى ذلك بقوله [4] :

ولتجعَل الأهَمَّ في الكلامِ رعايةَ المعنى لَدى الأنامِ
دون تعمُّقٍ بلفظٍ غير ما يُفهَم معنًى فهو مطلوبٌ سما

وهنا يزيد الشاطبي زيادة في إيضاح فهم ما ذكره سابقا ، بأنه لابد أن يراعى عند الخوض في كلام الله فقال : " فإذا كان الأمر هكذا فاللازم الاعتناء بفهم معنى الخطاب ، لأنه المقصود والمراد ؛ وعليه ينبني الخطاب ابتداء وكثيرا ما يغفل هذا النظر بالنسبة للكتاب والسنة ،

---

[1] سورة النحل الآية 47

[2] البيت منسوب لأبي كبير الهذلي ، قال ابن حجر في كتاب تفسير القرآن ـ باب سورة النحل ـ وروى " بإسناد فيه مجهول عن عمر " الفتح الباري ج 8 / 245 ، ج 8 / 386

[3] الموافقات ج 2 / 67

[4] المرافق على الموافق ج 1 /203

فتلـــتمس غرائبه ومعانيه على غير الوجه الذي ينبغي فتستبهم على الملتمس، وتستعجم على من لـــم يفهـــم مقاصد العرب ، فيكون عمله في غير معمل ومشيه على غير طريق ، والله الواقي برحمته " ([1]) .

ثم ذهب بعد ذلك إلى تقسيم التكاليف إلى قسمين ليوضح نوع المعاني التي جاء بها كل قسم ، و أول تلـــك التكالـــيف هـــي الإعتقادية : وهذا القسم المعاني المطلوب علمها فيه واعتقادها سهلة المأخـــذ ، وعلـــل ذلك بقوله : " ولذلك تجد الشريعة لم تعرف من الأمور الآلهية إلا بما يسع فهمه ، وأرجت غير ذلك فعرفته بمقتضى الأسماء والصفات وحضت على النظر في المخلوقات إلى أشباه ذلك " ([2]) .

فهـــذا مع أن المعاني فيه سهلة كما يقرر الشاطبي ، إلا أنه لابد من مراعاة التفاوت في الإدراك بـــين البـــشر ، وأشار إلى ما ذكرته بقوله : " نعم لا ينكر تفاضل الإداركات على الجملة وإنما النظر في القدر المكلّف به " ([3])

أما عن القسم الثاني ، المتمثل في العمليات ، فالأمور والمعاني يدركها الجمهور عامة ، فهي لا تحـــتاج إلـــى زيـــادة تأمـــل ومثل لها بـــ : " أوقات الصلوات ربطها بالأمور المشاهدة لهم ، كتعـــريفها بالظلال وطلوع الفجر والشمس ، وغروبها وغروب الشفق ، وكذلك في الصيام مثل بقوله ﷺ " لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه ، فإن غُمَّ عليكم فأكملوا العدة ثلاثـــين" ([4]) ، ولـــم يطالبنا بحساب مسير الشمس مع القمر في المنازل ، لأن ذلك لم يكن من معهـــود العرب ولا من علومها ، ولدقة الأمر فيه وصعوبة الطريق إليه " ([5]) ، فالمعاني في هذا القسم يستطيع إدراكها من طرف الصغير قبل الكبير ، و المبتدئ البسيط قبل العالم المتبحر

---

[1] ينظر الموافقات ج 2 / 67 ، ج 2 / 140 مشهور

[2] المصدر نفسه 2 /67 ، ج 2 / 141

[3] الموافقات ج 2 / 68 ، ج 2 / 143

[4] الحديث أخرجه البخاري باب " هل يقال رمضان " رقم ( 1900 ) ج 2 / 586 ، مسلم باب وجوب رمضان لؤية الهلال رقم ( 1080 ) ج 2 / 622 ـ 624 ، كلاهما عن الصحابي ـ عبد الله ابن عمر ـ رضي الله عنهما

[5] الموافقات ج 2 / 68 ـ 69

في العلم ؛ فهي مقرونة بأشياء محسوسة لا أشياء غامضة دقيقة ، وهذا كله يدخل ضمن قاعدة " رفع الحرج " ، ومن الأمور الكثيرة التي أصلها الشاطبي في الموافقات قاعدة ،" فهم السياق القرآني" ، فأحيانا يأتي الخبر بصيغة الأمر ، ولكن السياق يبرز مقصد آخر ، غير ما ظاهر للسامع في أول الأمر ومثاله : " كما نقول في الأمر الآتي للتهديد أو التوبيخ ؛ كقوله ﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ ﴾[1] وقوله﴿ ۝٤٨ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ۝٤٩ ﴾ [2] فإن مثل هذا لم يقصد به الأمر ، وإنما هو مبالغة في التهديد أو الخزي ، فلذلك لم يقبل أن تؤخذ منه حكم في باب الأوامر، ولا يصح أن يؤخذ " [3] .

**الكناية في القرآن :**

**تعريفها :**

**لغة :** هي مصدر كنى به عن كذا يكني أو يكنو ؛ إذا تكلم بشيء يستدل به على غيره أو يراد به غيره ؛ وعند **علماء البيان :** هي أن يعبر عن شيء بلفظ غير صريح في الدلالة عليه لغرض من الأغراض كالإبهام على السامع أو لنوع فصاحة [4] .

وفي **اصطلاح** أهل البلاغة : لفظ أطلق وأريد به لازم معناه ، مع جواز إرادة ذلك المعنى [5]

---

[1] سورة فصلت الآية 40

[2] سورة الدخان الآية 49 ، للذوق خمسة أوجه وهي : " الإنالة ، الوجود ، الأكل ، العذاب ، المعاينة " و المقصود بالآية هو الوجود ، ( ينظر الوجوه و النظائر للدامغاني ص 332 ـ333 )

[3] الموافقات ج 2 / 75

[4] الكليات لأبي البقاء الكفوي ص 761 ـ 762

[5] ينظر [ علم المعاني ـ البيان ـ البديع ] للدكتور عبد العزيز عتيق ص 397 ( دار النهضة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ) ، مفتاح العلوم للسكاكي ص 402 ـ 403 ( ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه نعيم زرزور ، الطبعة الثانية 1407 هـ ـ 1987 م ، دار الكتب العلمية ـ لبنان ـ ) ، وقال بدر الدين بن مالك الشهير ابن الناظم هي : " ترك التصريح بالشيء إلى مساويه في اللزوم لينتقل منه إلى الملزوم وهي إما قريبة أو بعيدة " ؛ المصباح في المعاني والبيان والبديع ص 146 ـ 148 ، ( تحقيق وشرح الدكتور حسني عبد الجليل يوسف الطبعة الأولى 1409 هـ ـ 1989 م ، مكتبة الآداب )

ومن أنواع الخطاب في القرآن أنه استعمل أسلوب الكنية ، وهذا ما أكده الشاطبي بقوله : " أنه أتى فيه الكناية في الأمور التي يستحيا من التصريح بها ؛ كما كنى عن الجماع باللباس والمباشرة ، وعن قضاء الحاجة بالمجيء من الغائط ، وكما قال في نحوه ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾ [1] فاستقرَّ ذلك أدبا لنا استنبطناه من هذه المواضع ، وإنما دلالتها على هذه المعاني بحكم التبع ، لا بالأصل "[2] ، قال الزركشي معلِّقا على الآية السابقة : " في مريم و ابنها ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾ فكنى بأكل الطعام على البول و الغائط ، لأنهما مسبِّبان ، إذ لابّد للآكل منهما ، لكن التقبيح في المخاطب ذكر الغائط ، فكنى به "[3] ، وهذا الأمر " أنكره الجاحظ فقال إن الكلام على ظاهره .." [4] .

قال السعدي : " استحباب التكنية عما يستقذر التلفظ به "[5] .

**الالتفات في القرآن الكريم :**

**تعريفه :**

قال السيوطي : " الالتفات : نقل الكلام من أسلوب إلى آخر ، أعني من التكلّم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها بعد التعبير بالأول ... وله فوائد منها تطرية الكلام ، وصيانة السمع على الضجر والملل ، لما جُبلت عليه النفوس من حب التنقلات ؛ والسآمة من الاستمرار على منوال واحد .. "[6] .

---

[1] سورة المائدة الآية 73

[2] الموافقات ج 2 / 80

[3] البرهان في علوم القرآن ج 2 / 317

[4] نفس المصدر ج 2 / 317

[5] تيسير كلام الرحمان ص 202

[6] معترك الأقران في إعجاز القرآن ج 1/ 286 ، وقيل أن أول من ذكر هذا المصطلح هو الأصمعي ت ( 214هـ ) ينظر [ علم المعاني ـ البيان ـ البديع ] لعبد العزيز عتيق ص 560، وللمزيد في معرفة معانيه ومذاهب أهل الاصطلاح فيه ينظر موسوعة كشاف

قال الشاطبي : " أنه أتى فيه بالالتفات الذي ينبئ في القرآن عن أدب الإقبال من الغيبة إلى الحضور، بالنسبة إلى العبد إذا كان مقتضى الحال يستدعيه كقوله تعالى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾[1] ثم قال﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [2] وبالعكس إذا اقتضاه الحال أيضا ، كقوله تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [3] وتأمل في هذا المساق معنى قوله تعالى﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ ﴾ [4] حيث عوتب النبي ﷺ بهذا المقدار من هذا العتاب، لكن على حال تقتضي الغيبة التي شأنها أخف بالنسبة إلى المعاتب ، ثم رجع الكلام إلى الخطاب ، إلا أنه بعتاب أخف من الأول ، ولذلك ختمت الآية بقوله﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ ﴾ "[5] ، وكان غرضه من هذه الأمثلة هو الإشارة إلى أنه يمكن الاستفادة منها من جهة الإقتداء بالأفعال ؛ فقال : ".. إن هذه الأمثلة وما جرى مجراها لم يستفد الحكم فيها من جهة وضع الألفاظ للمعاني ، وإنما استفيد من جهة أخرى وهي جهة الإقتداء بالأفعال " [6] .

---

اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي ج 1 / 251 ـ 254 ، الكليّات لأبي البقاء الكفوي ص 169 و 274 ، أسلوب الإلتفات في البلاغة القرآنية للدكتور حسن طبل ص12ـ 22 ( طبعة سنة 1418هـ ـ 1998 م دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ ) التعريفات للشريف الجرجاني ص 36

[1] سورة الفاتحة الآية 02 ـ 04 ، نوع هذا الإتفات هو من الغيبة إلى الخطاب

[2] سورة الفاتحة الآية 05 ، ولمعرفة توجية أوجه هذا التحول ينظر أسلوب الإلتفات لحسن طبل ص 106 ـ107

[3] سورة يونس الآية 22 ، الإتفات وقع بين ﴿ يُسَيِّرُكُمْ - كُنتُم ﴾ ثم تحول النسق إلى الإخبار عنهم بضمير الغيبة ﴿ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾ ،فنوعه من الخطاب إلى الغيبة ، ينظر أسلوب الإلتفات لحسن طبل ص 105

[4] سورة عبس الآية 01 ـ 02 ، شملت هاته الآيات على نوع من الإلتفات ألا وهو من الغيبة إلى الخطاب ، وتأنيث الضمير و تذكيره

[5] سورة عبس الآية 11 ، أسلوب الإلتفات لحسن طبل ص 130

[6] ينظر الموافقات ج 2 / 82 ، ج 2 / 169

فهـــذه طـــريقة من طرق استنباط الأحكام ، قال محمَّد سليمان الأشقر : " وهذا نوع من أصول الأحكـــام قـــلَّ من ذكره من الأصوليين " ([1]) ، ولكن هناك تنبيه مهم لابد أن يراعى عند أخذ الأحكام بهذه الطريقة وقد نبهنا عليه أيضا الدكتور محمّد الأشقر حين قال : " ونحن نرى الأخذ من هذه الأنواع مع الحذر و الاحتياط ، والتنبيه إلى أن الله ليس كمثله شيء ، وأن ذلك يقتضي التمايز في الأفعال ، فلس كلّ شيء يحسن منه تعالى هو حسنا منا ، ولله أعلم " ([2]) .

ومـــثله كـــلام ناصـــر الفهد معترضا على الشاطبي فقال : " أن ما أسماه " الإقتداء بالأفعال " ، ويعنـــي به الإقتداء بأفعال الله سبحانه و التخلق بصفاته ، لم نؤمر به ـــ مع ما فيه من المفاسد التـــي أدت إلـــى وحدة الوجود ـــ وإنما العبد مأمور شرعا بالإقتداء بالرسول ﷺ ـــ فيما لا يختص به ـــ .." ([3]) .



[1] أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية " ينظر ج 2 / 150 ( الطبعة السادسة 1424 هـ ـ 2003م ، مؤسسة الرسالة بيروت )

[2] نفس المرجع السابق ج 2 / 153

[3] ينظر الإعلام بمخالفات الاعتصام والموافقات ص 118

سنتطرق في هذا الفصل ــ إن شاء المولى ﷻ ــ إلى بستان من بساتين الشاطبي رحمه الله لنقطف منه زهرة ؛ بل أزهار ربما إننا قد لانجدها إلا في مثل هذه التربة الطيبة من أراضي الأندلس ، وقبل أن نستعرض أراء الشاطبي حول موضوع التفسير ، فسنذكر تعريفا بسيط لهذا العلم .

**التفسير لغة** : قال ابن فارس : " الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه من ذلك الفسْرُ ، يقال فسرتُ الشيء وفسَّرته ، والفسر والتفسرة نظر الطبيب إلى الماء وحكمه فيه " ( [1] ) .

وفي الاصطلاح : " علم يبحث فيه عن أحوال القرآن من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية " ( [2] ) .

---

[ 1 ] ينظر معجم مقاييس اللغة ج 4 / 504 ، المجمل في اللغة ج 3 / 721 ، تاج العروس للزبيدي ج 13 / 323 ـ 324 ، لسان العرب لابن منظور ج 38 / 3412 ـ 3413 مادة [ فسر ]

[ 2 ] مناهل العرفان للزرقاني ج 1 / 423 ، و للمزيد ينظر مقدمة المفسرين للبركوي ص 125 ، التيسير في قواعد علم التفسير للكافيجي ص 150 ،الكليات للكفوي ص 260 ـ 261 ، التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل لحامد بن علي العمادي ت ( 1171 هـ ) ص 32 ـ 41 ( تحقيق الدكتور حازم سعيد يونس البياتي ، مطبوعة في مجلة الأحمدية العدد 15 رمضان 1424 هـ / أكتوبر 2003 م ، دار البحوث بدبي ) ،المقدمات الأساسية في علوم القرآن للجديع ص 279 ـ 280 ، علوم القرآن للزرزور ص 397 ـ 400 ، الواضح في علوم القرآن محي الدين مستو وديب البغا ص 213 ، بحوث منهجية في علوم القرآن لموسى إبراهيم ص 91 ـ 92 ، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص 316

# المبحث الأول
## ـ طرق التفسير ـ

لقــد بين الإمام الشاطبي مجموعة مسائل ، حول موضوع علم التفسير؛ وهي كالتالي : **هل علم التفسير مطلوب أو لا ؟ :**

لقد أثار هذا التساؤل في المقدمة الخامسة ، حين تأصيله في الحض على ترك الأمور التي لا ينبنـــي عليها عمل ، فإن قوم ادعوا ذلك أي علم التفسير لا ينبني عليه عمل ([1]) إذا لابد من عدم الخــوض فيه ، مع أنهم جعلوا علم الهندسة ، وأيضا السحر من فروض الكفاية فردَّ على هؤلاء بقوله : " وعن الثالث إنَّ علم التفسير مطلوب ، فيما يتوقَّف عليه فهم المراد من الخطاب ، فإذا كــان المراد معلومًا فالزيادة على ذلك تكلُّف ، ويتبيَّن ذلك في مسألة عمر: وذلك أنه لما قرأ ﴿ **وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا** ﴿٣١﴾ ﴾ ([2]) .

توقــف في معنى الأبّ ، وهو معنى إفراديٌّ لا يقدح عدمُ العلم به في علم المعنى التركيبي في الآيــة ، إذ هو مفهوم من حيث أخبَر الله تعالى في شأن طعام الإنسان ....و إلا فلو توقف عليه فهــم المعنـــى التركيبـــي من جهته لما كان من التكلف بل من المطلوب علمه لقوله ﴿ **لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ** ﴾ ([3]) ..... " ([4]) .

فعلم التفسير هو مطلوب لفهم مراد المخاطب ، وما زاد على ذلك الفهم فهو من التكلف المذموم قلت ومثله ما روي حول لون كلب أصحاب الكهف ، وما حاوله بعض العلماء فحملوا القرآن ما لايحــتمل ، ومــثله التفــسير المسمى بـــ " مفاتح الغيب " للخطيب الرازي ، حتى قيل فيه إنه

---

[ 1 ] الموافقات ج 1 / 35 ، ج1 / 55

[ 2 ] سورة عبس الآية 31

[ 3 ] جزء آية 29 من سورة ص

[ 4] ينظر الموافقات ج 1 / 36 ـ 37 ، ج 1 / 57 ـ 58

يحتوي على كل العلوم ماعدا التفسير " ، و "جواهر القرآن" للطهطاوي

**تفسير القرآن بالقرآن** : لاشك أنه لا يعرف مراد المتكلم ؛ إلا المخاطِب نفسه ، فقال الشاطبي في موضع مناقشة هل ينظر إلى القرآن كأن سوره كلام واحد ؛ بحسب خطاب العباد ؟ : " فيصح في الاعتبار أن يكون واحدًا بالمعنى المتقدم ، أي يتوقف فهم بعضه على بعض بوجه ما، وذلك أنه يبين بعضه بعضا ، حتى إن كثيرًا منه لا يفهم معناه حق الفهم إلا بتفسير موضع آخر أو سورة أخرى ... فإذا كان كذلك ؛ فبعضه متوقف على البعض في الفهم ، فلا محالة أن ما هو كذلك فكلام واحد ، فالقرآن كله كلام واحد بهذا الاعتبار" ([1]) .

**تفسير القرآن بالسنة** : ويندرج تحته أمور منها

تعريف **الشاطبي للسنة** : عرفها رحمه الله بإطلاقات أربع ([2])

ـ ما جاء منقولا عن النبي ﷺ على الخصوص ، مما لم ينص عليه في الكتاب العزيز .

ـ هي ما تقابل البدعة فيقال " فلان على سنة " إذا عمل على وفق ما عمل عليه النبي ﷺ كان ذلك مما نص عليه في الكتاب أولا .

ـ ويطلق أيضا لفظ السنة على ما عمل عليه الصحابة ، وجد ذلك في الكتاب أو السنة أو لم يوجد .

ثم قال : " وإذا جمع ما تقدم تحصل منه في الإطلاق أربعة أوجه قوله عليه الصلاة والسلام وفعله وإقراره ، وكل ذلك إما متلقي بالوحي أو بالاجتهاد ، بناء على صحة الاجتهاد في حقه وهذه ثلاثة ؛ والرابع ما جاء عن الصحابة أو الخلفاء ، وهو وإن كان ينقسم إلى القول والفعل والإقرار، ولكن عد وجهًا واحدًا " ([3]) .

---

[ 1 ] ينظر الموافقات ج 3 / 314 ـ 315 ، ج 4 / 275

[ 2 ] المصدر نفسه ج 4 / 03 ـ 04 ، ج 4 / 289 ـ 290

[3] ينظر الموافقات ج 4 / 5

ونظم "ماء العينين" قائلا ([1]) :

| | |
|---|---|
| ولفـــظُ ســـنَّة علـــى مـــا نُقِـــلا | عـــن النَّبـــيِّ يُطلَـــقُ عـــند الفُـــضلا |
| ممَّـــا علـــيه لـــم يُـــنصَّ فـــي الكـــتاب | مـــن النَّبـــيِّ أو مـــن بـــيانٍ لا ارتـــياب |
| و أطلقـــت علـــى مُقابـــل الـــبدَع | مـــن كُـــلّ فعلـــه أهـــلُ الـــورَع |
| وقـــد تحـــصَّلَ مـــن الّـــذي يُقـــال | فـــيها مـــن الوجـــوه أربـــعٌ تُـــنال |
| قـــول النَّبـــيِّ و فعلُـــهُ ومـــا أقَـــر | علـــيه غيـــره بـــسُنَّة تقـــر |
| ومـــا يجـــي عـــن صـــحبهِ وخُلفـــا | ذا أربـــعٌ ولـــم تجـــد مخالِفـــا |

وحـــين أخبرنا عن رتبة السنة من القرآن مؤكدا على أنها تأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن ، لأدلـــة منها أن السنة مظنونه و القرآن مقطوع به ، ولكن الذي يهمنا بيان القرآن بالسنة فهاهو يقـــول : " والثانـــي أن السنة إما بيان للكتاب، أو زيادة على ذلك ، فإن كان بياناً فهو ثان على المبـــين فـــي الاعتبار، إذ يلزم من سقوط المبين سقوط البيان، ولا يلزم من سقوط البيان سقوط المبـــين ، ومـــا شأنه هذا فهو أولى في التقدم وإن لم يكن بيانا فلا يعتبر إلا بعد أن لا يوجد في الكتاب وذلك دليل على تقدم اعتبار الكتاب... " ([2]) .

وأشار" ماء العينين" إلى ذلك ([3]) :

| | |
|---|---|
| وســـنَّة إمـــا بـــيان للكـــتاب | أو قـــل زيـــادةٌ علـــيه لا ارتـــياب |
| وذاك قـــد دلَّـــت علـــيه أخـــبَار | كـــذاك قـــد دلَّـــت علـــيه آثـــار |

وقـــال ضمن المسألة الثالثة من الدليل الثاني: " السنة راجعة في معناها إلى الكتاب فهي تفصيل مجملـــه ، وبـــيان مـــشكله ، وبسط مختصره وذلك لأنها بيان له... فلا تجد في السنة أمرًا إلا والقـــرآن قد دل على معناه دلالة إجمالية ، أو تفصيلية ، وأيضا فكل ما دل على أن القرآن هو

[1] المرافق على الموافق ج 2 / 590

[2] الموافقات ج 4 / 6 ، ومن العلماء الذين استفادوا منه في هذا البحث العلامة القاسمي في مقدمة تفسيره ، ينظر ج 1 / 121

[3] المرافق على الموافق ج 2 / 592

كلية الشريعة وينبوع لها فهو دليل على ذلك ؛ لأن الله قال ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ ([1])

وفسرت عائشة ذلك بأن " خلقه القرآن " ([2]) ، واقتصرت في خلقه على ذلك ، فدل على أن قوله وفعله وإقراره راجع إلى القرآن ، لأن الخلق محصور في هذه الأشياء ولأن الله جعل القرآن تبيانا لكلِّ شيء ، فيلزم من ذلك أن تكون السنة حاصلة فيه ، في الجملة ... فالسنة إذا في محصول الأمر بيانٌ لما فيه ، وذلك معنى كونها راجعة إليه ، وأيضا فالاستقراء التام دل على ذلك حسبما يذكر بعد بحول الله " ([3]) .

فهذه إجابة دقيقة من عائشة ــ رضي الله عنها ــ فهي إجابة موجزة وجامعة بين طياتها كلُّ ما يخطر على بال امرئ من أخلاق الكمال ، وصفات العصمة ، فبالفعل فالنبيﷺ كان ترجمة عملية لمبادئ القرآن ، ويمكن اختصار ما سبق بقول صاحب "المرافق على الموافق" حين قال ([4]) :

| | |
|---|---|
| وسنَّة راجعة إلى الكتاب | في كلِّ معناها وذا هو الصواب |
| فهي تفصيلٌ لكلِّ مجمَلِهِ | وهي بيانٌ لجميع مُشكلِه |
| وهي قيلَ بسطُ مختصَرِه | وهي مشكاةُ بيانِ نورِه |
| وكلُّ ما منها إليه راجعًا | قُبل إلا فتوقف تتَبَعا |

فالنبي ﷺ هو المبين للقرآن العزيز ، وتبينه عليه السلام يكون بما سبق ذكره ، قال الشاطبي : " إن النبي ﷺ كان مبينًا بقوله وفعله وإقراره ، لما كان مكلفا بذلك في قوله تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَآ

---

[1] سورة القلم الآية 04

[2] يشير ـ رحمه الله ـ إلى الحديث الذي أخرجه كلٌّ من أحمد في المسند رقم ( 25302) ج 42/ 183 ، ورقم ( 25813) ج 43/ 15، الطبراني في المعجم الأوسط باب ـ من اسمه أحمد ـ رقم ( 72 ) ج 1 / 30، عن عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ

[3] ينظر الموافقات ج 4 / 9 ـ 10

[4] المرافق على الموافق ج 2 / 595

﴿ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ ([1]) .... " ([2]) .

وضرب لذلك عدة أمثلة : " فكان يبين بقوله عليه الصلاة والسلام : كما قال في حديث الطلاق " فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء " ([3]) .

وقال لعائشة حين سألته عن "قول الله تعالى﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ ﴾ ([4]) إنما ذلك العرض ([5]) " ، .... وهو لا يحصى كثرة " ([6]) ، هذا عن البيان بالقول ؛ أما عن بيانه ﷺ

---

[1] سورة النحل الآية 44

[2] ينظر الموافقات ج 3 / 229 ، ج 4 / 73

[3] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير ـ باب وبال أمرها ـ رقم ( 4908) ج 6 / 375 ، وفي كتاب الطلاق ـ باب أحصيناه وحفظناه وعددناه ...ـ رقم ( 5251 ) ج 6 / 496 ، مسلم كتاب الطلاق رقم ( 1471 ) ج 2 / 885 ، النسائي كتاب الطلاق ـ باب وقت الطلاق للعدة التي أمر الله ـ ﷻ ـ ج 6 / 137 ـ 138، صحيح سنن النسائي للألباني رقم ( 3389) ، ( 3390 ) ج 2/ 465 ـ 466 ، النسائي اعتناء مشهور رقمي ( 3389، 3390 ) ص 524 ـ 525، صحيح سنن ابن ماجه للألباني ـ باب طلاق السنة ـ رقم ( 1652 ) ج 2 / 170، سنن ابن ماجه اعتناء مشهور رقم ( 2019 ) ص 349،صحيح سنن أبي داود للألباني ـ باب في طلاق السنة ـ رقم ( 2179 ) ج 2 / 5 ـ 6 ، ورقم ( 2182 ) ج 2 / 6 سنن أبي داود اعتناء مشهور رقم ( 2179) ص 379، إرواء الغليل ـ باب سنة الطلاق وبدعته ـ وذكر الألباني له عدة طرق فلينظر موضع رقم ( 2059 ) ج 7/ 124 ـ 137، كلّهم عن الصحابي عبد الله ابن عمر ﷺ

[4] سورة الانشقاق الآية 08

[5] الموافقات ج 3 /229

[6] رواه كلٌّ من البخاري كتاب العلم ـ باب من سمع شيئا فراجع حتى يعرفه ـ رقم ( 103 ) ج 1 / 42 ، كتاب تفسير القرآن رقم ( 4939 ) ، كتاب الرقاق ـ باب من نوقش الحساب عذِّب ـ رقم ( 6536 ) ، ( 6537 ) ج 7 / 252 ـ 253، مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها رقم ( 2876 ) ، الترمذي كتاب صفة القيامة ـ باب ما جاء في العرض ـ رقم ( 2426 ) ج 4/ 533 ـ 534، كتاب التفسير رقم ( 3337 ) ج 5 / 405، النسائي في السنن الكبرى كتاب التفسير رقم ( 11554 ) ج 10 / 311، و رقم ( 11555 ) ج 10/ 312، صحيح أبي داود للألباني كتاب الجنائز باب ـ عيادة النساء ـ رقم ( 3093 ) لكن بلفظ " من حوسب عذِّب " ج 2/ 272، أحمد في المسند رقم ( 25707 ) ج 42 / 466، ابن الجوزي في جامع المسانيد رقم ( 7537) ج 8 / 300 كلّهم من طريق عبد الله ابن أبي مُلَيكة عن عائشة ـ ﵂ ـ

بالفعل مثل :" يبين بفعله ألا أخبرته أنِّي أفعل ذلك" [1] وقال الله تعالى ﴿ **زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ** ﴾ [2] الآية!، وبين لهم كيفية الصلاة والحج بفعله وقال عند ذلك" صلوا كما رأيتمونـــي أصلي" [3] و"خذوا عني مناسككم " ( [4] ) إلى غير ذلك" [5] ، أما عن إقراراته ــ عليه الـــسلام ــ : " وكان إقراره بيانا أيضا إذا علم بالفعل ولم ينكره مع القدرة على إنكاره ، لو كان باطلا أو حراما حسبما ، قرره الأصوليون في مسألة مجزِّز المدلجي وغيره " [6] .

وأكدَّ في المسألة الحادية العشر من كتاب "الأدلة الشرعية" : " بيان رسول الله ﷺ بيان صحيح لا إشكال في صحته ؛ لأنه لذلك بعث ..." ( [7] ) .

وكخلاصة لهذا المطلب وضح وأرشد رحمه الله ، على أن السنة هي مصدر من مصادر التفسير فقال : " فعلى هذا لا ينبغي في الاستنباط من القرآن الاقتصار عليه دون النظر في شرحه وبيانه وهو السنة ، لأنه إذا كان كليًا وفيه أمور كلية ( [8] ) كما في شأن الصلاة والزكاة والحج والصوم ؛ ونحوها فلا محيص عن النَّظر في بيانه وبعد ذلك ينظر في تفسير السلف الصالح له إن أعوزته السنة، فإنهم أعرف به من غيرهم وإلا فمطلق الفهم العربي لمن حصَّله

---

[1] سورة الأحزاب الآية 37

[2] الحديث رواه البخاري كتاب الأدب باب ـ رحمة الناس بالبهائم ـ رقم ( 6008 ) ج 7 / 101 ـ 102 ، كتاب أخبار الآحاد باب ـ ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان ... رقم ( 7246 ) ج 8 / 481 ، كتاب الأذان ـ باب من أحق بالإمامة ـ رقم ( 631 ) ج 1 / 194 ، الدارمي كتاب الصلاة رقم ( 1284 ) ص 159 ، إرواء الغليل للألباني رقم ( 213 ) ج 1 / 227 ـ 229، والحديث رواه مالك ابن الحويرث رضي الله عنه

[3] الحديث رواه مسلم كتاب الحج باب ـ استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا ـ رقم ( 1297 ) ج 2/ 769، النسائي باب ـ الركوب إلى الجمار و استظلال المحرم ج 5 / 270 ، أحمد في المسند رقم ( ) ، صحيح سنن النسائي للألباني رقم ( 3062 ) ج 2 / 358، إرواء الغليل رقم ( 1074 ) ج 4/ 271ـ 272،كلّهم عن جابر ابن عبد الله ابن عمروا ابن حرام رضي الله عنه

[4] الموافقات ج 3 /229

[5] المصدر نفسه ج 3/ 229 ـ 230

[6] المصدر نفسه ج 3/251

[7] ورد في طبعة "جملية "

يكفي فيما أعوز من ذلك والله أعلم "([1]) .

وهنا تنبيه مهم لشيخ الإسلام ابن تيمية ، لابد من الاعتماد عليه عند الخوض في غمار التفسير فقال : "ومما ينبغي أن يعلم: أن القرآن والحديث إذا عرف تفسيره من جهة النبي ﷺ لم يَحتج في ذلك إلى أقوال أهل اللغة؛ فإنه قد عرف تفسيره ،وما أريد بذلك من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك إلا الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم .." ([2]) .

**تفسير القرآن بأقوال الصحابة رضي الله عنهم ([3]) :**

قال : " وأما بيان الصحابة فإن أجمعوا على ما بينوه فلا إشكال في صحته أيضا ، كما أجمعوا على الغسل من التقاء الختانين المبيِّن لقوله تعالى ﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ﴾([4]) ، وإن لم يجمعوا عليه فهل يكون بيانهم حجة ؟ أم لا ؟ هذا فيه نظر وتفصيل ([5]) ؛ ولكنهم يترجح الاعتماد عليهم في البيان من وجهين :

**أحـــدهما :** معـــرفتهم باللـــسان العربي ، فإنهم عرب فصحاء ، لم تتغير ألسنتهم ولم تنزل عن رتبتها العليا فصاحتهم ، فهم أعرف في فهم الكتاب والسنة من غيرهم ، فإذا جاء عنهم قول أو عمل واقعٌ موقع البيان صح اعتماده من هذه الجهة .

---

[1] ينظر الموافقات ج 3 / 276 ، ج 4 / 183

[2] ينظر مجموع الفتاوى ج 13 / 27

[3] هناك خلاف معروف فيمن هو الصحابي ، ينظر على سبيل المثال تحقيق منيف الرتبة لمن تبث له شريف الصحبة للحافظ العلائي ت ( 761 هـ ) ( تحقيق محمّد سليمان الأشقر الطبعة الأولى 1412 هـ ـ 1991 م مؤسسة الرسالة ومؤسسة البشير ) ، مخالفة الصحابي للحديث النبوي لعبد الكريم بن علي النملة ص 35 ـ 74 ( الطبعة الثانية 1420 هـ ـ 1999 م ، مكتبة الرشد بالرياض )

[4] سورة المائدة الآية 06

[5] ينظر في المسألة : شرح الورقات لابن الفِركاح الشافعي ص 258 ـ 259 ( دراسة وتحقيق ساره شافي الهاجري ، دار البشائر الاسلامية ) ،المحصول للرازي ج 4 / 159 ، ( دراسة وتحقيق طه جابر فياض العلواني ، مؤسسة الرسالة ) ، نفائس الأصول للقرافي ج 6 / 2693 ـ 2994 ( دراسة وتحقيق عادل أحمد عبد الموجود ـ علي محمد معوض ،الطبعة الأولى 1416 هـ ـ 1995 م مكتبة نزار مصطفى الباز ) ، الإجماع في التفسير للخضيري ص 69 ـ 71

و**الثانـــي** : مباشـــرتهم للوقائـــع والنوازل ، وتنزيل الوحي بالكتاب والسنة ، فهم أقعد في فهم القـــرائن الحالية وأعرف بأسباب التنزيل ، ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك ، والشاهد يـــرى ما لا يرى الغائب فمتى جاء عنهم تقييد بعض المطلقات أو تخصيص بعض العمومات ، فالعمـــل عليه صواب ، وهذا إن لم ينقل عن أحد منهم خلاف في المسألة ، فإن خالف بعضهم فالمسألة اجتهادية " ([1]) .

**مثاله** قوله عليه الصلاة والسلام " كما نقل مالك في دلوك الشمس وغسق الليل، كلام ابن عمر وابـــن عباس ، وفي معنى السعي عن عمر بن الخطاب أعني قوله تعالى ﴿ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ﴾ ([2]) .

**هـــل إتباع الصحابة تقليد أم لا ؟** : بالطبع ليس بتقليد ، فلذلك فنحن ملزمون بتفسيرهم وبيانهم للقـــرآن الكـــريم ، للأدلـــة الـــسابقة ، وفي هذا المعنى يشير الشاطبي بقوله : " لا يقال إن هذا المذهب راجع إلى تقليد الصحابي ، وقد عرفت ما فيه من النزاع والخلاف ، لأنا نقول نعم هو تقلـــيد ، ولكـــنه راجـــع إلى ما لا يمكن الاجتهاد فيه على وجه إلا لهم كما تقدم من أنهم عرب وفـــرق بين من هو عربي الأصل والنحلة؛ وبين من تعرَّب غلب التطبع شيمة المطبوع ، وأنهم شاهدوا من أسباب التكاليف وقرائن أحوالها ما لم يشاهد من بعدهم ، ونقل قرائن الأحوال على ما هي عليه كالمتعذر فلا بد من القول بأن فهمهم في الشريعة أتم وأحرى بالتقديم ، فإذا جاء في القرآن أو في السنة من بيانهم ما هو موضوعٌ موضع التفسير، بحيث لو فرضنا عدمه لم يمكن تنـــزيل النص عليه على وجهه ، انحتم الحكم بإعمال ذلك البيان ، لما ذكر ولما جاء في السنة من اتِّباعهم والجريان على سننهم ، كما جاء في قوله عليه الصلاة والسلام "عليكم بسنتي وسنة الخلفـــاء الراشدين المهديين من بعدي ، وتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ " ([3]) ، وغير ذلك

---

[1] ينظر الموافقات ج 3 / 251 ، ج 4 / 128

[2] سورة الجمعة الآية 09

[3] الحديث أخرجه كلّ من الترمذي كتاب العلم ـ باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع رقم ( 2676 ) ج 5 / 43 ـ 44 ، أبي داود كتاب السنة ـ باب لزوم السنة ـ رقم ( 4607 ) ج 4 / 200، الدارمي في مقدمة السنن رقم ( 96 ) ص 28، ابن ماجه =

من الأحاديث فإنها عاضدة لهذا المعنى في الجملة " ([1]) ، وقال شيخ الإسلام أيضا يخبرنا عن أهمـــية تفسير هؤلاء : " فقولنا بتفسير الصحابة والتابعين ، لعلمنا بأنهم بلغوا عن الرسول ﷺ مـــا لم يصل إلينا إلا بطريقهم ، وأنهم علموا معنى ما أنزل الله على رسوله تلقياً عن الرسول ، فيمتنع أن نكون نحن مصيبين في فهم القرآن ، وهم مخطئون ، وهذا يعلم بطلانه ضرورة عادة وشرعا " ([2]) .

أما إذا علم أن الموضع موضع اجتهاد ، لا يفتقر إلى ذينك الأمرين ، فهم ومن سواهم فيه شرعٌ ســـواء ؛ كمـــسألة العول ... وفيه خلاف بين العلماء أيضا فإن منهم من يجعل قول الصحابي ورأيـــه حجـــة يـــرجع إليها ويعمل عليها من غير نظر كالأحاديث والاجتهادات النبوية ، وهو مذكور في كتب الأصول فلا يحتاج إلى ذكرها " ([3]) .

وكخلاصة قال "ماء العينين" ([4]) :

**وأفـــضل الـــورَى بـــيانُه صـــحيح والـــصَّحبُ إن يـــتَّفقوا أيـــضا رجِـــيح**
**و حـــيثُ لـــم يـــتَّفقوا وذوو اجـــتهاد بـــيانُهم فـــيه خـــلافٌ مـــستفاد**

---

= باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين الأرقام ( 42 ، 43 ، 44 ) ج 1/ 15 ـ 17 ، أحمد في المسند رقم ( 17142 ) ج 28/ 367، الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح كتاب الإيمان ـ باب الاعتصام بالكتاب والسنة ـ رقم ( 165) ج 1 / 58 ، صحيح سنن الترمذي للألباني رقم ( 2676 ) ج 3 / 69 ـ70 ، صحيح سنن ابن ماجه للألباني رقم ( 40 ) ج 1 / 31 ـ 32، صحيح سنن أبي داود رقم ( 4607 ) ج 3 / 118 ـ 119 ، سنن أبي داود اعتناء مشهور رقم ( 4607) ص 832 إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للألباني رقم ( 2455 ) ج 8 / 107 ـ 109 ، ابن ماجه رقم ( 42 ) ص 20( طبعة مشهور سلمان ) ابن أبي عاصم في السنة ـ باب ما أمر به من إتباع السنة ـ الأرقام ( 28 ) ص 18، ( 54، 55) ص 29، وقال محقق هذا الأخير الألباني حديث صحيح ، ابن الجوزي في جامع المسانيد رقم ( 5316 ) ج 6 / 68 ـ 69، كلّهم عن الصحابي العرباض ابن سارية السّلميّ رضي الله عنه

[1] ينظر الموافقات ج 3/ 252 ـ 253، ج 4 / 132 ـ 134

[2] ينظر بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة و القرامطة الباطنية ص 332

[ 3] المصدر السابق ج 3/ 253 ، ج 4 / 134

[4] المرافق على الموافق ج 2 /512

و الأرجـــــح القَـــــبولُ للجمـــــيع و الحمـــــدُ للمجـــــيب و الـــــسَّميع

**ضرورة اللغة العربية في تفسير و فهم القرآن الكريم :**

إن القرآن يجري على نمط اللسان العربي : " إن الله عز جل أنزل القرآن عربيًّا لا عجمة فيه ، بمعنـــى أنـــه جار في ألفاظه ومعانيه وأساليبه على لسان العرب ، قال الله تعالى ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا** ﴾ ([1]) وقـــال تعالى﴿ ﴿٢٧﴾ **قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ** ﴾ ([2]) وقال تعالى﴿ **نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾** ﴾ ([3]) وكـــــان المنزل عليه القرآن عربيًّا أفصح من نطق بالضاد وهو محمد بن عبد الله ﷺ وكان الذين بعث فـــيهم عـــربًا أيـــضا، فجرى الخطاب به على معتادهم في لسانهم، فليس فيه شيء من الألفاظ والمعانـــي إلا وهـــو جـــار على ما إعتادوه ،ولم يداخله شيء بل نفى عنه أن يكون فيه شيء أعجمي فقال تعالى﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾** ﴾ ([4]) وقـــال تعالى في موضع آخر﴿ **وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ** ﴾ ([5]) ، هذا وإن كان بُعث للناس كافة ، فإن الله جعل جمـــيع الأمم وعامة الألسنة في هذا الأمر تبعًا للسان العرب، وإذا كان كذلك فلا يفهم كتاب الله تعالـــى إلا مـــن الطـــريق الذي نزل عليه وهو اعتبار ألفاظها ومعانيها وأساليبها " ([6]) ، ثم أوضـــح معنـــى ألفاظها و معانيها فقال : " أما **ألفاظها** فظاهرة للعيان ، وأما **معانيها وأساليبها** فكـــان ممـــا يعـــرف في معانيها اتساع لسانها ، وأن تخاطب بالشيء منه عامًّا ظاهرًا يراد به

---

[1] سورة الزخرف الآية 03

[2] سورة الزمر الآية 23

[3] سورة الشعراء الآية 193 ـ195

[4] سورة النحل الآية 103

[5] سورة فصلت الآية 44

[6] الاعتصام ج 2 / 495 ـ 496

الظاهـــر ويستغني بأوله عن آخره ، وعامًّا ظاهرًا يراد به العام ويدخله الخاص ، ويستدل على هـــذا ببعض الكلام، وعامًّا ظاهرًا يراد به الخاص ،وظاهرًا يعرف في سياقه أن المراد به غير ذلك الظاهر، والعلم بهذا كله موجود في أول الكلام أو وسطه أو آخره فهذه كلها معروفة عندها وتستنكر عند غيرها، إلى غير ذلك من التصرفات التي يعرفها من زاول كلامهم ، وكانت له به معرفة وثبت رسوخه في علم ذلك " ([1])

ومن الأمثلة على ذلك : أن الله تعالى خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ، وقال تعالى ﴿ ۞ **وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا** ﴾ ([2]) فهذا من العام الظاهر الذي لا خصوص فيه ، فإن كل شيء من سماء وأرض وذي رُوح وشجر وغير ذلك فالله خالقه، وكل دابة على الله رزقها﴿ **وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَا** ﴾([3])

وقال الله تعالى : " ﴿ **مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦ** ﴾ ([4]) فقـــــوله ﴿ **مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ** ﴾ إنما أريد به من أطاق ومن لم يطق ، فهو عام المعنى ، وقوله﴿ **وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦ** ﴾ عام فيمن أطاق ومن لم يطق فهو عام المعنى " ([5])

---

[1] المصدر نفسه ج 2 / 496

[2] سورة هود الآية 06

[3] سورة هود الآية 06

[4] سورة التوبة الآية 120

[5] الاعتصام ج 2 / 496 ـ 497 ، قلت ويراجع في مسألة العموم والخصوص كتب أصول الفقه وأشملها في هذا الموضوع : العقد المنظوم في العموم والخصوص لشهاب الدين القرافي ت ( 682 هـ ) ، دراسة وتحقيق أحمد الختم عبد الله المكتبة المكية الطبعة الأولى 1420هـ ـ 1999 م

وقوله تعالى﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾([1]) فهذا من العام المراد به الخاص ، لأنهما لم يستطعما جميع أهل القرية .

وقال تعالى﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ﴾ ([2]) فهذا عام لم يخرج عنه أحد من الناس ، وقال إثر هذا ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ ([3]) فهذا خاص ؛ لأن التقوى إنما تكون على من عقلها من البالغين" ([4]) وقال تعالى﴿ ۞ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ ﴾([5]) فالمراد بالناس الثاني الخصوص لا العموم ، وإلا فالمجموع لهم الناس ناس أيضا ، وهم قد خرجوا ، لكن لفظ الناس يقع على ثلاثة منهم وعلى جميع الناس وعلى ما بين ذلك فيصح أن يقال : إن الناس قد جمعوا لكم والناس الأول القائلون كانوا أربعة نفر.

وقال تعالى " ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ ﴾ ([6]) ، فالمراد بالناس هنا الدين اتخذوا من دون الله إلها ، دون الأطفال والمجانين والمؤمنين " ([7]) .

قال : " فجميعه نزل به القرآن ولذلك أطلق عليه عبارة العربي "

فإذا تبث ذلك : " فعلى الناظر في الشريعة والمتكلم فيها أصولا وفروعا أمران :

**أحدهما** أن لا يتكلم في شيء من ذلك حتى يكون عربيًّا ، أو كالعربي في كونه عارفا بلسان

---

[6] سورة الكهف الآية 77

[1] سورة الحجرات الآية 13

[2] سورة الحجرات الآية 13

[3] الاعتصام ج 2 / 497

[4] سورة آل عمران الآية 173

[5] سورة الحج الآية 73

[6] الاعتصام ج 2 / 497

العـــرب ، بالغـــا فـــيه مـــبالغ العرب ، أو مبالغ الأئمة المتقدمين ، كالخليل[1]، وسيبويه ( [2] ) ، والكـــسائي ( [3] ) ، والفـــراء ( [1] ) ومن أشبههم وداناهم ، وليس المراد أن يكون حافظا كحفظهم

[1] هـو الإمـام صـاحب العـربية ومنـشئ علم العروض أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، أحد الأعلام كان رأسا في لسان العرب، دينا ورعا قانعا متواضعا كبير الشأن، يقال إنه دعا الله أن يرزقه علما لا يسبق إليه ففتح له بالعروض وله كتاب "العين"= = في اللغـة،وكان رحمـه الله مفـرط الـذكاء ولـد سنة مائة ومات سنة بضع وستين ومائة، وقيل بقي إلى سنة سبعين ومائة، ينظر وفيات الأعيان ج 2 /244 ـ248 ، سير أعلام النبلاء ج 7 / 429 ـ 431

[2] أبـو بـشر عمـرو بـن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه وهي بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الباء الموحدة والواو وسـكون الـياء الثانـية وبعـدها هـاء ساكنة ولا يقال بالتاء البتة ، لقب فارسي معناه بالعربية رائحة التفاح، هكذا يضبط أهل العربية هذا الاسـم كـان أعلـم المـتقدمين والمتأخرين بالنحو، ولم يوضع فيه مثل كتابه موقع وأخذ سيبويه النحو عن الخليل بن أحمد ،وأخذ اللغة عـن أبـي الخطـاب المعـروف بـالأخفش الأكبر وغيره ، توفي بقرية من قرى شيراز يقال لها البيضاء في سنة ثمانين ومائة وقيل سنة سبع وسـبعين وعمـره نـيف وأربعـون سـنة،ينظر وفـيات الأعـيان ج 3 / 463 ـ 465،سـير أعـلام النـبلاء ج 8/ 351 ـ 352، طبقات النحويين واللغويين للحسن الزّبيدي ص 66 ـ 72

[3] أبـو الحـسن علـي بـن حمـزة بـن عـبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي بالولاء الكوفي المعروف بالكسائي، بكسر الكاف وفتح السين المهملـة وبعـدها ألـف ممدودة ،وسمي بذاك الاسم لأنه دخل الكوفة وجاء إلى حمزة بن حبيب الزيات وهو ملتف بكساء ،فقال حمزة من يقـرأ فقـيل لـه صـاحب الكـساء فبقي عليه، وقيل بل أحرم في كساء فنسب إليه رحمه الله تعالى، أحد القراء السبعة كان إماما في النحو واللغـة والقـراءات ولم تكـن لـه في الـشعر يـد حتى قيل ليس في علماء العربية أجهل من الكسائي بالشعر، وكان يؤدب الأمين بن هارون الرشيد ويعلمه الأدب ،روى عن أبي بكر ابن عياش، وحمزة الزيات، وابن عيينة وغيرهم، وروى عنه الفراء، وأبو عبيد القاسم بن سلام وغيرهمـا، تـوفي سـنة تسع وثمانين ومائة بالري عن سبعين سنة وفي تاريخ موته أقوال فهذا أصحها ، وكان قد خرج إليها صحبة هارون الرشـيد ، ينظـر وفـيات الأعـيان ج 3/ 295 ـ 297، سـير أعـلام النـبلاء ج 9 /131ـ134، طـبقات النحويين واللغويين للحسن الزّبيدي ص 127 ـ 130

[4] العلامة صاحب التصانيف أبو زكريا يحيى بن زياد ابن عبد الله ابن منظور الأسدي مولاهم الكوفي، النحوي صاحب الكسائي ،ولما أملـى كـتاب "معانـي القـرآن" أجـتمع لـه الخلـق فكان من جملتهم ثمانون قاضيا ،وأمل الحمد في مائة ورقة ، وله من التصانيف كتاب "الوقـف والابـتداء" ،"المفاخـر " ،" آلـة الكاتـب " ،" الـنوادر"، وكان المأمون قد وكل بالفراء ولديه يلقنهما النحو ومقدار تواليف الفراء ثلاثـة آلاف ورقـة ،وقـال سـلمة أملـى الفـراء كتبه كلها حفظا ، و عرف بالفراء لأنه كان يفري الكلام ، مات بطريق الحج سنة سبع ومائـتين، ولـه ثـلاث وسـتون سـنة رحمـه الله ، ينظـر سير أعلام النبلاء ج 10 / 118 ـ121،وفيات الأعيان ج 6 /176 ـ 182 ،طبقات النحويين واللغويين للحسن الزّبيدي ص 131 ـ 133 ، نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء لعقيل موسى ج 2 / 745 رقم ( 435 )

وجامعـــا كجمعهم ، وإنما المراد أن يصير فهمه عربيًّا في الجملة ، وبذلك امتاز المتقدمون من علمـــاء العربية على المتأخرين ، إذ بهذا المعنى أخذوا أنفسهم حتى صاروا أئمة ، فإن لم يبلغ ذلك فحسبه في فهم معاني القرآن التقليد ، ولا يحسن ظنه بفهمه دون أن يسأل فيه أهل العلم به " ([2]) .

قـــال الـــشافعي ([3]) لمـــا قرر معنى ما تقدم : " فمن جهل هذا من لسانها ، يعنى لسان العرب وبلسانها نزل القرآن وجاءت السنة به فتكلف القول في علمها تكلف ما يجهل لفظه ومن تكلف ما جهل وما يثبته معرفة كانت موافقته للصواب – إن وافقه – من حيث لا يعرفه غير محمودة وكان في تخطئته غير معذور إذ نظر فيما لا يحيط علمه بالفرق بين الصواب والخطأ فيه " ([4])

---

[1] الاعتصام ج 2 / 498

[2] هـو الإمـام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ابن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عـبد مـناف القرشـي المطلـبي الـشافعي، يجتمع مع رسول الله في عبد مناف المذكور، وباقي النسب إلى عدنان، كثير المناقب جم المفاخر مـنقطع القرين ، اجتمعت فيه من العلوم بكتاب الله وسنة الرسول ، وكلام الصحابة رضي الله عنهم، وآثارهم واختلاف أقاويل العلماء، وغـير ذلـك مـن معرفة كلام العرب والشعر؛ حتى إن الأصمعي مع جلالة قدره في هذا الشأن قرأ عليه أشعار الهذليين ، ما لم يجتمع في غـيره ومـولده سـنة خمـسين ومائة، وقد قيل إنه ولد في اليوم الذي توفي فيه الإمام أبو حنيفة، وكانت ولادته بمدينة غزة وقيل بعسقلان وقيل باليمن والأول أصح، وحمل من غزة إلى مكة وهو ابن سنتين فنشأ بها وقرأ القرآن الكريم، توفي يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة أربـع ومائـتين، ودفـن بعـد العـصر مـن يـومه بالقرافة الصغرى وقبره يزار بها ، ينظر وفيات الأعيان ج 4 / 163 ـ 169 سير أعلام النـبلاء ج 10 / 5 ـ 99 ، شذرات الذهب لابن العماد ج 3 / 19 ـ 24 ،الدّيباج المذهب ص 326 ـ 329، ترجمة رقم ( 437 ) ،آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم الرازي ( تحقيق عبد الغني عبد الخالق ، الطبعة الأولى 1424 هـ ـ 2003 م ، دار الكتب العلمـية ـ لبـنان ـ ) ،توالـي التأسـيس لمعالي محمّد بن إدريس للحافظ ابن حجر العسقلاني ( حققه أبو الفداء عبد الله القاضي ، الطبعة الأولى 1406 هـ ـ 1986 م ، دار الكتب العلمية ـ لبنان ـ ) الإمام الشافعي للشيخ محمد أبو زهرة ( دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ )

[3] الرسالة ص 53

[4] رواه كـلّ مـن الـبخاري كـتاب العلم ـ باب كيف يقبض العلم ـ رقم ( 100 ) ج 1 / 41، ابن ماجه ـ باب في ذهاب العلم رقم ( 245 ) ص 45 ، الترمـذي كـتاب العلـم ـ بـاب ما جاء في ذهاب العلم ـ رقم ( 2652) ج 5/ 30ـ 31 ،النسائي في الكبرى كتاب العلم ـ باب كيف يرفع العلم ـ رقم ( 5876) و ( 5877 ) ج 391/5 أحمد في المسند رقم ( 6511 ) ج 11 / 59 ، ورقم =

فقال الشاطبي : " وما قاله حق فإن القول في القرآن والسنَّة بغير علم تكلف – وقد نُهينا عن التكلف – ودخول تحت معنى الحديث ، حيث قال ﷺ " حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا ..... ." ([1]) ، لأنهم إذا لم يكن لهم لسان عربي يرجعون إليه في كتاب الله وسنة نبيه رجع الأعجمي إلى فهمه وعقله المجرد عن التمسك بدليل فضل عن الجادة "

**والأمـــر الثانـــي :** أنه إذا أشكل عليه في الكتاب أو في السنة لفظ أو معنى فلا يقدم على القول فـــيه دون أن يستظهر بغيره ممن له علم بالعربية، فقد يكون إماما فيها ولكنه يخفى عليه الأمر في بعض الأوقات ؛ فالأولى في حقه الاحتياط ،إذ قد يذهب على العربي المحض بعض المعاني الخاصة حتى يسأل عنها، وقد نقل شيء من هذا عن الصحابة – وهم العرب – فكيف بغيرهم "

---

= ( 6787 ) ج 11 / 395 ـ 396، رقم ( 6896) ج 11 / 498، الطبراني في الأوسط رقم ( 55 ) ج 1 / 21 ـ 22 ، رقم ( 2301) ج 3 / 07، رقم ( 3222 ) ج 301/3،أبو داود الطيالسي رقم ( 2406 ) ج 4 /48، الدارمي في مقدمة السنن ـ باب في ذهاب العلم ـ رقم ( 245 ) ص 45 ، ابن الجوزي في جامع المسانيد رقم ( 3674) ج 4 / 419 ـ420، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان للألباني ـ باب طاعة الأئمة ـ ، ذكر وصف الأئمة المضلين التي كان يتخوّفها على أمته ﷺ رقم ( 4552 ) ج 7 / 19، ورقم ( 6684 ) ج 9 / 393، ( 6688 ) ـ باب إخباره ﷺ عما يكون في أمته من الفتن ج 9 / 395 ، صحيح سنن الترمذي للألباني رقم ( 2652) ج 3/ 58، سنن الترمذي باعتناء مشهور رقم ( 2652 ) ص 597 ـ 598 ،صحيح سنن ابن ماجه رقم باب في ـ اجتناب الرأي و القياس ـ ( 46 ) ج 1/ 35،سنن ابن ماجه اعتناء مشهور رقم ( 52) ص 23 كلّهم عن الصحابي عبد الله ابن عمروا ابن العاص ـ رضي الله عنهما ـ ، ومن طريق آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه رقم ( 6403 ) ج 6 / 277، و الهيثمي في كشف الأستار عن زوائد البزّار على الكتب الستة باب ذهاب العلم وأهله رقم ( 233 ) ج 1 / 123 ـ 124 عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ ، مالك في الموطأ رواية سويد بن سعيد الحدثاني ، ينظر الموطأ بالروايات الثمانية لسليم الهلالي رقم ( 2044 ) ج 4 / 550

نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : " كنت لا أدرى ما ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ([1]) حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتُها أي أنا ابتدأتُها " ([2])

قال : " فإذا كان الأمر على هذا لزم كل من أراد أن ينظر في الكتاب والسنة أن يتعلم الكلام الذي به أدِّيت ، وأن لا يحسن ظنه بنفسه قبل الشهادة له من أهل علم العربية ، بأنه يستحق النظر، وأن لا يستقل بنفسه في المسائل المشكلة التي لم يحط بها علمه، دون أن يسأل عنها من هو من أهلها؛ فإن ثبت على هذه الوصايا كان ــ إن شاء الله – موافقا لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام " ([3]) .

**ومن الأمثلة التي ضربها عن خطأ الجهل بالسان العربي :**

" قول من زعم أنه يجوز للرجل نكاح تسع من الحلائل مستدلا بقوله تعالى﴿ **فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ** ﴾ ([4]) لأن أربعًا إلى ثلاث إلى اثنتين تسع ، ولم يشعر بمعنى فعال ومفعل في كلام العرب وأن معنى الآية ، فانكحو إن شئتم اثنتين اثنتين ، أو ثلاثا ثلاثا ، أو أربعًا أربعًا على التفصيل لا على ما قالوا " ([5]) ، وقال في "الموافقات" على نفس الآية : " ولا يقول مثل هذا من فهم وضع العرب في مثنى وثلاث ورباع " .

قال ابن العربي : " قوله ﴿ **مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ** ﴾ قد توهم قوم من الجهال أن هذه الآية تبيح للرجل تسع نسوة ، ولم يعلموا أن مثنى عند العرب عبارة عن اثنين مرتين ، وثلاث عبارة عن

---

[1] سورة فاطر الآية 01

[2] الاعتصام ج 2 / 499 ، و الأثر أخرجه أبو عبيد في الفضائل : ينظر الدر المنثور للسيوطي 12 / 249 ، تفسير ابن أبي حاتم ج 10 / 3170

[3] الاعتصام ج 2/ 497

[4] سورة النساء الآية 03

[5] ينظر الاعتصام ج 1 / 501، الموافقات ج 3 / 294، ج 4/ 227 تحقيق مشهور

ثــلاث مــرتين ، ورباع عبارة عن أربع مرتين ، فيخرج من ظاهره على مقتضى اللغة إباحة ثماني عشرة امرأة ...." ( [1] ) .

" قول من زعم أن المحرَّم من الخنزير إنما هو اللّحم ، وأما الشحم حلال لأن القرآن إنما حرَّم اللحــم دون الشحم ، ولو عرف أن اللَّحم يطلق على الشحم أيضًا بخلاف الشحم ، فإنه لا يطلق على اللحم ــ لم يقل ما قال ــ " ( [2] ) .

قال ابن العربي عند تفسير الآية ( 173) من سورة البقرة : " اتفقت الأمة على أن لحم الخنزير حــرام بجمــيع أجــزائه؛ والفائدة في ذكر اللحم أنه حيوان يذبح للقصد إلى لحمه ، وقد شغفت المبــتدعة بــأن تقول : فما بال شحمه ، بأي شيء حرِّم ؟ ، وهم أعاجم لا يعلمون أنه من قال لحما فقد قال شحما ، ومن قال شحما فلم يقل لحما ، إذ كلٌّ لحم شحم ، وليس كل شحم لحما من جهة اختصاص اللفظ ، وهو لحم من جهة حقيقة اللحمية .." ( [3] ) .

" فقــد ظهــر بهذه الأمثلة ، كيف يقع الخطأ في العربية في كلام الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه محمــد ﷺ ، وأن ذلــك يؤدى إلى تحريف الكلم عن مواضعه ، والصحابة رضوان الله عليهم برآء من ذلك ، لأنهم عرب لم يحتاجوا في فهم كلام الله تعالى إلى أدوات ولا تعلم ؛ ثم من جاء بعــدهم ممــن لــيس بعربي اللسان تكلف ذلك حتى علمه ، وحينئذ داخل القوم في فهم الشريعة وتنــزيلها على ما ينبغي كسلمان الفارسي وغيره ، فكل من اقتدى بهم في تنزيل الكتاب والسنة علــى العــربية – إن أراد أن يكــون من أهل الاجتهاد فهو – إن شاء الله – داخل في سوادهم الأعظم ، كائن على ما كانوا عليه ، فانتظم في سلك الناجية " ( [4] )

والمقصود بقواعد اللغة المطلوبة لتفسير النصوص الشرعية ، كما أوضحها الشاطبي في كتاب الاجتهاد هي : " ولا أعني بذلك النحو وحده ، ولا التصريف وحده ولا اللغة ، ولا علم المعاني

---

[1] أحكام القرآن ج 1 / 373 ـ 374

[2] الاعتصام ج 2 / 501 ، الموافقات ج 3 / 294 ، ج 4 / 228 تحقيق مشهور

[3] أحكام القرآن ج 1 / 76

[4] الاعتصام ج 2 / 502

ولا غير ذلك من أنواع العلوم المتعلقة باللسان ، بل المراد جملة علم اللسان ألفاظ أو معاني كيف تصورت ؛ ما عدا علم الغريب والتصريف المسمى بالفعل ، وما يتعلق بالشعر، من حيث هو شعر كالعروض والقافية فإنَّ هذا غير مفتقر إليه هنا ، وإن كان العلم به كمالا في العلم بالعربية " ([1]) .

**الممدوح من كلام العرب هو البعيد عن الاصطناع :** قال في كتاب المقاصد

" الممدوح من كلام العرب عند أرباب العربية ما كان بعيدًا عن تكلف الاصطناع، ولذلك إذا اشتغل الشاعر العربي بالتنقيح اختلُف في الأخذ عنه ، فقد كان الأصمعي يعيب الحطيئة ، واعتذر عن ذلك بأن قال : وجدت شعره كله جيدًا ، فدلني على أنه كان يصنعه ، وليس هكذا الشاعر المطبوع ؛ إنما الشاعر المطبوع الذي يرمي بالكلام على عواهنه جيّده على رديئة ، وما قاله هو الباب المنتهج ، والطريق المهيع عند أهل اللسان ، وعلى الجملة فالأدلة على هذا المعنى كثيرة ، ومن زوال كلام العرب وقف من هذا على علم على علم ، وإذا كان كذلك فلا يستقيم للمتكلم في كتاب الله أو سنة رسول الله أن يتكلف فيهما فوق ما يسعه لسان العرب، وليكن شأنه الاعتناء بما شأنه أن تعتني العرب به ، والوقف عند ما حدّته " ([2])

وقـــال أيضا : " أن الاستدلال بالشريعة على الأحكام إنما هو من جهة كونها بلسان العرب ، لا من جهة كونها كلاما فقط " ([3]) .

وعـــن أهمية اللسان العربي ومقاصد الشريعة في الفهم ، جاء في "الاعتصام" في الباب التاسع حين بيَّن أن السبب الذي لأجله افترقت فرق المبتدعة عن جماعة المسلمين : " ومن ليس له أصـــالة في اللسان العربي فعما قريب يفهم كلام الله على غير وجهه ، كما أن من لم يتفقه في مقاصد الشريعة فهمها على غير وجهها " ([4]) .

---

[1] الموافقات ج 4 ، ج 4 / 228 مشهور

[2] الموافقات ج 2 / 64 ، ج 2 / 135

[3] المصدر نفسه ج 2 /73

[4] الاعتصام ج 2 / 413

**التفسير بالمرادف اللّغوي :** قال رحمه الله في المقدمة السادسة من مقدماته للموافقات : ".. وكما تفسر ألفاظ القرآن والحديث بمرادفاتها لغة من حيث كانت أظهر في الفهم منها ، ... فإذا ؛ التصورات المستعملة في الشرع إنما هي تقريبات بالألفاظ المترادفة ، وما قام مقامها من البيانات القريبة.." ([1])

ومن **الأمثلة** التي ضربها على ذلك : " كما إذا طلب معنى **المَلَك** فقيل إنه خلقٌ من خلق الله يتصرف في أمره ، أو معنى **الإنسان** فقيل إنه هذا الذي أنت من جنسه أو معنى **الكوكب** فقيل هذا الذي نشاهده بالليل " ، وعن هذا النوع من التفسير قال عنه بأنه " فأما الأول فهو المطلوب المنبه عليه ، وهو الأليق بالجمهور " .

أما التفسير بالمرادف الذي لا يليق بالجمهور ، فهو الطرف الثاني ومثاله : " كما إذا طلب معنى **المَلَك** فأحيل به على معنى أغمض منه وهو" ماهية مجرَّدة عن المادة أصلا " ، أو" يقال جوهر بسيط ذو نهاية ونطق عقليٌّ" ، أو طلب معنى **الإنسان** فقيل هو الحيوان الناطق المائت ... وما أشبه ذلك من الأمور التي لا تعرفها العرب ، ولا يوصل إليها إلا بعد قطع أزمنة في طلب تلك المعاني... " ([2]) .

فمن هذا الكلام والتحليل يظهر لنا أن الشاطبي يسير مع مذهب العلماء البعيدين على التكليف والتشدق في الكلام الصعب جداً الذي يعسر فهمه على العالم والمتبحر فضلا على العامي البسيط ، فالمهم عنده أن يفهم المراد من النص بطريقة سهلة التعبير ومعروفة دون أي تعقيد بعيد ، وممَّا يؤكد هذا قوله الآتي إذ هاهو :

يقول : " وعلى هذا النحو مرَّ السلف الصالح في بثِّ الشريعة للمؤالف والمخالف ، ومن نظر في استدلالهم على إثبات الأحكام التكليفية ، علم أنهم قصدوا أيسر الطرق وأقربها إلى عقول

---

[1] الموافقات ج 1 / 38 ـ 39 ، ج 1 / 67 ـ 68 ، وهنا تنبيه أود الإشارة إليه ألا وهو وجود خلاف بين أهل العلم حول مسألة وجود الترادف في اللغة أو عدمه ، وهل وقع في القرآن أم لا ؟ ، ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط للزكشي ج 2 / 107 ـ 108 ( قام بتحريره الشيخ عبد القادر عبد الله العاني ، وراجعه د ـ عمر سليمان الأشقر ) ، قواعد الترجيح للحربي ج 2 / 482 ـ 499

[2] الموافقات ج1 / 38 ، ج 1 / 67 ـ 68 بتصرف قليل

الطالبين ، .. وأما إذا كان الطريق مرتبا على قياسات مركبة أو غير مركبة ، إلا أن في إيصالها إلى المطلوب بعض التوقف للعقل فليس هذا الطَّريق بشرعيٍّ ولا تجده في القرآن ولا في السنَّة ولا في كلام السلف الصالح فإن ذلك متلَفة للعقل " ([1])

وكأن الشاطبي هنا يذكرنا بقول الصحابي الجليل علي ابن عبد المطلب ﷺ إذ قال " خاطبوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله " ، إذاً فالطريق الذي جاء به الوحيين هو التيسير والتسهيل في مخاطبة الناس .

**المعرب في القرآن :** قال الشاطبي في المقدمة الرابعة : " غير أنه يُتكلم من الأحكام العربية في أصـــول الفقـــه على مسألة هي عريقة في الأصول : وهى أنَّ القرآن عربي والسنة عربية ، لا بمعنـــى أن القرآن يشتمل على ألفاظ أعجمية في الأصل أو لا يشتمل ، لأن هذا من علم النحو واللغـــة ، بل بمعنى أنه في ألفاظه ومعانيه وأساليبه عربيٌّ بحيث إذا حقق هذا التحقيق سُلك به فـــي الاســـتنباط مـــنه والاستدلال به مسلك كلام العرب في تقرير معانيها ومنازعها في أنواع مخاطباتها خاصة " ([2]) .

"... وأمـــا كونه جاءت فيه ألفاظ من ألفاظ العجم ([3]) ، أو لم يجيء فيه شئ من ذلك فلا يحتاج إلـــيه إذا كانت العرب قد تكلمت به ، وجرى في خطابها، وفهمت معناه ، فإن العرب إذا تكلمت بـــه صـــار من كلامها ألا ترى أنها لا تدعُه على لفظه الذي كان عليه عند العجم إلا إذا كانت حروفه في المخارج والصفات ، كحروف العرب وهذا يقل وجوده وعند ذلك يكون منسوبا إلى

---

[1] الموافقات ج 1 / 40 ، ج 1 / 70 ـ 71 بتصرف

[2] الموافقات ج 1 / 30 ، ج 1 / 38 ـ 39 ، وبينهما إختلاف طفيف في العبارة

[3] لمعرفة مذاهب القوم في هاته المسألة ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ج 1 / 17 ـ 18 ( عارضه بأصوله وعلّق عليه الدكتورمحمّد فؤاد سزكين ، دون رقم الطبعة ـ مكتبة الخانجي بمصر ) ، الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي ج 9 / 326 ـ 329، لباب المحصول في علم الأصول لابن رشيق المالكي ج 1 / 283 ( تحقيق محمد غزالي أبي عمر جابي ، الطبعة الأولى 1422 هـ ـ 2001 م ) ،فنون الأفنان في عيون علوم القرآن لابن الجوزي ص 341 ـ 352 ( تحقيق الدكتور ضياء الدين عتر ،الطبعة الأولى 1408 هـ ـ 1987 م ، دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ـ ) ، القرآن الكريم من المنظور الإستشراقي لمحمّد محمد أبو ليلة ص 273 ( الطبعة الأولى 1423 هـ ـ 2002 م ـ دار النشر للجامعات مصر ) ، أبجد العلوم للقنوجي ص 517

العــرب فأما إذا لم تكن حروفه كحروف العرب أو كان بعضها كذلك دون بعض فلا بد لها من أن تــردها إلى حروفها ولا تقبلها على مطابقة حروف العجم أصلا ومن أوزان الكلم ما تتركه علــى حالــه في كلام العجم ومنها ما تتصرف فيه بالتغيير كما تتصرف في كلامها وإذا فعلت ذلــك صارت تلك الكلم مضمومة إلى كلامها كالألفاظ المرتجلة والأوزان المبتدأة لها هذا معلوم عند أهل عربية لا نزاع فيه ولا إشكال ومع ذلك فالخلاف الذي يذكره المتأخرون في خصوص المسألة لا ينبني عليه حكم شرعي ولا يستفاد منه مسألة فقهية وإنما يمكن فيها أن توضع مسألة كلامــية ينبني عليها اعتقاد وقد كفى الله مؤونة البحث فيها بما استقر عليه كلام أهل العربية في الأسماء الأعجمية " .

وأكدَّ أيضا عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي ([1]) صاحب " مراقي السعود " أن هذه المسألة لا تنبني عليه فروع فقهية بقوله ( [2] ) :

**وذاك لا يُبنـــــــى علـــــــيه فـــــــرعُ حتـــــى أبـــــى رجـــــوعَ درٍّ ضـــــرعُ**

وممن قال أيضا أن العرب غيروا تلك الألفاظ العجمية الشيخ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي[1] ) : " ... إنمــا يمكــن أن يقــال ذلــك إذا كان في القرآن تراكيب أعجمية، أو كلمات باقية على

---

[1] عبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي ، أبو محمد ؛ فقيه مالكي ، علوي النسب ، من غير أبناء فاطمة ، من قبيلة " إدوعل " من الشناقطة . تجرد أربعين سنة لطلب العلم في الصحاري والمدن ، وأقام بفاس مدة ، وحج ، وعاد إلى بلاده فتوفي فيها عام 1235 هـ ـ 1820 م ، وقيل سنة 1233 هـ له " نشر البنود – ط " ثلاثة مجلدات في شرح ألفية له في أصول الفقه سماها " مراقي السعود " ، و " نور الاقاح " منظومة في علم البيان ، وشرحها " فيض الفتاح " و " طلعة الأنوار " منظومة في مصطلح الحديث ، وشرحها " هدى الأبرار على طلعة الأنوار – خ ، ينظر فتح الشَّكور في معرفة أعيان علماء التَّكرور للولاتي ص 173 ـ 175 ، الأعلام ج 4 / 65 ، معجم المؤلفين لرضا كحالة ج 2 / 220 ، وفي هذا الأخير أن وفاته كانت عام 1230هـ / 1815م

[2] ينظر نثر الورود على مراقي السّعود شرح لمحمد الأمين الشنقيطي ، تحقيق و إكمال تلميذه الدكتور محمد ولد حبيب الشنقيطي ، ج 1 / 167 ـ168، الطبعة الثالثة 1423 هـ ـ 2002 م ، الناشر محمد محمود الخضر القاضي ، توزيع دار المنارة للنشر و التوزيع جدة ـ السعودية ـ

[3] هو محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي من مواليد سنة 1311 هـ ـ 1892 م بقرية تسمى الغيضة بسجلماسة بالمغرب ، قرأ القرآن على والده وجده فأتمه وهو في سن الثاني عشر من عمره ، عمل في التدريس بعدة جامعات في العالم الإسلامي والغربي ، أتقن =

عجمـــتها، أمـــا وجود كلمات قد صقلتها العرب بألسنتها ونحت بها مناحي كلماتها ودخلت في أوزانهـــا فـــلا يمكن أحدا أن يدعي ذلك فيها، وقد رد القرآن نفسه على من زعم ذلك من أعداء الإســـلام الأولـــين، فقال تعالى﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (1) وتحـــداهم أن يأتوا بسورة مـــثله بأشد أساليب التحدي، فقال تعالى في سورة البقرة ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (2).

.... فـــأي عدو يسمع مثل هذا التحدي لا يبذل قصارى جهده في معارضة عدوه وإبطال تحديه ... ولـــم يقل أحد من العرب المعادين للإسلام : إن الذي منعهم من معارضة القرآن هو وجود كلمات فيه غير عربية بل سلموا أنه كلُّه عربي . " (3) .

---

= عدة لغات كالألمانية والعبرية والإنجليزية ؛ ألف وحقق مصنفات كثيرة منفردا ومشاركا نذكر منها : " أحكام الخلع في الإسلام " ، " البراهين الإنجيلية على أن عيسى داخل في العبودية " ، " الإلهام والإنعام في تفسير سورة الأنعام "، " قبس من أنوار الوحي " ، " مقدمة كتاب الجماهر في الجوهر " للبيروني وهي أطروحته للدكتوراه توفي في الدار البيضاء عام 1407 هـ ـ 1987 م ، ينظر ترجمته في ذيل الأعلام لأحمد العلاونة ص 170 ـ 171 ، تتمة الأعلام لمحمّد خير يوسف ج 2 / 135 ـ 136 ، إتمام الأعلام لنزار أباظة ـ رياض المالح ص 225 ـ 226 ، علماء ومفكرون عرفتهم للمجذوب ج 1 / 193 ـ 227 ، معجم الأدباء لكامل الجبوري ج 5 / 177 ـ 178

[1] سورة النحل الآية 103

[2] سورة البقرة الآية 23

[3] ينظر مقال له رحمه الله بعنوان " ما وقع في القرآن بغير لغة العرب " مجلة الجامعة الإسلامية العدد 11 ص20 ـ 35، سنة النشر 1391هـ

قال ابن عطية ([1]) : " و الذي أقوله إن القاعدة والعقيدة هي أن القرآن نزل بلسان عربي مبين فليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب فلا تفهمها إلا من لسان آخر ، فأما هذه الألفاظ وما جرى مجراها ، فإنه كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلسانها بعض مخالطة لسائر الألسنة بتجارات و برحلتي قريش ، ... فعلقت العرب بهذا كله ألفاظاً أعجمية ، غيرت بعضها بالنقص من حروفها ، وجرت إلى تخفيف ثقل العُجمة ، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها ، حتى جرت مجرى العربي الصريح ووقع بها البيان ، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن ..." ([2])

قال الباحث عبد الكريم بن محمّد النملة : " ... الخلاف الجاري بين أصحاب المذهب الأول ــ وهم القائلون بعدم وجود ألفاظ بغير العربية في القرآن ــ وأصحاب المذهب الثاني ــ القائلون بوجود ألفاظ بغير العربية ــ خلاف لفظي لا ثمرة له ذلك لاتفاق الفريقين في أن المعاني التي أرادها الشارع من ألفاظ القرآن ، واشتهرت حتى صارت تفهم من تلك الألفاظ ألا يجوز حمل تلك الألفاظ على غيرها ؛ ولاتفاق الفريقين أيضا على استواء أخذ الأحكام من تلك الألفاظ سواء كانت مجازات اشتهرت حتى صارت حقائق ، أو أن الشارع وضعها ابتداءً فإن هذا الخلاف لا يكون له ثمرة أصلا .. " ([3]) .

---

[1] الإمام الحافظ الناقد المجود ، أبو محمد، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمان بن عطية المحاربي، الأندلسي الغرناطي المالكي، وكان إماما في الفقه وفي التفسير وفي العربية قوي المشاركة ذكيا فطنا مدركا من أوعية العلم ، مولده سنة ثمانين وأربع مائة ، اعتنى به والده ولحق به الكبار وطلب العلم وهو مراهق، وكان يتوقد ذكاء ولي قضاء المرية في سنة تسع وعشرين وخمس مائة، توفي بحصن لورقة في الخامس والعشرين ؛وقيل خامس عشر من شهر رمضان سنة إحدى وأربعين وخمس مائة ،وقيل سنة اثنتين وأربعين،وفي الدّيباج المذهب أنه توفي سنة ست وأربعين وخمسمائة ترجمته في سير أعلام النبلاء ج 19 / 586 ـ 588 ،طبقات المفسرين للأدنه وي ص 175 ـ 177،الدّيباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ص 275 ـ 276 ، ترجمة رقم ( 358 ) ، الأعلام ج 3 / 282

[2] ينظر المحرر الوجيز ج 1 / 58

[3] ينظر الخلاف اللفظي عند الأصولين ج 2 / 26

ومما سبق عرضه ننتقل إلى عرض مسألة أخرى هي مرتبطة بما سبق ألا وهي :

**ترجمة القرآن :**

وقبل التعرض لأراء الإمام أبي إسحاق حول الموضوع لابد أن نعرف ماهو المقصود من ترجمة القرآن : فإن كلمة كلمة الترجمة قد استعملت في اللغة العربية لمعان عدة ، تدور كلها حول معنى البيان والتعبير سواء أكان ذلك البيان بلسان عربي أو بلغة أخرى يتم بها البيان لغير العرب

قال الباحث عبد الله عباس الندوي في مقال له : " ترجمة معاني القرآن الكريم وتقييم الترجمات " : " ..... وكلمة الترجمة على وجه عام ، تطلق في اللغة على معنيين

**الأول** : نقل الكلام من لغة إلى أخرى بدون بيان لمعنى الأصل المترجم ، كوضع رديف مكان رديف من لغة واحدة

**الثاني** : تفسير الكلام وبيان معناه بلغة أخرى " ([1]) .

**قال الشاطبي :**" وإذا ثبت هذا فلا يمكن من اعتبر هذا الوجه الأخير أن يترجم كلاما من الكلام العربي بكلام العجم على حال فضلا عن أن يترجم القرآن وينقل إلى لسان غير عربي إلا مع فرض استواء اللسانين في اعتباره عينا كما إذا استوى اللسانان في استعمال ما تقدم تمثيله ونحوه فإذا ثبت ذلك في اللسان المنقول إليه مع لسان العرب أمكن أن يترجم أحدهما إلى الآخر وإثبات مثل هذا بوجه بين عسير جدا وربما أشار إلى شيء من ذلك أهل المنطق من القدماء ومن حذوهم من المتأخرين ولكنه غير كاف ولا مغن في هذا المقام وقد نفى ابن قتيبة إمكان الترجمة في القرآن يعني على هذا الوجه الثاني فأما على الوجه الأول فهو ممكن ومن جهته صح تفسير القرآن وبيان معناه للعامة ومن ليس له فهم يقوى على تحصيل معانيه وكان

---

[1] محاضرات ومناقشات في الفكر الإسلامي ملتقى القرآن الكريم من 2إلى 8 ذو القعدة 1408 هـ 1 ـ 7 سبتمبر 1983م دار البعث ـ قسنطينة ، وللتوسع في معرفة معناها اللغوي وإشتقاقها ينظر لسان العرب لابن منظور مادة [ ترجم ] ج 5 / 426 ( ط ـ دار المعارف تحقيق هاشم محمّد الشاذلي وآخرين ) ، كشاف إصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي ج 1 / 414 ،تاج العروس للزبيدي ج 31 / 327 ـ 328 ، الصحاح للجوهري مادة [ رجم ] ج 5 / 1928 ـ 1929 ، الواضح في علوم القرآن للدكتور مصطفى ديب البغا ـ محي الدين ديب مستو ص 258 ـ 259 ( الطبعة الثانية 1418 هـ ـ 1998 م ، دار الكلم الطيب ـ دار العلوم الإنسانية بدمشق )

ذلك جائزا باتفاق أهل الإسلام فصار هذا الاتفاق حجة في صحة الترجمة على المعنى الأصلي " ([1]) .

ويشير ماء العينين ([2]) بقوله :

لـــــــذَاكَ لا يُتَـــــــرجَمُ القُـــــــرآنُ كُـــــــلاًّ بعُجمَـــــــةٍ لَهـــــا بَـــــيَانُ

ولقد اتبع الشاطبي في هذه الحيثية مذهب الإمام مالك رحمه الله ، وممن أشار إلى أن المنع هو مذهب مالك أذكر صاحب " مراقي السّعود " إذ قال ([3]) :

إبـــــــدال قـــــــرآن بالأعجمـــــــيِّ جـــــــوازُه لـــــــيس بمذهبـــــــيِّ

وشرح الشيخ محمد الأمين هذا البيت " أنه لا يجوز في مذهب المؤلف يعني مذهب مالك ... " فـــيفهم من كلام الشاطبي ﷺ أن الممنوع هو الترجمة الحرفية لا المعنوية وممّا يؤكد هذا هو قـــول الشيخ محمّد حسنين مخلوف إذ قال : " ... ومنه يعلم أن ما أفهمه كلامه من منع ترجمة القـــرآن لـــيس على إطلاقه ، بل هو في ترجمته باعتبار نظمه وأسلوبه المشتمل على الأحوال البلاغـــية الدالة على المعاني المفيدة فإنه من هذه الجهة ، وبهذا الاعتبار لا يتطلب فهمه إلا من طـــريق لـــسان العـــرب الذي أنزل القرآن على معهودها في نظم الألفاظ وأساليب معانيها ... والحاصـــل أن الترجمة المعنوية على هذا الوجه كالتفسير ، بخلاف الترجمة الحرفية التي يعنى فيها بمحاكاة نظم الأصل ، وإبداله بنظم لغة أخرى " ([4]) .

---

[1] ينظر الموافقات ج 2 / 52، ج 2 / 106 ـ 107 مشهور

[2] المرافق على الموافق ج 1 / 182

[3] نثر الورود على مراقي السّعود ج 1 / 138

[4] ينظر رسالة له بعنوان " كلمة حول ترجمة القرآن الكريم " ص 50 ـ 51 ، ( صدرت عن مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، محرم سنة 1351 هـ )

قـــال الزرقاني بعد عرضه أقوال الشاطبي حول موضوع الترجمة ، مع العلم أنه لا يمنعها : " وذلك برهان يدل على أن ترجمة القرآن في نظره ، لا يمكن أن تفي بهداياته و مقاصده ، وأن طالـــب فهمه لا طريق له إلا أن ينتقل هو إلى القرآن و لغته ، فيدرسه على ضوء ما تقرر من قواعد هذه اللغة و أساليبها ولا سبيل إلى هذه الدراسة طبعاً إلا بحذق هذه اللغة وعلومها " ([1]) ويقـــول عبد الله الجديع بخصوص هذا الموضوع بأنه لابد من مراعاة تنبيهات وهي : " **التنبيه الأول** : يجـــب أن يتَّـــصِف المُتـــرجم بصفات المفسِّر، ويتقيَّد بالمنهج على أن يكون متمكِّنا في اللغتين جميعا تمكُّن أهل كلٍّ منهما العارفين بهما .

**التنبيه الثاني :** لايصح أن يلقَّن غير العربي أن هذه الترجمة لمعاني القرآن بلغته هي القرآن إنّمـــا يجـــب أن يبـــصَّر أن هذا إجتهاد بشر في بيان معاني كلام الله جائز عليه الغلط و الوهم والقصور .... " ([2]) .

وكخلاصـــة لهـــذا الـــرأي بإختـــصارنقول أنـــه لا ينكر دور الترجمة الفاعل وأثره في تفاعل الحضارات التي ساعدت العرب المسلمين في الدخول إلى عالم المعرفة العلمية التجريبية وكذلك عـــالم المعـــرفة النظرية ، ولقد كان لترجمة معاني القرآن الكريم أثر كبير في رفع النقاب عن جمال القرآن الكريم لمن لم يستطع أن يراه بمنظار اللغة العربية من المسلمين الأعاجم وغيرهم وتيـــسير فهمـــه ، ولدفـــع الشبهات التي لفقها و ألصقها أعداء الإسلام ؛ ولكن هذا الكلام ليس بـــإطلاق كمـــا هـــو واضح إذ أنه قد ظهرت في الأسواق والمكتبات الآن عدة ترجمات للقرآن الكريم قاصرة عن إبراز شيء من المعاني البلاغية الراقية الّتي جاء بها القرآن ، بل إن بعضها ربمـــا ينفـــي المقاصد القرآنية العالية ، وليس هنا مقام إبراز جوانب ودلائل على ذلك ، ولكن طابت لي نفسي هنا إلى توجيه وصاية إلى اللِّجان العلمية المختصة في هذا المجال ، مع العلم

---

[1] مناهل العرفان ج 2 / 61

[2] المقدمات الأساسية في علوم القرآن ص 356 ـ 357 بتصرف يسير

أنني لست ممن يوصي ولكنها من باب التذكير فقط بأنه قد حان الوقت في إن إنشاء جهاز أعلى لتـــرجمة القرآن معاني القرآن الكريم إلى اللغات العالمية الأخرى ، يبدأ بتصنيف ما هو موجود منها ؛ فيقبل الصحيح ويرفض السقيم مع التصويب والتنقيح والله الموفق لذلك بإذنه تعالى



# المبحث الثاني
# التفسير بالرأي

## المطلب الأول :

**معنى الرأي :** قال ابن القيم : " الرأي في الأصل مصدر رأي الشَّيء يراه رأيًا، ثم غلب استعمالُه على المرئي نفسه ، من باب استعمال المصدر في المفعول كالهوى في الأصل مصدر هَوِيه يَهواه هوىً ، ... ورأى كذا ، لما يعلم بالقلب ولا يرى بالعين ــ رأيا ــ ولكنهم خصُّوه بما يراه القلب بعد فكر وتأملٍ ، وطلب لمعرفة وجه الصواب مما تتعارض فيه الأمارات ؛ فلا يقال لمن رأى بقلبه أمرا غائبا عنه مما يحسُّ به أنه رأي ، ولا يقال أيضا للأمر المعقول الذي لا تختلف فيه العقول ولا تتعارض فيه الأمارات إنه رأي ، وإن احتاج إلى فكر وتأمل كدقائق الحساب ونحوها... " ([1]) .

قال الشاطبي : " إعمال الرأي في القرآن جاء ذمه ([2]) ، وجاء أيضا ما يقتضي إعماله، وحسبك من ذلك ما نقل عن الصِّديق؛ فإنه نقل عنه أنه قال ــ وقد سئل في شيء من القرآن ــ

---

[1] أعلام الموقعين ج 1 / 53 ، ج 2 / 124 ( بقراءة وتعليق وتخريج الأحاديث والآثار أبو عبيدة مشهور ابن حسن آل سلمان ، ومشاركة أبو عمر أحمد عبد الله أحمد ، الطبعة الأولى 1423 هـ ، دار ابن الجوزي بالسعودية )

[2] ورد النهي عن ذلك في مثل الحديث الذي رواه الترمذي في السنن عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما " من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار " وحكم عليه الترمذي بالحسن رقمي ( 2950 ـ 2951 ) ، وبلفظ آخر مروي عن جندب ابن عبد الله البجلي : " من قال في القرآن برأيه فأصاب ، فقد أخطأ " والحديث الأخير أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب العلم ـ باب الكلام في كتاب الله بغير علم رقم ( 3652 ) ج 4 / 43 ( إعداد وتعليق عزت عبيد الدعّاس وعادل السيّد ـ الطلعة الأولى 1418هـ ـ 1997 م ، دار ابن حزم ) الترمذي كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ـ باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه ـ رقم ( 2952 ) ،جامع المسانيد والسنن للحافظ ابن كثير رقم ( 1693 ) ج 3 / 147 السنن الكبرى للنسائي باب ـ من قال في القرآن بغير علم ـ الأرقام (8030 ـ 8031) عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما و ( 8032 ) عن جندب ابن عبد الله رضي الله عنه ج 7 / 285 ـ 286 ، أحمد في المسند الأرقام =

" أيُّ ســماء تظلُّني وأي أرض تقلني ، إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟ ، " وربما روى فيه : إذا قلت في كتاب الله برأيي، ثم سئل عن الكلالة المذكورة في القرآن فقال لا أقول فيها برأيي فــإن كــان صوابًا فمن الله وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان الكلالة كذا وكذا ، فهذان قولان إقتضيا إعمال الرأي وتركه في القرآن، وهما لا يجتمعان" ([1]) والقول فيه أن الرأي ضربان :

**أحــدهما** جــار على موافقة كلام العرب وموافقة الكتاب والسنة فهذا لا يمكن إهمال مثله لعالم بهما ؛ لأمور أحدها أن الكتاب لا بد من القول فيه ببيان معنى ، واستنباط حكم ، وتفسير لفظ ، وفهــم مــراد ولم يأت جميع ذلك عمن تقدم ، فإما أن يتوقف دون ذلك فتتعطل الأحكام كلها أو أكثرها، وذلك غير ممكن لا بد من القول فيه بما يليق **والثاني** أنه لو كان كذلك ؛ للزم أن يكون الرســول ﷺ مبيــنًا ذلك كله بالتوقيف ، فلا يكون لأحد فيه نظر ولا قول ، والمعلوم أن عليه الــصلاة والــسلام لــم يفعل ذلك ،فدل على أنه لم يكلف به على ذلك الوجه، بل بيَّن منه ما لا يوصــل إلى علمه إلا به وترك كثيرًا مما يدركه أرباب الاجتهاد ، باجتهادهم فلم يلزم في جميع تفسير القرآن التوقيف " ([2]) .

**والثالث** أن الصحابة كانوا أولى بهذا الاحتياط من غيرهم ، وقد علم أنهم فسروا القرآن على ما فهموا ، ومن جهتهم بلغنا تفسير معناه ، والتوقيف ينافي هذا فإطلاق القول بالتوقيف والمنع من الرأي لا يصح " ([3]) .

---

= [ ( 2069 ) 3 / 496 ، ( 2429 ) 4 / 250 ، ( 2974 ) 5 / 122 ، ( 3024 ) 5 /155 ] ،الإبانة لابن بطة ت ( 387 هـ ) رقمي ( 421 ـ 422 ) ج 2 / 145 ـ 147 ، ( تحقيق ودراسة يوسف الوابل ، الطبعة الأولى 1415 هـ ، دار الراية بالرياض ) ، و كلا الحديثين حكم عليهما الألباني بالضعف ينظر : صحيح وضعيف الترمذي ج 3 / 179 ، وأيضا في مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي إذ أخرجهما هذا الأخير في كتاب العلم تحت رقمي ( 234 ) ، ( 235 ) ج 1 / 79 ( ط 2 ، 1399 هـ ـ 1979 م ـ المكتب الإسلامي ) ، سنن أبو داود إعتناء مشهور سلمان ص 657 ، سنن الترمذي باعتناء مشهور سلمان أيضا ص 660

[1] الموافقات ج 3 / 315 ، ج 4 / 276

[2] المصدر السابق ج 3 / 315 ـ 316 ، ج 4 / 277 ـ 278

[3] المصدر نفسه ج 3 / 316 ، ج 4 / 278

**والرابع** أن هذا الفرض لا يمكن ، لأن النظر في القرآن من جهتين :

مـــن جهة **<u>الأمور الشرعية</u>** ، فقد يسلم القول بالتوقيف فيه وترك الرأي والنظر جدَلا ومن جهة **<u>المآخـــذ العربية</u>** وهذا لا يمكن فيه التوقيف ، و إلا لزم ذلك في السلف الأولين ، وهو باطل ، فـــاللازم عـــنه مـــثله ، وبالجملة فهو أوضح من إطناب فيه "[1]وهذا نص لأحد الأعلام يوضح مذهب الشاطبي ، بأسلوب آخر ، قال ابن تيمية :

" وهكذا روى عن بعض أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم، أنهم شَدَّدوا في أن يفسَّر القرآن بغير علم ، وأما الذي روي عن مجاهد وقتادة وغيرهما من أهل العلم أنهم فسروا القرآن، فليس الظن بهم أنهم قالوا في القرآن أو فسَّروه بغير علم ، أو من قبل أنفسهم وقد روى عنهم ما يدّل على ما قلنا: أنهم لم يقولوا من قبل أنفسهم بغير علم فمن قال في القرآن برأيه فقد تكلَّف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر به فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ ؛ لأنه لم يأت الأمر من بابه ، كمن حكم بين الناس على جهل فهو في النار وإن وافق حكمه الصواب في نفس الأمر لكن يكون أخف جرمًا ممن أخطأواللّه أعلم " ([2])

قـــال أبـــي حامـــد الغزالي ([3]) : " .. إلى غير ذلك مما ورد في الأخبار و الآثار في النهي عن تفـــسير القـــرآن بالـــرأي ، فلا يخلوا إما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل و المسموع ، وتـــرك الاستنباط و الاستقلال بالفهم ، أو المراد به أمرًا آخر و باطل قطعا أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد في القرآن ، إلا بما يسمعه لوجوه :

**أحـــدها :** أنـــه يشترط أن يكون ذلك مسموعا من رسول الله ﷺ ومسندا إليه ، وذلك مما لا يـــصادف إلا في بعض القرآن ، فأما ما يقوله ابن عباس و ابن مسعود من أنفسهم فينبغي أن لا يقبل ، ويقال هو تفسير بالرأي لأنهم لم يسمعوه من رسول الله ﷺ وكذا غيره من الصحابة

---

[1] المصدر نفسه ج 3 / 316 ،ج 4 / 279

[2] مقدمة في أصول التفسير ص 100 ، وكلام ابن تيمية هذا هو عين كلام الإمام أبو عيس الترمذي في جامعه في كتاب تفسير القرآن ينظر تحفة الأحوذي ج 7 / 372

[3] إحياء علوم الدين ج 1 / 290

**والثانـــي :** أن الصحابة و المفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها ، وسماع جميعها ، من رسول الله ﷺ محال ، ولو كان الوحد مسموعا لرد الباقي ، فتبيَّن على القطع أن كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه

**الثالث :** أنه ﷺ دعا لابن عباس رضي الله عنهما وقال : " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل " فإن كان التأويل ممنوعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه لذلك ؟

**الرابع :** أنه قال ﷻ ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [1] فأثبت لأهل العلم استنباطا ، ومعلوم أنه وراء السماع " .

ثـــم قـــال الشاطبي : " وأما الرأي غير الجاري على موافقة العربية أو الجاري [2] على الأدلة الـــشرعية فهذا هو الرأي المذموم ، من غير إشكال كما كان مذمومًا في القياس أيضا ، حسبما هـــو مذكـــور في كتاب القياس ؛ لأنه تقوّلٌ على الله بغير برهان ، فيرجع إلى الكذب على الله تعالـــى ، وفي وهذا القسم جاء من التشديد في القول بالرأي في القرآن ما جاء ؛ كما روى عن ابن مسعود "ستجدون أقوامًا يدعونكم إلى كتاب الله ، وقد نبذوه وراء ظهورهم ، فعليكم بالعلم ، وإياكم و التبدع ، وإياكم والتنطع ، وعليكم بالعتيق"[3] " وعن عمر بن الخطاب [4] " إنما أخاف

---

[1] سورة النساء الآية 83

[2] السياق يقتضي ضرورة إضافة " غير " والله أعلم لأنه هو الصواب

[3] ينظر الأثر في سنن الدارمي رقم ( 145 ) ج 251 ـ 252 ، ( تحقيق حسين سليم أسد الداراني ، الطبعة الأولى 1421 هـ ـ 2000 م ، دار المغني للنشر بالرياض ) ، الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي رقم ( 156 ) ج 1 / 167 ،( حققه عادل بن يوسف العزازي ، الطبعة الأولى 1417 هـ ـ 1996 م ، دار ابن الجوزي ـ السعودية ـ ) ، وهو ضعيف لعدم لقاء أبي قلابة بعبد الله ابن مسعود رضي الله عنه

[4] أخرجه إبن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله رقم ( 2364 ) ج 2 / 1202 ، وقال محقق هذا الأخير أبي الأشبال الزهيري عن رجال سنده أنهم ثقات إلا منقطع بين عمرو ابن دينار وعمر ابن الخطاب رضي الله عنه ( الطبعة الأولى 1414 هـ ـ 1994 م ، دار ابن الجوزي بالمملكة السعودية )

علـــيكم رجلين : رجل يتأوَّل القرآن على غير تأويله ، ورجل ينافس الملك على أخيه " ، وعن عمـــر أيـــضًا : "ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاه إيمانه ولا من فاسق بيِّن فسقه ولكني أخـــاف عليها رجلا قد قرأ القرآن حتى أذلقه بلسانه ، ثم تأولَّه على غير تأويله " ([1]) ... وسأل رجل ابن عباس "عن ﴿ يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ ﴾ ([2]) فقال له ابن عباس فما ﴿ يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ ([3]) فقـــال الـــرجل : إنما سألتك لتحدثني ، فقال ابن عباس هما يـــومان ذكـــرهما الله في كتابه ، الله أعلم بهما ، نكره أن نقول في كتاب الله ما لا نعلم" ([4]) ، وروى فـــي ذلك مجموعة آثار تصب في مضمونها النهي عن القول في التفسير بالرأي عن كلّ مـــن ســـعيد بن المسيب ، و عن عبيدة ، مسروق ، إبراهيم، هشام بن عروة ([5]) ، ثم قال : " وإنمـــا هذا كله توقٍ وتحرزٌ أن يقع الناظر فيه في الرأي المذموم ، والقول فيه من غير تثبت ،

---

[1] رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله رقم ( 2368 ) ج 2 / 1204 ، وهنا بلفظ " أزلقه بلسانه " ، وحكم على هذا الأثر أبي الأشبال الزهيري بالضعف لوجود ثلاثة علل فيه

[2] سورة المعارج الآية 04

[3] سورة السجدة الآية 5

[4] للعلماء وجهان للجمع بينهما : " الأول : ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق سماك عن عكرمة عن أبن عباس : من أن يوم الألف المذكور في سورة السجدة هو مقدار سري الأمر وعروجه إليه تعالى ، ويوم الخمسين ألفا هو يوم القيامة

الثاني : أن المراد بجميعها يوم القيامة ، وأن الاختلاف باعتبار حال المؤمن و الكافر ، ويدل لهذا قوله تعالى ﴿ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ ﴾ ( المدثر الآية 09 ـ 10 ) ، ( الإتقان في علوم القرآن ج 2 / 60، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، مطبوع مع أضواء البيان ج 10 / 140 ـ 141 )

[5] ينظر القول في أسانيدها في مقدمة أصول التفسير لابن تيمية ، إذ كر منها هذا الأخير ثمانية عشر أثراً ص 101 ـ 107

وقــد نقــل عن الأصمعي ([1]) وجلالتُه في معرفة كلام العرب معلومةٌ أنه لم يفسر قط آية من كتاب الله ؛ وإذا سئل عن ذلك لم يجب انظر الحكاية عنه في الكامل للمبرد " ([2]) .

قال ابن القيم رحمه الله ([3]) : " ...فالجواب أن الرأي نوعان :

أحدهما : رأي مجرد لا دليل عليه ، بل هو خرص و تخمين ، فهذا الذي أعاذ الله الصديق و الصحابة منه .

و الثانـــي : رأي مــستند إلى استدلال و استنباط من النص وحده ، أو من نص آخر معه فهذا ألطف فهم النصوص و أدقه " .

ولأبـــي حامــد الغزالي رحمه الله كلام نفيس ، وشامل حيث قال : " وأما النهي فإنه ينزل على أحد وجهين :

أحدهما : أن يكون له في الشيء رأي و إليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهــواه ليحتج على تصحيح غرضه ، ولو لم يكن له ذلك الرأي و الهوى لكان لا منوح له من القرآن ذلك المعنى ،وهذا يكون تارة عن علم كالمبتدعة أو مع جهل

والــوجه الثانـــي : أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع و النقل ، فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة... " ([4]) .

---

[1] روى عنه ذلك نصر الجهضمي ،ومثله اتقائه تفسير الحديث كما في السير، والأصمعي هو الإمام العلامة الحافظ حجة الأدب لسان العرب، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي وكانت ولادته سنة اثنتين وقيل ثلاث وعشرين ومائة، وتوفي في صفر سنة ست عشرة وقيل أربع عشرة ، بالبصرة وقيل بمرو رحمه الله تعالى،وقال الخطيب أبو بكر بلغني أن الأصمعي عاش ثمانيا وثمانين سنة،وله من التصانيف كتاب" خلق الإنسان" ،"الأجناس" ،" المقصور والممدود "، وكتاب" الوحوش" ، "الأمثال" ، وكتاب "الأضداد" وكتاب "الألفاظ " وغيرها، ينظر وفيات الأعيان ج3/ 170 ـ 176 ، سير أعلام النبلاء ج 10 /175 ـ 181، طبقات النحويين واللغويين للحسن الزّبيدي ص 167 ـ 174، نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء لعقيل موسى ج 2 / 751ـ 752 رقم (440)

[2] الموافقات ج 3 / 317 ، ج 4 / 283

[3] أعلام الموقعين ج 1 / 65 ـ 66 ، ج 2 / 154 ( ط ـ دار ابن الجوزي )

[4] إحياء علوم الدين ج 1 / 290 ـ 291 بتصرف يسير

وقال ابن تيمية أيضا : " فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف ، محمولة على تحرّجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به فأما من تكلَّم بما يعلم من ذلك لغة وشرعًا فلا حرج عليه؛ ولهذا رُوى عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة؛ لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه ، وهذا هو الواجب على كلِّ أحد ؛ فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به ، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه ؛ لقوله تعالى﴿ **لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ** ﴾ ([1]) ، ولما جاء في الحديث المروي من طُرُق " من سئل عن علم فكَتَمَه ألجم يوم القيامة بلجام من نار" ([2])

ونظم ابن الشيخ مامين قائلا ([3]) :

**إعمَالُ رأي في الكتاب ذُمّا ... وجَاء ما قد يقتضيه ثمَّا**
**حسبُك ما رُوى عن الصِّديق ... في ذينك القولين بالتحقيق**
**فإنَّه امتنع أولا وقال ... ثانٍ برأي ما أقولُ من مقال**
**وفي الحقيقة يُرى لرأيٍ على ... ضربين لا غيرهما حيث جَلا**
**فواحدٌ جار على وفَاق ... كلام ذي العرب باتِّفاق**
**كذا مُوافقُ الكتاب و السَّنن ... هذا قبوله جرى على السَّنن**
**وغيرُه ذُمَّ بلا بهتان ... لأنه ليس من القُرآن**

---

[1] سورة آل عمران الآية 187

[2] مقدمة في أصول التفسير ص 108 ، والحديث أخرجه أبي داود في كتاب العلم ـ باب من كراهية منع العلم ـ رقم ( 3658 ) ج 4 / 45 ، المسترك على الصحيحين للحاكم الأرقام ( 344 ، 345 ، 346 ) ج 1 / 170 ـ 171 ،أحمد في المسند رقم ( 10597 ) 16 / 351 ، ( 10487 ) 16 / 293 ،وهؤلاء كلهم عن أبي هريرة ﷺ ،الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين لمقبل بن هادي الوادعي باب الوعد لمن يكتم العلم ج 1 / 29 عن عبد الله ابن عمرو ابن العاص ﷺ ( الطبعة الأولى 1416 هـ ـ 1995 م ، مكتبة ابن تيمية ـالقاهرة ـ ) ، الطبراني في الأوسط رقم ( 4815 ) ج 5 / 108 ، ورقم ( 7532 ) ج 7 / 293

[3] المرافق على الموافق ج 2 /583

قال الشاطبي : " فالذي يستفاد من هذا الموضع أشياء منها التحفظ من القول في كتاب الله تعالى إلا على بيِّنة ، فإنَّ الناس في العلم بالأدوات المحتاج إليها في التفسير على ثلاث طبقات: **إحداها** من بلغ في ذلك مبلغ الراسخين ، كالصحابة والتابعين ومن يليهم ، وهؤلاء قالوا مع التَّوقي والتَّحفُّظ ، والهيبة والخوف من الهجوم ، فنحن أولى بذلك منهم إن ظننا بأنفسنا أنا في العلم والفهم مثلهم وهيهات ! و**الثانية** من علم من نفسه أنه لم يبلغ مبالغهم ولا داناهم ، فهذا طرف لا إشكال في تحريم ذلك عليه و**الثالثة** من شك في بلوغه مبلغ أهل الاجتهاد ، أو ظن ذلك في بعض علومه دون بعض ، فهذا أيضا داخل تحت حكم المنع من القول فيه ، لأن الأصل عدم العلم ، فعند ما يبقى له شك أو تردد في الدخول مدخل العلماء الراسخين فانسحاب الحكم الأول عليه باق بلا إشكال ، وكلُّ أحد فقيه نفسه في هذا المجال ، و ربما تعدى بعض أصحاب هذه الطبقة طوره ، فحسّن ظنه بنفسه ، ودخل في الكلام فيه مع الراسخين ، ومن هنا افترقت الفرق ، وتباينت النحل ، وظهر في تفسير القرآن الخلل " ([1])

ومنها : أنَّ من ترك النَّظر في القرآن ، واعتمد في ذلك على ما تقدَّمه ، ووكل إليه النظر فيه ، غيرُ ملوم وله في ذلك سعة إلا فيما لابد منه وعلى حكم الضرورة ، فإنَّ النَّظر فيه يشبه النَّظر في القياس كما هو مذكور في بابه ، وما زال السَّلف الصالح يتحرجون من القياس فيما لا نص فيه ، وكذلك وجدناهم في القول في القرآن ، فإنَّ المحظور فيهما واحد ، وهو خوف التقوّل على الله ، بل القول في القرآن أشد ؛ فإن القياس يرجع إلى نظر النَّاظر ، والقول في القرآن يرجع إلى أن الله أراد كذا ، أو عَنى كذا بكلامه المنزَّل ، وهذا عظيم الخطر" ([2])

ومنها : أن يكون على بال من النَّاظر و المفسِّر و المتكلِّم عليه أن ما يقوله تقصيد منه للمتكلم ، و القرآن كلام الله فهو يقول بلسان بيانه ، هذا مراد الله من هذا الكلام فليتثبت أن يسأله الله تعالى " من أين قلت عني هذا ؟ فلا يصح له ذلك إلا ببيان الشَّواهد ، وإلا فمجرد الاحتمال يكفي بأن يقول يحتمل أن يكون المعنى كذا وكذا ، بناء أيضا على صحة تلك الاحتمالات في

---

[1] الموافقات ج 3 / 317 ، ج 4 / 284

[2] المصدر نفسه ج 3 / 317 ـ 318 ، ج 4 / 284

طلب العلم ، و إلا فالاحتمالات التي لا ترجع إلى أصل غير معتبرة ، فعلى كلِّ تقدير لابد في كل قول يجزم به أو يحمّل من شاهد يشهد لأصله ، وإلا كان باطلا ، ودخل صاحبه تحت أهل الرأي المذموم " ([1]) . إذن فلا يلزم في جميع تفسير القرآن القول بالتوقف .

ولخص لنا ماء العينين كلامه ([2]) :

| | |
|---|---|
| وذا الّـــذي اســـتُفيد مـــن ذا الموضِـــع | هـــو الـــتَّحفُظُّ مـــن القـــولِ فعـــي |
| لأنَّ ذي الـــنَّاس بـــذا العِلـــم ثـــلاث | أحـــدُها بلـــغ مـــا لـــيس انـــتِكاث |
| مـــثلُ الـــصَّحابة ومـــن يلـــيهم | فـــي العلـــم مقـــبولٌ لمـــا لـــدَيهم |
| ومـــن يَـــرى بَعُـــد مـــنهم علمًـــا | حَـــرُم أن يقـــول فـــيه فهمـــا |
| وثالـــثٌ مـــن شـــكَّ أو ظـــنَّ بلُـــوغ | أهـــل اجـــتهاد قـــل لهـــذا لا يَـــسُوغ |
| لـــه الـــتَّكلُّمُ بـــذا الكـــتاب | إذ لـــيس يأتـــيه سُـــوى الـــصَّواب |

فالأخذ بالرأي بشروطه الذي وضحناها لا بأس به ، و حتى أن الغزالي قطع بذلك لأن تلك هي مهمـــة العلمـــاء ، ومثله أيضا الشاطبي في قوله : "ولا خلاف في وجوب البيان على العلماء والبـــيان يـــشمل البيان الابتدائي للنصوص الواردة والتكاليف المتوجهة ، فثبت أن العالم يلزمه البـــيان مـــن حـــيث هو عالم " ([3]) ، فهنا لابد على العالم أن يُعمل الفكر في تفسير النصوص الـــشرعية ؛ لأنهم هم ورثة الأنبياء ، وإن لم يفعلوا يبنوا للناس معاني النصوص دخلوا ضمن أولئك الذين خاطبهم الله في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ([4]) ، وقوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ ﴾ ([5]) ،

---

[1] المصدر نفسه ج 3 / 318 ، ج 4 / 284 ـ 285

[2] المرافق على الموافق ج 2 / 588

[3] الموافقات ج 3/ 230 ـ231

[4] سورة البقرة الآية 42

[5] سورة البقرة الآية 159

كمـــا قال ذلك الشاطبي وأضاف رحمه الله توضيح آخر للرأي المقبول أو المحمود فقال : " .. كما أن الرأي لا يعتبر شرعا إلا إذا استند إلى النقل.. " ([1]) .



[4] الموافقات ج 3 / 29 ، ج 3 / 227

# المبحث الثالث
# التأويل عند الشاطبي

**معنى التأويل في اللغة :**

التأويل هو مصدر من باب التفعيل ، ومادته تدور على عدة معاني منها : [ الإصلاح ــ العودة والرجوع ــ الخثور ــ العاقبة ــ التفسير ]

قال الزبيدي : " أولَّه إليه تأويلا رجعه ، وأول الله عليك ضالتك : ردَّ ورجع "

وقال ابن فارس : " قال الخليل : آل اللَّبن أولا وأوُولا : خثر ... ومن هذا الباب تأويل الكلام ، وهو عاقبته وما يؤول إليه وقال الأعشى :

***على أنَّها كانت تأوَّل حُبَّها تأوُّل ربعيّ السِّقاب فأصحبا***

يريد مرجعه وعاقبته " ([1]) .

أما عن تعريفه في الاصطلاح فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وأما [ التأويل ] في لفظ السلف فله معنيان :

**أحدهما :** تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهره أو خالفه، فيكون التأويل والتفسير عند هؤلاء متقاربًا أو مترادفًا، وهذا – واللّه أعلم – هو الذي عناه مجاهد أن العلماء يعلمون تأويله ومحمد بن جرير الطبري يقول في تفسيره : القول في تأويل قوله كذا وكذا، واختلف أهل التأويل في هذه الآية ونحو ذلك، ومراده التفسير.

**والمعنى الثاني** ــ في لفظ السلف ــ وهو الثالث من مسمى التأويل مطلقًا ــ : هو نفس المراد بالكلام ؛ فإن الكلام إن فإن الكلام إن كان طلبًا كان تأويله نفس الفعل المطلوب ، وإن كان خبرًا

---

[1] ينظر هذه المعاني في تاج العروس ج 28 / 32 ـ 33 ، معجم مقاييس اللغة لابن فارس 1 / 160 ـ 162 ، مجمل اللغة لابن فارس 1 /107 ، لسان العرب لابن منظور 1 / 171 ـ 173 مادة [ أول ]

كـــــــان تأويلـــــــه نفـــــــس الـــــــشيء المخبـــــــر بـــــــه " [1]

**تأويل المتشابه :**

مـــن المـــسائل المهمـــة التي تناولها الشاطبي قضية التأويل ، وهذا حينما تطرق إلى موضوع المتـــشابه ؛ فهاهـــو يقـــول : " تسليط التأويل على التشابه فيه تفصيل ، فلا يخلو أن يكون من المتـــشابه الحقيقي أو من الإضافي فإن كان من الإضافي فلا بد منه إذا تعين بالدليل ، كما بين العـــام بالخـــاص والمطلـــق بالمقيد والضروري بالحاجي، وما أشبه ذلك ، لأن مجموعهما هو المحكـــم وقـــد مر بيانه وأما إن كان من الحقيقي فغير لازم تأويله إذ قد تبين في باب الإجمال والبيان أن المجمل لا يتعلق به تكليف أن كان موحدا ، لأنه إما أن يقع بيانه بالقرآن الصريح أو بالحـــديث الـــصحيح ،أو بالإجمـــاع القاطع ، أولا " إذن فالإمام الشاطبي يذهب إلى التفصيل ، فـــتأويل المتـــشابه الإضافي هو لابد منه بخلاف الآخر الحقيقي ، فإن وجد دليل من الأدلة التي ذكرها فتأول به وإن لم توجد فالعمل عند ذاك هو التوقف ، عن الخوض فيه ، والدليل على هذا هـــو قوله : " فإن وقع بيانه بأحد هذه فهو من قبي الضرب الأول من التشابه ،وهو الإضافي ، وإن لم يقع بشيء من ذلك فالكلام في مراد الله تعالى من غير هذه الوجوه تسوُّر على مالا يعلم وهو غير محمود " ، إذن الأدلة التي استدل بها الشاطبي على موقفه هنا هي كالتالي :

ـــ عدم الخوض فيما لا علم به ، وهذا عملا بقوله تعالى ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ** ﴾ ( [2])

ـــ أن الـــسلف الـــصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المقتدين بهم لم يعرضوا لهذه الأشياء ، ولا تكلموا فيها بما يقتضي تعيين التأويل من غير دليل ؛ وهم الأسوة والقدوة

ولكن هذا لم يمنع المتأخرين إلى تأويلها ، مستندين في ذلك إلى اتساع العرب في كلامها ، من جهـــة الكناية والاستعارة وغيرها ، ولكن هذا الأمر الأخير لم يرتضه الشاطبي إذ قال : " وهي

---

[1] ينظر مجموع الفتاوى ج 13 / 289 ، جناية التأويل الفاسد للدكتور أحمد محمّد لوح ص 1 ـ 3 ( الطبعة الأولى 1418 هـ ـ 1997 م ، دار ابن عفان )

[2] سورة الإسراء الآية 36

مسألة اجتهادية ، ولكن الصواب من ذلك ما كان عليه السلف " ،ولقد أشار" ماء العينين " إلى كل هذا ناظما (1) :

تسليط تأويلٍ على التَّشابه ... عندهم التَّفصيل فيه نَبُه
لأنَّه لم يخل أن يكون من ... حقيقه أو من إضافه قمِن
فما من الحقيقيّ غير لازم ... تأويله عكس الإضافيِّ اللَّازم

ولكن مع فرض تسليط التأويل على المتشابه ، فلابد من مجموعة **شروط** وهي :

- فيراعى في المؤول به أوصاف ثلاثة ( 2 ) :

1. أن يرجع إلى معنى صحيح في الاعتبار، متفق عليه في الجملة بين المختلفين ويكون اللفظ المؤول قابلا له وذلك أن الاحتمال المؤول به إما أن يقبله اللفظ أولا،إذن التأويل عند الشاطبي لا يجري في كل النصوص ، وهذا بخلاف ما ذهب إليه بعض أهل البدع كالباطنية ، فكادوا أن يحرفوا كلام الله بدعوى التأويل ومما يؤكد مذهبه قوله : " فإن لم يقبله فاللفظ نص لا احتمال فيه، فلا يقبل التأويل وإن قبله اللفظ فإما أن يجري على مقتضى العلم أولا فإن جرى على ذلك، فلا إشكال في اعتباره لأن اللفظ قابل له والمعنى المقصود من اللفظ لا يأباه فإطراحه إهمال لما هو ممكن الاعتبار قصداً ، وذلك غير صحيح ما لم يقم دليل آخر على إهماله أو مرجوحيته، وأما إن لم يجر على مقتضى العلم فلا يصح أن يحمله اللفظ على حاله والدليل على ذلك أنه لو صح لكان الرجوع إليه مع ترك اللفظ الظاهر رجوعا إلى العمى، ورميا في جهالة ، فهو ترك للدليل لغير شيء ، وما كان كذلك فباطل" فيفهم من كلامه السابق ،أنه يشير إلى ما تعارف عليه

---

[1] المرافق على الموافق ج 1 / 403

[2] ينظر بعض هذه الضوابط الذي لابد من مراعاتها عند الخوض في مجال التأويل الصحيح : مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم 1 / 49 ـ 50 ( اختصارمحمد بن الموصلي ت [ 774 هـ ] ،قرأه وعلّق عليه الحسن بن عبد الرحمان العلوي الطبعة الأولى 1425 هـ ـ 2004 م ، أضواء السلف ) ، إرشاد الفحول للشوكاني 2 / 759 ، ( تحقيق سامي العربي ، الطبعة الأولى 1421 هـ ـ 200م ، دار الفضيلة ) ، بحث الدكتور أحمد لوح " جناية التأويل الفاسد " ص 13 ـ 17 ، أصول التفسير للعك ص 58 ـ 60 ، تفسير النصوص في الفقه الإسلامي للدكتور محمد أديب صالح 1 / 380 ـ 385 ( الطبعة الرابعة 1413 هـ ـ 1993 م ، المكتب الإسلامي )

الأصـــوليين وغيـــرهم مـــن المفسرين ، إلى ما يعرف عندهم بـــ " التأويل الصحيح أو التأويل الفاسد"

2. ثـــم قـــال : " ووجـــه ثان وهو أن التأويل إنما يسلط على الدليل لمعارضة ما هو أقوى منه ، فالناظـــر بـــين أمرين إما أن يبطل المرجوح جملة ، اعتمادا على الراجح ولا يلزم نفسه الجمع وهـــذا نظـــر يرجع إلى مثله عند التعارض على الجملة، وإما أن لا يبطله ويعتمد القول به على وجـــه فذلك الوجه إن صح واتفق عليه فذاك ، وإن لم يصح فهو نقض الغرض لأنه رام تصحيح دليله المرجوح لشيء لا يصح ، فقد أراد تصحيح الدليل بأمر باطل وذلك يقتضي بطلانه عند ما رام أن يكون صحيحا هذا خلف " .

3. ووجه ثالث وهو أن تأويل الدليل معناه أن يحمل على وجه يصح كونه دليلا في الجملة فـــردّه إلى ما لا يصح رجوع إلى أنه دليل لا يصح على وجه، وهو جمع بين النقيضين ومثاله تأويل من تأول لفظ الخليل في قوله تعالى﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلاً ١٢٥ ﴾ ([1]) بالفقير، فإن ذلك يـــصير المعنى القرآني غير صحيح ، وكذلك تأويل من تأول غوى من قوله﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ ﴾([2]) أنـــه من غوِي الفصيل ([3]) ، لعدم صحة غوى بمعنى غوي ، فهذا لا يصح فيه التأويل من جهة اللفظ والأول لا يصح فيه من جهة المعنى " ([4]) ، وهنا ملاحظة لابد منها وهي ضرورة أن يعرف المفسِّر شيئا من الصرف اللغوي ، حتى لا يقع في مثل هذه الأخطاء الشنيعة التي تبعد الناظر في القرآن عن فهم مراده ﷻ .

---

[1] سورة النساء الآية 125 ، والمعنى الخليل هنا أي مصافيًا ، ينظر الوجوه والنظائر للدامغاني ص 308

[2] سورة طه الآية 121

[3] قال البدر القرافي : هذا وإن صحَّ في لغة لكنه تفسير خبيث لعدم صحة غوى ، ينظر المرافق على الموافق ج 1 / 408 ، وقال الشاطبي : " غوي الفصل فعِل والذي في القرآن على وزن فعَلَ ، الموافقات ج 3 / 294

[4] الموافقات ج 3 / 75، ج 3 / 332 ـ 333 مشهور ، والمثال نفسه ذكره في الموافقات ج 3 / 294 ، ج 4 /229 ـ 230 مشهور

ولقد قال خطيب أهل السنة أبو محمد ابن قتيبة معلقا عن هؤلاء المحرفين للنصوص : " وفسروا القرآن بأعجب تفسير يريدون أن يردّوه إلى مذاهبهم ، ويحملوا التأويل على نحلهم ، فقال فريق منهم في قوله ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ إنه أتخم من أكل الشجرة فذهبوا إلى قول العرب " غوى الفصيل ، يغوي غوّي " إذا أكثر من شرب اللبن ([1]) ، حتى يبشَم وذلك " غوى يغوي غيًا، وقالوا في قوله تعالى ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلاً ﴿١٢٥﴾ ﴾ ، أي فقيرا إلى رحمته وجعلوه من " الخلّة " بفتح الخاء ، إستيحاشا من أن يكون الله تعالى خليلا لأحد من خلقه واحتجوا بقول زهير بن أبي سلمى المزني ([2]) :

**وإن أتاه خليلٌ يوم مسألة يقول لا غائبٌ مالي ولا حرم**

أي إن أتاه فقيرا ، فأية فضيلة في هذا القول لإبراهيم عليه السلام ؟ ، أما يعلمون أن الناس جميعا فقراء إلى الله تعالى ؟ وهل إبراهيم في " خليل الله " إلا كما قيل " موسى كليم الله " ، و" عيسى روح الله " ...." ([3]) .

---

[5] قال ابن فارس بعد أن ذكر هذا المعنى : " والمصدر الغوى قال : مُعطَّفة الأثناء ليس فصيلها برازئها درًّا و لا ميِّتٍ غوى " ، معجم مقاييس اللغة ج 4 / 400

[2] جاء في تفسير القرطبي أنه قاله مدحا لهرم بن سنان ، ينظر ج 5 / 400 ( تحقيق عبد العليم البردوني ، الطبعة الثانية ، دار الشعب القاهرة ) ، و البيت موجود بديوانه ص 60 ( إعتنى به وشرحه حمدو طمّاس ، الطبعة الثانية 1426 هـ ـ 2005 م ، دار المعرفة ـ بيروت ـ ) ، الكتاب لسيبويه 3 / 66 ( تحقيق عبد السلام محمد هارون ،الطبعة الثالثة 1408 هـ ـ 1988 م ، مكتبة الخانجي القاهرة ) ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي 3 / 118 ( تحقيق الدكتور أحمد محمّد الخراط ـ دار القلم )

[3] تأويل مختلف الحديث ص 69 ـ 70 ، تأويل مشكل القرآن 402 ـ 403 ، مناهج اللغويين في تقرير العقيدة لمحمد الشيخ ص 69 ،و قال الزجاج ت ( 311 هـ ) : " وقيل أيضا الخليل الفقير ، فجائز أن يكون فقير الله ، أي الذي لم يجعل فقره إلا لله مخلصا في ذلك ، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ [ فاطر: 15 ] " معاني القرآن للزجاج 2 /112

ولقد نظم صاحب المرافق كلّ ذلك فقال ([1]) :

**وإن تسلَّط فَراع أوصاف لدى المؤوَّل به لا إخلاف**
**رجوعه يرى إلى معنىً صحيح وقابل له مؤوَّل رجيح**



[1] المرافق على الموافق ج1 / 406 ـ407

# المبحث الرابع
## ـ الظاهر والباطن في القرآن العزيز ـ

قال ابن العربي حين كلامه على أقسام العلوم : " ... وأما انقسامها إلى ظاهر وباطن فالظَّاهر كاللُّغات و تفسيرها ، والقراءات و تقييدها ، و الباطن كعلم أصول الفقه مثلا ..
ونعنـــي بالظَّاهر الآن ما تبادَر إلى الأفهام من الألفاظ ، ونعني بالباطن ما يفتقر إلى نظر ، فإذا تأملنا الألفاظ التي هي ظاهر طريق العلم بالمعنى ، فهي متعلقات كثيرة جدا متشعبة.. " ( [1] ) .

لقـــد تحدث الإمام الشاطبي على هذا الأمر الخطير الذي لم يُفوته ، فقال في المقدمة التاسعة من مقدماتـــه التـــي ابتدأ بها كتابه الموافقات ؛ التي قسم فيها ـــ رحمه الله ـــ العلم إلى أقسام بديعة وهي ثلاثـــة ، لـــم يسبقه أحد إلى ذلك ، فجعل العلوم ما هو من صُلبه بحيث لا يمكن أن ينفصل عنه أبـــدا ومنه ما هو مجرَّد مُلح ، وقسم آخر لا ينتمي بالإطلاق إلى القسمين السابقين فهو ليس من صـــلبه أو ملحه ( [2] ) ، ومن هذا القسم الأخير الذي لا يرجع إلى أصل قطعِّي أو ظنيِّ ، أخبرنا عـــن ما يعرف بانتحال الباطنية في كتاب الله ، بحيث أن هذه الطائفة قد أخرجت القرآن الكريم عـــن ظاهره المراد به ؛ وقالت : " بأن المقصود من هذا الكلام الرباني ما ، وراء الظاهر ولا سبيل إلى نيله بعقل و لا نظر( [3] ) ؛ وإنما ينال من الإمام المعصوم تقليدا لذلك الإمام واستنادهم في جملة من دعاويهم إلى علم الحروف ؛ وعلم النجوم ؛ ولقد اتسع الخرق في الأزمنة المتأخرة علـــى الراقع ، فكثرت الدعاوى على الشريعة بأمثال ما ادَّعاه الباطنية ، حتى آل ذلك إلى مالا

---

[1] قانون التأويل ص 191

[2] قال ماء العينين : و العلم من صُلبٍ ومن مُلح ولا صُلب ولا ملح ثلاثةٌ جلا
فأوَّل قطعية ثان بظنٍ وثالثٌ لا منهما يُرى بفن ( المرافق على الموافق ج 1 / 48 )

[3] يشير الشاطبي ـ رحمه الله ـ إلى قاعدة هامة في هذا الباب ألا وهي : أنه لايجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه وللتوسع في شرح القاعدة ينظر قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي ج 1 /137 ـ 158

يُعقل على حال ، فضلا عن غير ذلك ...." ([1]) .

قال الباحث طاهر محمود محمد يعقوب ، حول موضوع عصمة الإمام : " ..فيقال لهم ؛ بما علمتم عصمته ؟ فالعصمة مما لا يعلم بالعقل ، فإن العقل ليس فيه دلالة على عصمة من يدعونه إمامًا أضف إلى ذلك أنهم لا يعتمدون على حجج العقول مع وجود الإمام المعصوم ، وكذلك ليس في الكتاب ولا في السنة ولا في الإجماع دلالة على عصمة من يسمونه إماما ، والواقع ينفي القول بعصمة هؤلاء .. " ([2]) .

وقال في كتاب الأدلة الشرعية حين بيَّن أن الصحابة ﷺ لا يجتمعون على خطأ :

" وكثيرا ما تجد أهل البدع والضلالة يستدلون بالكتاب والسنة، يحملونهما مذاهبهم ، ويغبّرون بمشتبهاتهما في وجوه العامة ، ويظنون أنهم على شيء ولذلك أمثلة كثيرة كالاستدلالات الباطنية على سوء مذاهبهم بما هو شهير في النقل عنه.. " ([3]) .

قال :" من الناس من زعم أن للقرآن ظاهرًا ، وباطنًا ، وربما نقلوا في ذلك بعض الأحاديث والآثار ؛ فعن الحسن مما أرسله عن النبي ﷺ أنه قال "ما أنزل الله آية إلا ولها ظهر وبطن ــ بمعنى ظاهر وباطن ــ وكل حرفٍ حدٌّ وكل حدٍّ مطلَعٌ " ([4]) وفسر بأن الظهر والظاهر هو ظاهر التلاوة ، والباطن هو الفهم عن الله لمراده ، لأن الله تعالى قال﴿ **فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا**

---

[1] الموافقات ج 1 / 60 ، ج 1 / 121 ـ 122

[2] أسباب الخطأ في التفسير ج 2 / 782

[3] الموافقات ج 3 / 52 ، ج 3 / 281 ـ 282

[4] وهناك حديث آخر ضعيف بنحوه عن ابن مسعود ﷺ مرفوعا بلفظ: " أنزل القرآن على سبعة أحرف ، لكلٍّ حرف منها ظهر وبطنٌ ، ولكلٍّ حرف حدّ ولكلٍّ حدّ مطلع " ؛ ينظر ضعيف الجامع الصغير وزيادته للألباني رقم ( 1338 ) ج 2 / 193 ( المكتب الإسلامي ) ، سلسلة الأحاديث الضعيفة له أيضا رقم ( 2989 ) المجلد 6 / 559 ـ 560 ( الطبعة الأولى 1421 هـ ـ 2000م ، مكتبة المعارف بالرياض ) ، موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة رقم ( 6335 ) ج 2 / 133 ( إعداد علي حسن الحلبي ومعاونيه ، الطبعة الأولى 1419 هـ ـ 1999 م ، مكتبة المعارف بابرياض )

﴿ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾[1] ، والمعنى لا يفهمون عن الله مراده من الخطاب ، ولم يُرد أنهم لا يفهمون نفس الكلام ،كيف وهو منزل بلسانهم ؟ ولكن لم يحظوا بفهم مراد الله من الكلام ، وكأن هذا هو معنى ما روي عن عليٍّ أنه سئل هل عندكم كتاب ؟ فقال : لا ؛ إلا كتاب الله ، أو فهم أعطيه رجل مسلم ، أو ما في هذه الصحيفة ، و إليه يرجع تفسير الحسن للحديث ، إذ قال : الظهر هو الظاهر ، و الباطن هو السر ، وقال تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[2] فظاهر المعنى شيء وهم عارفون به ، لأنهم عرب ،والمراد شيء آخر وهو الذي لا شك فيه أنه من عند الله ، وإذا حصل التدبر لم يوجد في القرآن اختلاف ألبتة ، فهذا الوجه الذي من جهته يفهم الاتفاق وينزاح الاختلاف هو الباطن المشار إليه، ولمَّا قالوا في الحسنة﴿ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ ([3]) وفي السيئة هذا من عند رسول الله بيَّن لهم أن كلا من عند الله وأنهم لا يفقهون ، حديثا لكن بين الوجه الذي يتنزل عليه أن كلا من عند الله بقوله ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ﴾ ([4]) وقال تعالى﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[5] فالتدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد وذلك ظاهر في أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن فلم يحصل منهم تدبر؛ قال الناظم ([6]) :

وأنَّ للقُرآن ظاهِرًا زعم بعضُهم باطنًا قد يُرتَسم

[1] سورة النساء الآية 78

[2] سورة النساء الآية 82

[3] سورة البقرة الآية 79

[4] جزء آية من سورة النساء 79

[5] سورة محمد الآية 24

[6] المرافق على الموافق ج2 / 552

قال الشيخ الإمام أحمد ابن عمر القرطبي ــ رحمه الله ــ مخبرا عن شيخه أبي العباس : " ذهب قوم من زنادقة الباطنية إلى سلوك طريق تلزم منه هدم الأحكام الشرعية ، فقالوا هذه الأحكام الشرعية العامة إنما يُحكم بها على الأغبياء و العامَّة ، وأما الأولياء ، وأهل الخصوص فلا يحتاجون إلى تلك النصوص ، بل إنما يراد منهم ما بقع في قلوبهم و يُحكم عليهم بما يغلب على خواطرهم ... وهذه القول ، زندقة وكفر يقتل قائله و لا يستتاب ، لأنه إنكار ما علم من الشرائع .." ([1]) .

قال محمد يعقوب في معرض ردِّه على هؤلاء الباطنية : " ...الحكيم ، أي الله عز وجل لا يجوز أن يخاطب الناس بخطاب و يريد به معنى لا يُفيده ذلك الخطاب ، لأنه لا يخلوا إما أن يريد من المكلفين معرفة مراده بخطابه أو لا ، فإن أراد ذلك إما أن يبيِّن لهم مراده بخطاب آخر أو لا يبيِّن ،فإن بيَّنه فلا يخلوا إما أن تصح معرفة المراد بظاهر هذا الخطاب الجديد أو لا تصح ، فإن صحَّت بطُل القول بأن لكل ظاهر باطن ، و يترتب عليه أن يكون الخطاب الأول عبثا .." ( [2] ) .

قال ابن العربي : " ..وأما علم الباطن ( [3] ) ، فقد ضلَّت فيه الأمَم فأوغَدوا في هذا الباب و أوعَدوا حتى كفرت منهم طائفة لا يُحكى قولها الآن لسخافتِه ، تسوَّرت عليه أخرى و ادَّعى كلٌّ واحدٍ منهم أن علمه في كتاب الله ليحرِّض عليه من يطلبهُ .." ([4]) .

قال بعضهم الكلام في القرآن على ضربين :

**أحدهما :** يكون برواية فليس يعتبر فيها إلا النقل

**والآخر:** يقع بفهم فليس يكون إلا بلسان من الحق إظهار حكمة على لسان العبد وهذا الكلام

---

[1] الجامع لأحكام القرآن ج 11 / 40

[2] أسباب الخطأ في التفسير ج 2 / 782

[3] جاء في تعريفه : " أنه معرفة أحوال القلب والتخلية والتحلية ، وهذا العلم يعبر عنه بعلم الطريقة والحقيقة أيضا ، واشتهر علم التصوف به .. " ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ج 1 / 219

[4] قانون التأويل ص 196

يشير إلى معنى كلام عليّ ، وحاصل هذا الكلام أن المراد بالظاهر، هو المفهوم العربي والباطن هو مراد الله تعالى من كلامه وخطابه ، فإن كان مراد من أطلق هذه العبارة ما فسر فصحيح ولا نزاع فيه ؛ وإن أرادوا غير ذلك فهو إثبات أمر زائد على ما كان معلوما عند الصحابة ومن بعدهم ، فلا بد من دليل قطعي يثبت هذه الدعوى لأنها أصل يحكم به على تفسير الكتاب ، فلا يكون ظنيا وما استدل به إنما غايته إذا صحَّ سنده أن ينتظم في سلك المراسيل .... " ([1]) .

ونظمها ماء العينين ([2]) :

**وبعضُهم قال الكلامُ في الكِتَاب ضَربان نقلٌ أو بريّ فهم أصاب**

أما عن **شروط قبول الباطن** فيكون هو المراد من الخطاب فقال : " وكون الباطن هو المراد من الخطاب ولكن يشترط فيه شرطان :

**أحدهما** أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب ، ويجري على المقاصد العربية **والثاني** أن يكون له شاهد نصا أو ظاهرا في محل آخر يشهد لصحته من غير معارض فأما الأول فظاهر من قاعدة لكون القرآن عربيا ؛ فإنه لو كان له فهم لا يقتضيه كلام العرب لم يوصف بكونه عربيا بإطلاق ... وما كان كذلك فلا يصح أن ينسب إليه أصلا ...

وأما الثاني فلأنه إن لم يكن له شاهد في محل آخر أو كان له معارض صار من جملة الدعاوى التي تدعى على القرآن ، والدعوى المجردة غير مقبولة باتفاق العلماء ، و هذا بخلاف ما فسر به الباطنية فإنه ليس من علم الباطن ، كما أنه ليس من علم الظاهر...." ([3]) ، فهذين الشرطين أساسين ومهمين ؛ لابد من الاستقرار عليهما ، والاستعانة بهما لكي يستطيع فهم مراد الله تعالى

---

[1] الموافقات ج 3/ 207 ، ج 4 / 210

[2] المرافق على الموافق ج2 /552

[3] الموافقات ج 3 / 295 ، ج 4 / 232

ـ بإذن الله ـ فينزاح بتحققهما دعاوى الباطنية الزائغين الذين يدعون أن تأويلاتهم الفاسدة هي مراد الله ﷻ .

قال ابن عطية : " وأثبتُّ أقوال العلماء في المعاني منسوبة إليهم ، على ما تلقى السلف الصالح ﷺ كتاب الله تعالى من مقاصده العربية ، السليمة من إلحاد أهل القول بالرموز ، وأهل القول بعلم الباطن ... " ([1]) .

**أمثلة عن تفاسير الباطنية :**

ضرب لنا الإمام الشاطبي على ذلك عدة أمثلة منها : قولهم في قوله تعالى ﴿ **وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ** ﴾([2]) إنـــه الإمـــام ورث النبي علمه ، وقالوا في " **الجنابة** " إن معناها مبادرة المستجيب بإفـشاء الـــسر إليه قبل أن ينال رتبة الاستحقاق ؛ ومعنى " **الغسل** " تجديد العهد على من فعل ذلـــك ، ومعنـــى " **الطهور**" هو التبري والتنظف من اعتقاد كل مذهب سوى متابعة الإمام ، و" **الكعـــبة** " النبي ، و " **الباب** " ([3]) عليٍّ و " **الصفا** " هو النبي ، و " **المروة** " عليٍّ ، و " **المن** "علم نزل من السماء ، و" **السلوى** " داع من الدعاة ، و" **تسبيح الجبال** " ([4]) رجال شداد في

---

[1] ينظر المحرر الوجيز ج 1 / 10 ـ 11

[2] جزء آية من سورة النمل 16

[3] لعلهم يستندون في ذلك إلى حديث موضوع على النبيﷺ " أنا مدينة العلم ، و عليٌّ بابها ... " ، و الغريب أن الحاكم صححه في المستدرك رقم ( 4700 ) ، ( 4701 ) ، ولقد تعقب الذهبي هذا الأخير قائلا : " العجب من الحاكم وجرأته في تصحيحه هذا وأمثاله من البواطيل ..." ينظر مستدرك الحاكم ج 3 / 147 ـ 148 ، ومثله الشوكاني فبعد عرض طرقه حسنه ، وأنظر رد المعلمي عليه في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني بتحقيق عبد الرحمان بن يحي المعلمي ص 311 ـ 315، ( الطبعة الأولى 1423هـ ـ 2002م ) دار الآثار، وقد أفاضا كلّ من ابن الجوزي في الموضوعات ج 2 / 110ـ 118( حقق نصوصه وعلّق عليه الدكتور نور الدِّين بن شكري بن علي جيلار ، الطبعة الأولى 1418 هـ ـ 1998 م ، أضواء السلف ـ الرياض ـ ) ؛ و الألباني في السلسلة الضعيفة بتخريجه ينظر رقم ( 2955 ) ج 6 / 518 ـ 530

[4] قال الشنقيطي :" والتحقيق أن تسبيح الجبال و الطير مع داود المذكور تسبيح حقيقي ، لأن الله جلَّ وعلا يجعل لها إدراكات تسبح بها ، يعلمها هو جلَّ وعلا ونحن لا نعلمها ...والقاعدة المقررة عند العلماء : أن نصوص الكتاب و السنة لا يجوز صرفها عن =

الـــدين إلـــى ســـائر ما نقل من خباطهم الذي هو عين الخبال ، وضُحكة السامع نعوذ بالله من الخذلان

قـــال القتبى ([1]) : وكان بعض أهل الأدب يقول : ما أشبه تفسير الروافض للقرآن إلا بتأويل رجـــل مـــن أهل مكة للشعر! فإنه قال ذات يوم ما سمعت بأكذب من بني تميم زعموا أن قول القائل :

**بـــــــيت زرارة مُحـــــــتب بفـــــــنائه ومُجاشـــــعٌ وأبـــــو الفـــــوارس نهـــــشلُ**

إنـــه فـــي رجـــل مـــنهم قيل له فما تقول أنت فيه ؟ قال البيت : بيت الله ، وزرارة الحج قيل فمجاشـــع ؟ قال زمزم جشعت بالماء ، قيل فأبو الفوراس ؟ قال أبو قبيس ؛ قيل فنهشل ؟ قال نهشل أشده وصمت ساعة ، ثم قال نعم نهشل مصباح الكعبة لأنه طويل أسود فذلك نهشل انتهى ما حكاه " ([2]) .

قال الشاطبي : " .. فإن الناس في أمثال هذه الأشياء بين قائلين :

منهم من يصدق به ، ويأخذه على ظاهره ؛ ويعتقد أن ذلك هو مراد الله تعالى من كتابه ، وإذا عارضه ما ينقل في كتب التفسير على خلافة فربما كذب به أو أشكل عليه ؛ ومنهم من يكذب بـــه على الإطلاق ، ويرى أنه تقول وبهتان ، مثل ما تقدم من تفسير الباطنية ومن حذا حذوهم وكلا الطريقين فيه ميل عن الإنصاف ولا بد قبل الخوض في رفع الإشكال من تقديم أصل مسلَّم يتبين به ما جاء من هذا القبيل .." ([3]) .

---

= ظاهرها المتبادر منها إلا بدليل يجب الرجوع إليه .." ( أضواء البيان ج 4 / 508 ـ 509 )

[1] هو ابن قتيبة ، و أنظر الحكاية في تأويل مختلف الحديث ص 72 ، وقال بعد ذكرها : وهم أكثر أهل البدع افتراقا و نحلا ، ( دار الجيل بيروت ، طبعة عام 1393 هـ ـ 1972 م ، صححها و ضبطها محمد زهري النجار )

[2] الموافقات ج 3 / 295 ـ 296 ، ج 4 / 234

[3] نفس المصدر ج 3 / 302 ، ج 4 / 252

قال صاحب "المرافق على الموافق" ([1]) :

وكـــــون بـــــاطن هـــــو المـــــراد ... مـــــن الخطـــــاب قالـــــهُ الأوتـــــاد
وقـــــيل مـــــشروطٌ بـــــشرطين يـــــصح ... علـــــى الـــــذي اقتـــــضاه ظاهـــــرٌ شـــــرح
وأن يكـــــون شـــــاهدٌ لـــــه بـــــنص ... أو ظاهـــــرٌ لـــــه محـــــلٌّ قـــــد يَـــــنُص

إذن مـــن تلك الأمثلة يتبين لنا مدى التحريف الذي لحق كتاب الله ﷻ ، فلهذا اعتبر أبي حامد الغزالي كلٌّ ذلك من الطامات وهو يتحدث عن شطحات الصوفية فقال : " .. وأمر آخر يخصها وهـــو صـــرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة ، كدأب الباطنية في التأويلات : فهذا أيضا حرام وضرره عظيم ، فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعوا إليه مـــن دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ و سقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، فإن ما يسبق منه إلى الفهم لا يوثق به و الباطن لا ضبط له ؛ بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى .... " ([2]) .

وهـــنا أود ذكر كلام لابن قيم الجوزية ، وهو يوضح لنا الذين يتبعون مثل هذه الأقوال التي لم ينـــزل الله بهـــا من سلطان ، فهاهو بقول : " سبحان الله !ماذا حرم المعرضون عن نصوص الوحـــي واقتباس الهدى من مشكاتها من الكنوز والذخائر، وماذا فاتهم من حياة القلوب واستنارة البصائر، قنعوا بأقوال استنبطوها بمعاول الآراء فكرا وتقطعوا أمرهم بينهم لأجلها زبرا وأوحى بعـــضهم إلـــى بعض زخرف القول غرورا، فاتخذوا الأجل ذلك القرآن مهجورا درست معالم القـــرآن في قلوبهم فليسوا يعرفونها ودثرت معاهدة عندهم فليسوا يعمرونها ووقعت أعلامه من أيـــديهم فليسوا يرفعونها وأفلت كواكبه من آفاقهم فليسوا يبصرونها، وكسفت شمسه عند اجتماع ظلـــم آرائهم وعقدها فليسوا يثبتونها، خلعوا نصوص الوحي عن سلطان الحقيقة وعزلوها عن ولاية اليقين وشنوا عليها غارات التحريف بالتأويلات الباطلة فلا يزال يخرج عليها من جيوشهم

[1] المرافق على الموافق ج 2 / 563 ـ564

[2] ينظر إحياء علوم الدين ج 1 / 37

المخذولة كمين بعد كمين ، نزلت عليهم نزول الضيف على أقوام لئام فعاملوها بغير ما يليق بها من الإجلال والإكرام وتلقوها من بعيد ولكن بالدفع في صدورها والأعجاز ..... أفيظن المعرض عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن ينجو غدا بآراء الرجال ويخلص من مطالبة الله تعالى له بكثرة البحوث والجدال أو ضروب الأقيسة وتنوع الأشكال أو بالشطحات والمشارات وأنواع الخيال؟!! ، هيهات والله لقد ظن أكذب الظن ومنى نفسه أبين المحال .. " ([1]) .

والدليل على بطلان هذا النوع من التفاسير هو الأوجه الآتية ( [2] ) :

" ـــ إنه تفسير يقوم على عقيدة التحلل من التكاليف الشرعية ، والرفض للشرائع والأحكام من حيث الحقيقة والواقع ؛ وفي هذا نقض بناء الشريعة ، وحل عرى الإسلام .

ـ إنه يجعل القرآن ملهاة ، يفسره كلٌ مفسر بما شاء له ضلاله وهواه .

ـ إنه يفك عقد المسلمين ، ويفرِّق جماعتهم من جراءفقدان ضوابط تفسير القرآن الكريم "

**<u>التفسير الإشاري أو الباطن المقبول</u>**

**تعريفه :**

عرفه الباحث محمد حسين الذهبي بقوله : " هو تأويل آيات القرآن على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك ، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة " ([3])

قال الشاطبي : " فعن ابن عباس قال : كان عمر يدخلني مع أصحاب النبي ﷺ فقال له عبد الرحمن بن عوف : أتدخله ولنا بنون مثله ؟ فقال له عمر: إنه من حيث تعلم فسألني عن هذه

---

[1] اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو والمعطلة و الجهمية ص41 ـ 42 بتصرف ( الطبعة الأولى 1404هـ ـ 1984م ، دار الكتب العلمية بيروت ) ، ص 47 ـ 48 ( تحقيق وتعليق وإخراج الأحاديث لبشير محمّد عيون ، الطبعة الثالثة 1421 هـ ـ 2001 م ، مكتبة دار البيان ـ دمشق ـ )

[2] ينظر الواضح في علوم القرآن للدكتور مصطفى ديب البغا ـ محي الدين ديب مستو ص 239

[3] ينظر علم التفسير لمحمد حسين الذهبي ص 70 ، إتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري لفهد الرومي ج 1 / 390 مجلة الموافقات ص 373 ،( العدد الأول ذو الحجة 1412هـ ـ جوان 1992م )

الآية ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ ﴾ ([1]) فقلت: إنما هو أَجَل رسول الله ﷺ أعلمه إياه ، وقــرأ السورة إلى آخرها ، فقال عمر : والله ما أعلم منها إلا ما تعلم ، فظاهر هذه السورة أن الله أمــر نبيه ﷺ أن يسبح بحمد ربِّه ويستغفره إذا نصره الله وفتح عليه ، وباطنها أن الله نعى إليه نفسه ، ولما نزل قوله تعالى﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾([2]) الآية! ، فرِّح الصحابة وبكى عمر، وقال: ما بعد الكمال إلا النقصان ، مستشعرًا نعيه عليه الصلاة والسلام ، فما عاش بعدها إلا أحــدًا وثمانــين يــومًا، وقــال تعالى﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ﴾ ([3]) ، قال الكفار: ما بال العنكبوت والذباب يذكر في القرآن؟ ما هذا كلام الإله، فنزل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ ﴾ ([4]) فأخذوا بمجرد الظاهر،

---

[1] سورة النصر الآية 01، والحديث أخرجه كلّ من البخاري كتاب المغازي رقم ( 4294 ) ج 5/ 112 ـ 113 ، رقم ( 4430 ) ج 5 / 161 ، كتاب التفسير رقم ( 4970 ) ج 6/ 408ـ 409، الترمذي كتاب التفسير باب ـ ومن سورة النصر ـ رقم ( 2362) ج 5 / 419ـ 420،النسائي في سننه الكبرى ؛ كتاب وفاة النبي ﷺ رقم ( 7040 ) ج 6/ 379، وفي كتاب التفسير من السنن الكبرى رقم ( 11647 ) ج 10 / 348ـ 349أحمد في المسند رقم ( 3127) ج 1/ 231 ـ 232، مختصر صحيح البخاري للألباني رقم ( 2008 ) ج 3 / 329 ـ 330، صحيح سنن الترمذي للألباني رقم ( 3362) ج 3/ 377 ـ 378 ، عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ

[2] جزء لآية 03 من سورة المائدة

[3] سورة العنكبوت الآية 41

[4] سورة البقرة الآية 26

ولم ينظروا في المراد، فقال تعالى﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ . ﴾ [1] ..." [2] .

وهنا لفتة للشيخ ابن القيم إذ يقول : " ... وهذا جواب اعتراض اعترض به الكفار على القرآن وقالوا : إن الرب أعظم من أن يذكر الذباب والعنكبوت ونحوها من الحيوانات الخسيسة ؛ ... فإن ضرب الأمثال بالبعوضة فما فوقها إذا تضمن تحقيق الحق وإيضاحه وإبطال الباطل وإدحاضه كان من أحسن الأشياء ، والحسن لا يستحيا منه ، فهذا جواب الاعتراض .

فكأن معترضا اعترض على هذا الجواب أو طلب حكمة ذلك ؛ فأخبر تعالى عمَّا له في ضرب تلك الأمثال من الحكمة ، وهي إضلال من شاء وهداية من شاء " ( [3] ) .

وبعد هذا العرض لابد من إيضاح الفرق بين التفسير الإشاري و بين التحريف الباطني فهاهو عبد العظيم الزرقاني يقول : " .. ومن هنا يعلم الفرق بين تفسير الصوفية ، المسمى بالتفسير الإشاري ، وبين تفسير الباطنية الملاحدة ، فالصوفية لا يمنعون إرادة الظاهر بل يحضون عليه و يقولون : لابد منه أولا ؛ إذ من ادعى فهم أسرار القرآن و لم يحكم الظاهر ، كمن ادعى بلوغ سطح البيت قبل أن يجاوز الباب ، وأما الباطنية ؛ فإنهم يقولون : إن الظاهر غير مراد أصلا ، وإنما المراد الباطن و قصدهم نفي الشريعة من أصلها " ( [4] ) .

---

[1] سورة البقرة الآية 26

[2] ينظر الموافقات ج 4 / 210 ـ 212 ، وهناك روايات أخرى في سبب نزول هذه الآية ينظرها في :تفسير ابن أبي حاتم ج 1 / 68 ـ 69 ، تفسير ابن كثير ج 1 / 158 ـ159 ، تفسير أبي المظفَّر السمعاني ج 1 / 60 ـ61 ،المحرر الوجيز لابن عطية ج 1 / 110، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ج 1 / 129 ـ 130 ،اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي ج 1 / 459 ـ 460 لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص 11 ـ 13 ( مطبوع بهامش تفسير الجلالين ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ) ،روح المعاني للألوسي ج 1 / 206 ، أسباب النزول أسانيدها وآثرها في تفسير القرآن للباحث الشيخ بن جمعة سهل ص 85 ،

[3] ينظر بدائع الفوائد ج 4 / 911 ـ 912 ، بدائع التفسير ج 1 / 113 ، الضوء المنيرعلى التفسير ج 1 / 188 ( جمع علي الحمد المحمّد الصالحي ، دون رقم الطبعة ـ منشورات مؤسسة النور بعنيزة )

[4] مناهل العرفان ج 1 / 498، الثابت و المتغير ص 486

وعن **شروط التفسير الإشاري** لقبوله ، كما ذكرها خالد العك :

- ألا يكون التفسير الإشاري يتنافى وما يظهر من معنى النظم القرآني .
- ألا يدعي أنه هو المراد وحده دون الظاهر ، أو باقي وجوه التفسير .
- ألا يكون له معارض شرعي أو عقلي .
- أن يكون له شاهد شرعي يؤيده .

فهـــذه هـــي الشروط الواجب إتباعها حين النظر في التفسير الإشاري ، فإذا توفرت كان الأمر مقبولا ، وإن فقدت كان مرفوضا .." ([1]) .

وقال العلامة ابن القيم : " وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول: تفسير على اللفظ وهو الذي ينحو إليه المتأخر ون، وتفسير على المعنى وهو الذي يذكره السلف وتفسير على الإشارة والقياس وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم وهذا لا بأس به بأربعة شرائط :

ـــ أن لا يناقض معنى الآية .

ـــ وأن يكون معنى صحيحا في نفسه .

ـــ وأن يكون في اللفظ إشعار به.

ـــــ وأن يكـــون بيـــنه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم، فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطا حسنا " ([2]) .

وقـــال القطان أيضا : " .... وهذا التفسير الإشاري كذلك إذا أوغل في الإشارات الخفية صار ضربًا من التجهيل ، ولكنه إذا كان استنباطا حسنا يوافق مقتضى ظاهر العربية ، وكان له شاهد يشهد لصحته من غير معارض فإنه يكون مقبولا " ([3]) .

---

[1] أصول التفسير وقواعده ص 208 ، مناهل العرفان ج 1 / 500 ، إتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري لفهد الرومي ج 1 / 398

[2] ينظر التبيان في أقسام القرآن ص 50 ، (دار الفكر د.ت الطبع)

[3] مباحث في علوم القرآن ص 357 ، المقدمات الأساسية في علوم القرآن للجديع ص 379 ، ينظر الواضح في علوم القرآن للدكتور مصطفى ديب البغا ـ محي الدين ديب مستو ص 240

**تفسيرات سهل بن عبد الله التستري ( [1] ) و توجيهها :**

" ومن ذلك أنه نقل عن سهل بن عبد الله في فهم القرآن أشياء مما يعد من باطنه، فقد ذكر عنه أنه قال في قوله تعالى﴿ **فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا** ﴾ ([2]) أي أضدادا قال : " وأكبر الأنداد النفس الأمارة بالسوء الطواعة إلى حظوظها ومنهيها بغير هدى من الله وهذا يشير إلى أن النفس الأمارة داخلة تحت عموم الأنداد

قال الشاطبي : " وهذا مشكل الظاهر جدا إذ كان مساق الآية ومحصول القرائن فيها يدل على أن الأنداد الأصنام ومحصول القرائن فيها يدل على أن الأنداد الأصنام أو غيرها مما كانوا يعبدون ، ولم يكونوا يعبدون أنفسهم ، ولا يتخذونها أربابًا ؛ ولكن له وجه جار على الصحة ، وذلك أنه لم يقل إن هذا هو تفسير الآية ولكن أتى بما هو ند في الاعتبار الشرعي الذي شهد له القرآن من جهتين :

**إحداهما** أن الناظر قد يأخذ من معنى الآية معنى من باب الاعتبار، فيجريه فيما لم تنزل فيه ، لأنه يجامعه في القصد أو يقاربه ، لأن حقيقة الند أنه المضاد لنده الجاري على مناقضته ، والنفس الأمارة هذا شأنها ، لأنها تأمر صاحبها بمراعاة حظوظها لاهيةً أو صادة عن مراعاة حقوق خالقها ، وهذا هو الذي يعنى به الند في نده ، لأن الأصنام نصبوها لهذا المعنى بعينه ، وشاهد صحة هذا الاعتبار قوله تعالى ﴿ ۝٣١ **ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ** ﴾ ([3]) وهم لم يعبدوهم من دون الله ولكنهم ائتمروا بأوامرهم ، وانتهوا عما نهوهم عنه كيف كان فما

---

[1] هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري ،بضم التاء المثناة من فوقها وسكون السين المهملة ، ولد عام 200 هـ ـ 815م ، أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال . له كتاب في ( تفسير القرآن – ط ) مختصر ، وكتاب ( رقائق المحبين ) وغير ذلك ، توفي سنة 283 هـ ـ 896 م ، ينظر شذرات الذهب لابن العماد ج 3 / 342 ـ 345، وفيات الأعيان ج 2 / 429ـ 430 ،الأعلام ج 3 / 143 ، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة 2 / 1017 ـ 1018

نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء لعقيل موسى ج 2 / 980 ـ 981 ، رقم ترجمته ( 570 )

[2] سورة البقرة الآية 22

[3] سورة التوبة الآية 31

حـــرموا علـــيه حرموه ، وما أباحوا لهم حللوه .... وهذا شأن المتبع لهوى نفسه **والثانية** : أن الآيـــة وإن نزلت في أهل الأصنام ، فإن لأهل الإسلام فيها نظرًا بالنسبة إليهم ألا ترى أن عمر ابـــن الخطاب قال لبعض من توسع في الدنيا من أهل الإيمان أين تذهب بكم هذه الآية ﴿ **أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا** ﴾ ([1]) وكـــان هو يعتبر نفسه بها، وإنما أنزلت في الكفار لقوله ﴿ **وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ** ﴾ الآية .... فإذا كان كذلك صح التنزيل بالنسبة إلى النفس الأمارة.." .

قـــال الـــباحث محمد دراجي : " وهكذا يقف الشاطبي من التفسير الإشاري موقفا وسطًا خلافا لمـــن يقـــبل كل ما ورد منهم ويراه هو الحق حتى ولو كان يخالف ظاهر القرآن وفريق آخر يردُّه بإطلاق ويكذب به ويلحقُه بتفسيرات الباطنية المرفوضة ، ويرى أن كلا الموقفين فيه ميلٌ عن الإنصاف وللحكم فلا بُد من مراعاة الشرطين السابقين .... " ([2]) .

ويمكـــن جمع ما ذكره الشاطبي عن أقوال التستري وأمثاله من المتصوفة في كلمة للمفسر ابن جزي ت ( 741 هـــ ) إذ قال : " ... و أما التصوف فله تعلق بالقرآن ، لما ورد في القرآن مـــن المعارف الإلهية ورياضة النفوس وتنوير القلوب ؛ وتطهيرها باكتساب الأخلاق الحميدة ، واجتـــناب الأخلاق الذميمة ، وقد تكلمت المتصوفة في تفسير القرآن ، فمنهم من أحسن وأجاد ، ووصـــل بـــنور بـــصيرته إلى دقائق المعاني ، ووقف على حقيقة المراد ومنهم من توغل في الباطنية ، وحمل القرآن على ما لا تقتضيه اللغة العربية .. " ([3]) .

وكخلاصـــة لما سبق يؤكد الشاطبي تغمده الله برحمته الواسعة ، على ضرورة أن يكون المفسِّر لكـــتاب الله ﷻ على منهج وسط ،فلا يقف عند الظاهر فقط ،بل عليه بمعرفة المقاصد الخاصة

---

[1] سورة الأحقاف الآية 20

[2] منهج التفسير عند الشاطبي ، مقال في مجلة الموافقات الجزائرية ص 376

[3] ينظر التسهيل لعلوم التنزيل ص 8 ـ الدار العربية للكتاب ـ

بكــلِّ سورة وكلِّ آية في القرآن ، ولا يتعدى ذلك الظاهر إلى الباطن المذموم الذي يدعيه بعض الفقراء من الصوفية فيقصرون المعاني عليها فقط ،ضاربين بالظاهر ضرب الحائط ، فالسلامة لابد من أن يتبع القاعدة المعروفة لا إفراطَ و لاتفريط ، فالوسطية لابد أن تكون في كلِّ الأمور حتــى لا يــتلاعب بالقرآن الكريم ، فقال : " ربما أخذ تفسير القرآن على التوسط والاعتدال ، وعليه أكثر السلف المتقدمين ، بل ذلك شأنهم وبه كانوا أفقه الناس فيه ، وأعلم العلماء بمقاصده وبواطــنه ، وربما أخذ على أحد الطرفين الخارجين عن الاعتدال: إما على الإفراط وإما على التفــريط ([1]) ، وكــلا طرفي قصد الأمور ذميم ، فالذين أخذوه على التفريط قصروا في فهم اللــسان الذي به جاء ، وهو العربية فما قاموا في تفهم معانيه ولا قعدوا ، كما تقدم عن الباطنية وغيرها ، ولا إشكال في اطّراح التعويل على هؤلاء ، والذين أخذوه على الإفراط أيضًا قصروا فــي فهــم معانيه من جهة أخرى ....." ([2]) ويقصد بهذا الأخير أولئك الذين لم ينتهجوا ما إ عتاده العرب في كلامهم ، فإن الزيادة في التكلف لا يليق بالكلام العربي بلهَ القرآن ، والنتيجة التــي كــان يرمــي إلــيها هي قوله : " ... فالحاصل أن لكل علم عدلا وطرفا إفراطٍ وتفريطٍ والطرفان هما المذمومان ، والوسط هو المحمود " [3] ، وبيَّن ماء العينين ذلك ([4]) :

| | |
|---|---|
| وربَّمــــا أُخِــــذ تفــــسيرُ الكــــتاب | علــــى التوسُّــــط و الاعــــتدال صَــــاب |
| وذا علــــيه قــــيل أكثــــرُ الــــسَّلف | وسَــــلِمُو كُلُّهــــم مــــن الــــتَّلف |
| أمَّــــا الّــــذينَ أخــــذُوا التَّفــــريط أو | قــــد أخــــذُوا الإفــــراط عــــن خيــــر أبَــــو |

و لكــن ولله الحمد في الأولى و الآخرة فإن الشاطبي يقف عند كلِّ إشكال فيوضحه خير إيضاح حتى لا يقع أي شك في ذهن القارئ ، فهاهو يبيِّن لنا ما معنى وسطية التفسير ؟ ، فمأخذ الوسط

---

[1] الفرق بين الإفراط والتفريط : أن الإفراط يستعمل في تجاوز الحد من جانب الزيادة والكمال، والتفريط يستعمل في تجاوز الحد من جانب النقصان والتقصير ، ينظر التعريفات 49 ( لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري طبعة الأولى ،1405هـ دار الكتاب العربي ـبيروت ـ )

[2] الموافقات ج 3 / 306 ، ج 4 / 261 ـ 262

[3] المصدر نفسه ج 3 / 308، ج 4 / 264

[4] المرافق على الموافق ج 2 / 577

مجهول إذن **الضابط** الذي لابد من التعويل عليه في الفهم هو قوله : " ... فالذي يكون على بال من المستمع والمتفهم والالتفات إلى أول الكلام وآخره ، بحسب القضية وما اقتضاه الحال فيها ، لا ينظر في أولها دون آخرها ، ولا في آخرها دون أولها ، فإن القضية وإن اشتملت على جمل فبعضها متعلق بالبعض لأنها قضية واحدة نازلة في شيء واحد، فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله ، وأوله على آخره ،وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف ، فإن فرق النظر في أجزائه ، فلا يتوصل به إلى مراده ، فلا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض إلا في موطن واحد وهو النظر في فهم الظاهر بحسب اللسان العربي وما يقتضيه ، لا بحسب مقصود المتكلم فإذا صح له الظاهر على العربية ، رجع إلى نفس الكلام ، فعما قريب يبدو له منه المعنى المراد ، فعليه بالتعبد به... " ([1]) ، إذن الضابط الذي يعنيه الشاطبي هو النظر إلى السياق ، فلا يقطع الكلام المبتدأ عن الأخير ، ويمكن الإشارة هنا إلى أن الشاطبي قد سبق الكثير من المعاصرين ، في ما يُعرف اليوم بالتفسير الموضوعي ، فليتأمل كلامه القضية الواحدة مع تعدد النزول ، فالشاطبي يؤكد على لَم شمل الكلام و البحث فيه و تدبره من أجل هدف واحد ، وهو الوصول إلى معرفة مراد الله ﷻ ومما يزيدنا تأكيدا على الكلام الأخير قوله : " غير أن الكلام المنظور فيه تارة يكون واحداً بكل اعتبار، بمعنى أنه أنزل في قضية واحدة طالت أو قصرت ، وعليه أكثر سور المفصل وتارة يكون متعدداً في الاعتبار بمعنى أنه أنزل في قضايا متعددة ؛ كسورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، واقرأ باسم ربك، وأشباهها ولا علينا أنزلت السورة بكمالها دفعة واحدة، أم نزلت شيئا بعد شيء ، ولكن هذا القسم له اعتباران : **اعتبار من جهة تعدد القضايا** فتكون كل قضية مختصة بنظرها ، ومن هنالك يلتمس الفقه على وجه ظاهر لا كلام فيه، ويشترك مع هذا الاعتبار القسم الأول ؛ فلا فرق بينهما في التماس العلم والفقه

**واعتبار من جهة النظم** الذي وجدنا عليه السورة ، إذ هو ترتيب بالوحي لا مدخل فيه لآراء الرجال ، ويشترك معه أيضا القسم الأول ؛ لأنه نظم ألقي بالوحي وكلاهما لا يلتمس منه فقه

[1] الموافقات ج 3/ 309 ـ 310 ، ج 4 / 266

علـــى وجـــه ظاهـــر ، وإنما يلتمس منه ظهور بعض أوجه الإعجاز" ([1]) ، فيلاحظ في كلامه المذكور عدة أمور منها :

1. رأيه في أن أكثر سور المفصل من القرآن منزل في قضية واحدة .
2. عـــند تعدد القضايا و الحوادث فلينظر بكل واحدة على حسب ما تحتويه من نظر، ويستفاد من مثل هذا القسم الفقه و العلم .

3 ــ أمـــا نظرنا إلى القرآن من جهة نظمه باعتباره كلام واحد فهذا القسم نعرف بإذن الواحد الأحـــد إعجـــاز القرآن فمع ما احتواه من علوم ونوازل ، إلا أنه لا يوجد أي تفاوت مع أن مدة نـــزوله دامـــت أكثر من عشرين عاما ، فلو كان كلام البشر لما جاء على ذلك النسق ، فالكلام البشري يتفاوت بين الفينة و الأخرى ، فما بالك بطول كلِّ تلك الفترة الزمنية ، ومعنى النظم ([2]) هنا هو كلُّ السورة ، أما النظر إلى البعض دون الآخر ، فذلك ليس فيه كبير فائدة ، ويشير ماء العينين قائلا ([3]) :

**وضـــــابطُ الّـــــذي أخـــــذُ الوسَـــــط ... يُنظـــرُ فـــي الكَلَـــام كُـــلا لا شَـــطَط**
**لـــم يُقتـــصَر فـــيه علـــى أوَّلِـــه ... ولا علـــى آخـــره مـــن فـــصلِه**
**لأنَّـــه مختـــلفٌ مـــع اختـــلاف ... حـــالٍ ووقـــت نـــازلٍ لا ذا ائـــتلاف**
**بحـــسب القَـــضايا و انظـــر مـــا اقتـــضاه ... حـــالٌ وكُـــن مُفـــسِّرًا بمـــا اجـــتلاه**

---

[1] المصدر السابق ج 3/ 310 ، ج 4 / 266 ـ 267

[2] النظم في اللغة هو : " التأليف وضم الشيء إلى الشيء الآخر ، وكلّ شيء قربته بآخر فقد نظمته ، أما نظم القرآن فمعناه لفظه : وهي العبارة الّتي تشتمل عليها المصحاف صيغة ولغة " ، ينظر تاج العروس ج 33 / 496 ـ 499 ، التعريفات للشريف الجرجاني ص 261

[3] المرافق على الموافق ج 2 / 578

قـــال الشاطبي : " فاعتبار جهة النظم مثلا في السورة لا تتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها ، بالنظر( [1] ) فالاقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود ، كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها .... " ( [2] )

ثـــم أعطـــى بعـــد ذلك مثال فقال : " فسورة البقرة مثلا كلام واحد باعتبار النظم واحتوت على أنـــواع مـــن الكـــلام بحـــسب ما بُثَّ فيها ، منها ما هو كالمقدمات والتمهيدات بين يدي الأمر المطلـــوب ، ومـــنها ما هو كالمؤكد والمتمم ، ومنها ما هو المقصود في الإنزال ، وذلك تقرير الأحكـــام على تفاصيل الأبواب ، ومنها الخواتم العائدة على ما قبلها بالتأكيد والتثبيت وما أشبه ذلـــك ؛ ولا بـــد من تمثيل شيء من هذه الأقسام ، فبه يبين ما تقدم ، فقوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ إلى قوله ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٨٧ ﴾ ( [3] ) كلام واحد وإن نزل في أوقات شتى ، وحاصله بـــيان الصيام وأحكامه ، وكيفية آدابه وقضائه ، وسائر ما يتعلق به من الجلائل التي لا بد منها ولا ينبني إلا عليها .

ثم جاء قوله ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ ( [4] ) الآية كلاما آخر بين أحكاما أخر وقوله ﴿ ۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّ ﴾ ( [5] ) وانتهى الكلام على قول طائفة

---

[1] يشتشف من كلام الإمام هنا أنه يسير مع قول الجمهور القائلين بأن القرآن هو اسم للنظم والمعنى معاً ، لا معناه فقط ، وينظر نموذج عن ثمرة الخلاف في هذه المسألة : " أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء لمصطفى سعيد الخن " ص 380 ـ 388 ( الطبعة السابعة 1418 هـ ـ 1998 م ، مؤسسة الرسالة )

[2] الموافقات ج 3 / 310، ج 4 /268

[3] الآيات 183 ـ 187من سورة البقرة

[4] جزء الآية 188 من سورة البقرة

[5] سورة البقرة الآية 189

وعند أخرى أن قوله﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ ﴾ ([1])

الآيــة مــن تمــام مسألة الأهلة ، وإن انجر معه شيء أخر ، كما انجر على القولين معًا تذكيرٌ وتقديمٌ لأحكام الحج في قوله﴿ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ ([2]) .



[1] سورة البقرة الآية 189

[2] سورة البقرة الآية 189

# المبحث الخامس
# أسباب اختلاف المفسرين

## معنى الاختلاف هنا :

قـــال ابن منظور : " وخالفه إلى الشيء عصاه إليه أو قصده بعدما نهاه عنه وتخالف الأمران واختلفا " لم يتفقا " ، وكلُّ ما لم يتساوى ، فقد تخالفا واختلف ، والخلاف المضادَّة " ([1]) .

وقـــال ابن فارس : " الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة : أحدها أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامـــه ، والثاني خلاف قدَّام ، والثالث : التغيُّر ... وأما قولهم اختلف النَّاس في كذا ، والناس خلفةٌ أي مختلفون ، فمن الباب الأول : لأن كل واحد منهم ينحيِّ قول صاحبه ، ويقيم نفسه مُقام الذي نحّاه " ([2]) .

لقد اعتمد الشاطبي جملة على تصنيف البطليوسي فقال :

" وقـــد ألَّف ابن السيد ([3]) كتابا في أسباب الخلاف ([4]) الواقع بين حَملة الشريعة ، وحصرها في ثمانية أسباب:

---

[1] لسان العرب 2 / 303

[2] مقاييس اللغة 2 / 210 ـ 213 بتصرف

[3] هـو أبـو محمّـد عـبد الله بـن محمّـد ابن السيِّد البطليوسي بكسر السين المهملة النحوي ؛ ولد سنة 444هـ ـ 1052م ، نشأ في بطليوس ( Badajoz ) العالم المتفنن أخذ عن أبي علي الغساني ، ألف كتبا حسانا منها : " الاقتضاب في شرح أدب الكاتب " ، " شرح الموطأ " ، وغيرهـا تـوفي في منتصف رجب سنة 521هـ ـ 1127 م بمدينة بلنسية ، ينظر شجرة النور الزكية لمخلوف ج 1 / 191 ، الديباج المذهب لابـن فرحون ص 228 ـ 229 ، وفيات الأعيان لابن خلكان ج 3 / 96 ـ 98 ، شذرات الذهب لابن العمـاد ج 6 / 106 ـ 107، الأعلام للزركلي ج 4 / 123 معجم الأدباء لكامل سلمان الجبوري ج 4 / 103 ، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة رقم ( 1930 ) 2 / 1400 ـ 1402

[2] إسم هـذا التـصنيف " التنبـيه علـى الأسـباب الـتي أوجـبت الاخـتلاف بين المسلمين في أرائهم ومذاهبهم وعقائدهم " وهو مطبوع بتحقيق وتعليق الدكتور أحمد حسن كحيل والدكتور حمزة عبد الله النشرتي ( الطبعة الثانية 1402 هـ ـ 1982 م ، دار المريخ =

**أحدها** الاشتراك الواقع في الألفاظ ، واحتمالها للتأويلات وجعله ثلاثة أقسام :

ـ اشتراك في موضوع اللفظ المفرد، كالقرء وأو في آية الحرابة ([1]) .

ـــ واشتراك في أحواله العارضة في التصرف ، نحو﴿ **وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ** ﴾ ([2]) ،قال السعدي : " ...النهي عن مضارة الشهيد أيضا ، بأن يدعى إلى تحمل الشهادة أو أدائها في مرض أو شغل ..مبنيا للمجهول ، وأما على جعلها مبنيا للفاعل ففيه النهي الشاهد والكاتب أن يضارا صاحب الحق بالامتناع أو طلب أجرة شاقة ونحو ذلك .." ([3]) .

وقال ابن العربي : " وتحقيقه أن يُضار تفاعل من الضرر..ويحتمل أن يكون تفاعِل بكسر العين ويحتمل أن يكون بفتحها ، فإن كان بكسر العين فالكاتب والشاهد فاعلان ،... وإن كان بفتح العين فالكاتب والشاهد مفعول به " ([4]) .

قال الشاطبي وهو ينقل عن ابن السيد : " واشتراك من قبل التركيب نحو﴿ **وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ** ﴾ "

---

= للنشر ) ، ويلاحظ عند تصفحه أنه تأليف عام لا يخص المفسرون وحدهم ، ومن المصنفات التي خصت هذا الموضوع بالدراسة عند علماء التفسير ؛ إلا أن في الحقيقة لايفي بالغرض كلّية ،نذكر بحث الدكتور سعود بن عبد الله الفنيسان الموسوم بـ " اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره " وهو من منشورات دار اشبيليا ، الطبعة الأولى 1418 هـ ـ 1997 م

[1] يقصد قوله تعالى﴿ **إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ** ﴾ المائدة ـ**31** ـ ،والخلاف في حرف "أو"هل للتخيير أم للتفصيل ،والراجح أنه للخيار في فعل عقوبة من تلك العقوبات ، بحسب ما يراه الحاكم ،وممن رجح ذلك : ابن العربي في أحكام القرآن ،ووصف الذين ذهبوا إلى التفصيل بأنهم تحكموا في النص القرآني ينظر أحكام القرآن ج2/ 86 ـ 88،وأضواء البيان ج 2 / 68 ـ 69 ،والوجوه والنظائر للدامغاني ص 106 ــ 107،وفيه أن "أو"تأتي على ثلاث أوجه في القرآن وهي : بمعنى "بل ،وألفها صلة ،الخيار" وذكر الخيار في الآية

[2] سورة البقرة الآية 282

[3] تيسير الكريم الرحمان ص 102

[4] أحكام القرآن ج1 / 313

**والثانـــي** دوران اللفـــظ بين الحقيقة والمجاز وجعله ثلاثة أقسام ما يرجع إلى اللفظ المفرد نحو حـــديث النـــزول و﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [1] وما يرجع إلى أحواله نحو﴿ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ [5] ولم يبين وجه الخلاف

ولكـــن هـــنا تنبيه لابد منه فإن لفظة "النور " ،في الآية تحتمل أن تكون صفة ذات ، فعند ذلك يصح أن يطلق عليها أنها مجاز ، ومثله حديث النزول الله في الثلث الأخير من الليل ، قال عبد الـــرحمان الـــسعدي فـــي تفسيره عن النور: " الحسي والمعنوي ، وذلك أنه تعالى بذاته نور ، وحجابه الذي لولا لطفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ..." [2] .

وقـــال العلامة ابن القيم : " وأهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والـــسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ،ولا يحـــدون فيه صفة محصورة ، وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمـــل شـــيئا منها على الحقيقة ، ويزعمون أن من أقربها مشبه وهم عند من أقربها نافون للمعـــبود ، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وهم أئمة الجماعة " [3] .

**والرابع** دورانه بين العموم والخصوص ، نحو﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [4] .

---

[1] سورة النور الآية 35،فيها أقوال منها أن الله هادي أهل السماوات والأرض وهو قول ابن عباس ، وعن قتادة أنه منوِّر السماوات،ينظر تفسير السمعاني ج 3 / 529 ،تفسير ابن أبي حاتم 8 / 2593 ، الوجوه والنظائر للدامغاني ص 762

[2] سورة سبأ الآية 23، أي قولكم آناء الليل والنهار ، ينظر الوجوه والنظائر للدامغاني ص 735 ،وقال السمعاني ، وقيل طول الأمل على طريق المجاز ،ينظر تفسيره ج 4 / 235 ، تفسير القرآن لابن أبي زمنين 4 / 17

[3] تيسير الكريم الرحمان ص 540

[4] ينظر اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو والمعطلة و الجهمية 114 ـ 115 ، وينظر في تفسير الآية ص10 ـ 12 من نفس المصدر

[5] سورة البقرة الآية 156 ،قال ابن العربي : " أنها مخصوصة في أهل الكتاب الذين يقرَّون على الجزية ، وقيل أنها نزلت في الأنصار ،عامة في نفي إكراه الباطل ، فأما الإكراه بالحق فإنه من الدين ،وهو الذي رجحه ابن العربي " أحكام القرآن ج 1/ 281

**والسابع** دعوى النسخ وعدمه .

**والـــثامن** ورود الأدلـــة على وجوه تحتمل الإباحة وغيرها كالاختلاف في الأذان والتكبير على الجنائز ووجوه القراءات ..... " [1] .

**أنواع الاختلاف :** قال : " من الخلاف ما لا يعتد به في الخلاف ، وهو ضربان **أحدهما** ما كان من الأقوال خطأ مخالفاً لمقطوع به في الشريعة ، وقد تقدم التنبيه عليه

**والثانـــي** ما كان ظاهره الخلاف وليس في الحقيقة كذلك ، وأكثر ما يقع ذلك في تفسير الكتاب والسنة ،فتجد المفسرين ينقلون عن السلف في معاني ألفاظ الكتاب أقوالا مختلفة في الظاهر فإذا اعتبـــرتها وجـــدتها تتلاقـــى على العبارة كالمعنى الواحد، والأقوال إذا أمكن اجتماعها والقول بجمـــيعها من غير إخلال بمقصد القائل، فلا يصح نقل الخلاف فيها عنه، وهكذا يتفق في شرح السنة..... وهذا الموضع مما يجب تحقيقه فإن نقل الخلاف في مسألة لا خلاف فيها في الحقيقة خطأ، كما أن نقل الوفاق في موضع الخلاف لا يصح " [2] .

ثم فصل كلامه السابق بقوله : " ..أن يذكر في التفسير عن النبي ﷺ في ذلك شيء أو عن أحد مـــن أصـــحابه أو غيرهم ، ويكون ذلك المنقول بعض ما يشمله اللفظ، ثم يذكر غير ذلك القائل أشياء أخر مما يشمله اللفظ أيضًا، فينصّهما المفسرون على نصهما ، فيظن أنه خلاف كما نقلوا في المنّ : أنه خبز رقاق [3] ، وقيل زنجبيل[5] وقيل التَّرنجبين[4] ، وقيل شراب مزجوه

---

[1] الموافقات ج 4 / 153 ـ 155، ج 5 / 202 ـ 209 بتصرف

[2] نفس المصدر ج 4 / 155، ج 5 / 210

[3] قال بذلك وهب بن منبه ،ينظر تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ت ( 327 هـ ) ج 1 / 115 ؛ ( تحقيق أسعد محمّد الطيِّب ، الطبعة الأولى 1417 هـ ـ 1997م، مكتبة نزار مصطفى الباز ـ المملكة العربية السعودية ) ، تفسير ابن كثير ج 1 / 202 مقدمة المفسرين للبركوي ص 507

[4] قول السدي ينظر تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ج 1 / 114 ،تفسير ابن كثير ج1 / 204 ـ 205

[5] قال ذلك قتادة ، وكان ينزل عليهم مثل الثلج من الفجر إلى طلوع الشمس ، ينظر مقدمة المفسرين للبركوي ص 507 ، وقال هو أشهر الأقوال ، تفسير القرآن لابن أبي حاتم ج 1 / 114 ، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ت (399هـ ) ج 1/ 141 ( تحقيق أبي عبد الله حسين عكاشة ـ محمّد بن مصطفى الكنز ، الطبعة الأولى 1423 هـ ـ 2002 م ؛ دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ )

بالمـــاء ([1]) فهـــذا كله يشمله اللفظ ، لأن الله منَّ به عليهم ولذلك ،جاء في الحديث " **الكمأة من المنِّ الذي أنزل الله على بني إسرائيل**" ([2]) فيكون المن جملة نعمٍ ، ذكر الناس منها آحاداً "

قال ابن كثير بعد عرضه لبعض تلك الأقوال في اختلافهم في تفسير " المن " :

" والغـــرض أن عبارات المفسرين متقاربة في شرح المن ....و الظاهر ، والله أعلم أنه كل ما امـــتن الله بـــه علـــيهم مـــن طعام وشراب وغير ذلك ، مما ليس لهم فيه عمل ولا كد ، فالمن المـــشهور إن أكـــل وحده كان طعاما وحلاوة ، وإن مزج مع الماء صار شرابا طيبا ،...ولكن لـــيس هو المراد من الآية وحده .."([3]) ، إذن فهذا ليس اختلافا حقيقيا ، إذ يمكن الجمع بين تلك الأقـــوال بقول الشيخ السعدي رحمه الله : " المن هو اسم جامع لكل رزق حسن يحصل بلا تعـــب .." ([4]) ، فالتحقـــيق أن هذا من الاختلاف المسمى بخلاف التنوع لا التضاد كما قال ابن

---

[1] الـربيع بن أنس قاله ،والشراب مثل العسل،مقدمة المفسرين ص507، تفسير ابن أبي حاتم ج 1 / 115 ،تفسير ابن كثير ج1 / 202، مفـردات القـرآن لعبد الحميد الفراهي ص 319 ـ 321 ( تحقيق وشرح الدكتور محمَّد أجمل أيُّوب الإصلاحي ، الطبعة الأولى 2002 م ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت )

[2] الحـديث أخـرجه البخاري كتاب تفسير القرآن رقم ( 4478 ) ج 5 / 176 ، رقم ( 4639 ) ، كتاب الطب ـ باب المن شفاء للعـين ـ ( 5708) ج 7 / 22 ،مـسلم كـتاب الأشـربة رقـم ( 2049 ) ، الترمـذي كـتاب الطب ـ باب ما جاء في الكمأة والعجوة ـ الأرقام ( 2066) ، ( 2067) ، ( 2068) ج 350/4 ـ 351، ابن ماجه كتاب الطب، باب الكمأة والعجوة ـ رقم ( 3453 ) ج 2 / 1142 ، أحمد في المسند رقم ( 1625ـ 1627 ) ج 3 / 171 ـ 172) ، وروى هذا الحديث من طرقّ عن الصحابة سعيد ابن زيد ابن عمرو ابن نفيل و أبي هريرة وعن أبي سعيد الخدري وجابر ابن عبد الله ، بريدة ابن الحصيب الأسلمي ﷺ

[3] ينظر تفسير ابن كثير ج 1 / 202

[4] تيسير الكريم الرحمان ص 38

[4] سورة الواقعة الآية 73

تيمـــية : " ومنه ما يكون كل من القولين هو في معنى القول الآخر ، لكن العبارتان مختلفتان ، كما قد يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود وصيغ الأدلة ، والتعبير عن المسميات " ([1]) .

والثاني " أن يذكر في النقل أشياء تتفق في المعنى بحيث ترجع إلى معنى واحد فيكون التفسير فـــيها على قول واحد ، ويوهم نقلُها على اختلاف اللفظ أنه خلاف محقق، كما قالوا في السَّلوى إنـــه طيـــر يـــشبه الـــسِّماني([2])، وقـــيل طيـــر أحمـــر([3]) صفته كذا وقيل طير بالهند أكبر من العـــصفور،..... فمثل هذا يصح حمله على الموافقة وهو الظاهر فيها " ، فهؤلاء اتفقوا على أنها طير فيكفينا ذلك ، ولقد نقل ابن عطية على ذلك الإجماع ( [4] ) .

" والـــثالث أن يذكـــر أحد الأقوال على تفسير اللغة، ويذكر الآخر على التفسير المعنوي، وفرق بـــين تقريـــر الإعراب وتفسير المعنى، وهما معًا يرجعان إلى حكم واحد ، لأن النظر اللغوي راجع إلى تقرير أصل الوضع ، والآخر راجع إلى تقرير المعنى في الاستعمال ، كما قالوا في قـــوله تعالى﴿ وَمَتَٰعًا لِّلۡمُقۡوِينَ ٧٣ ﴾([5]) أي المسافرين ([1]) ، وقيل النازلين بالأرض القَوَاء وهى

---

[1] اقتـضاء الـصراط المـستقيم لمخالفـة أصـحاب الجحـيم ج1 / 150 ، ( تحقيق و تعليق الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل ،الطبعة الثانية 1419هـ ـ 1998م ، دار إشبيليا ـ السعودية ـ )

[2] روى السدي ذلك عن ابن عباس و ابن مسعود ،وعن ناس من الصحابة ﷺ ،تفسير ابن كثير ج 1/ 204

[3] هـو قـول قتادة ، وهي طير تحشرها عليهم ريح الجنوب ،تفسير ابن أبي حاتم ج 1 / 115،تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ج 1 / 142 ، تفسير ابن كثير ج 1/ 204 ، مفردات القرآن لعبد الحميد الفراهي ص 360

[4] ينظـر المحـرر الوجيـز في تفـسير الكـتاب العزيـز لابن عطية ج 1 / 149 ( تحقيق عبد السّلام عبد الشّافي محمّد ، الطبعة الأولى 1422هـ ـ 2001 م ؛ دار الكـتب العلمـية ـ بـيروت ـ ) ، وقـد نقـض هـذا الإجمـاع الـباحث عـبد العزيـز الخضيري في أطروحته للماجـستيرالمعنونة بـ " الإجمـاع في التفـسير " ، بـسبب أن بعـض أهل اللغة فسروا " السلوى " بالعسل ص 170ـ 173 ينظر بحثه الصادر عن ( دار الوطن بالرياض ، الطبعة الأولى 1420هـ ـ 1999 م )

[5] سورة الواقعة الآية 73

[6] هـو قول ابن عباس ، ومجاهد ،والضحاك ، وهو أظهر الأقوال ورجحه كلٌّ من الإمام السمعاني في تفسيره ج5 /357،وابن جرير ينظر تفسير ابن كثير ج 4 / 2802، والشنقيطي في أضواء البيان ج 7 / 523 ،وفي الآية أقوال أخرى أنه الجائع وهو قول عبد =

القَفــر، وكــذلك قوله ﴿ **تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ** ﴾ [2] أي داهية تفجؤهم [3] ، وقيل سريَّة من سرايا رسول الله ﷺ [4] وأشباه ذلك " [5] .

والسادس " أن يقع الاختلاف في العمل لا في الحكم، كاختلاف القُرَّاء في وجوه القراءات، فإنهم لــم يقــرؤوا بمــا قرؤوا به على إنكار غيره ، بل على إجازته والإقرار بصحته ، وإنما وقع الخلاف بينهم في الاختيارات ، وليس في الحقيقة باختلاف ، فإن المرويات على الصحة منها لا يختلفون فيها" [6] .

وهناك كلام لابن تيمية شبيه : " منه ما يكون كل واحد من القولين ، أو الفعلين حقا مشروعا ، كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة حتى زجرهم عن الاختلاف رسول الله ﷺ ، ومثله صفة الأذان " [7] ، وهذا أيضا من التنوع .

ولقد نظم "ماء العينين" قائلا [8] :

| | |
|---|---|
| مــا لَــيسَ يُعــتَدُّ بِــهِ مِــنَ الخِــلاَف | ضَــربَانِ واحــدٌ تَقــدَّم اعتــراف |
| وهــوَ مــا كــان مــن الأقــوالِ | مُخالِفًــا ذا القَطــعِ فــي الأحــوال |
| ومــا يُــرى ظاهــرهُ الخــلاف بــان | ولــيسَ فــي حقــيقةٍ كــذاك ثــان |
| وفــي مُفــسَّر الكــتاب والــسُّنن | أكثَــرُ مــن سِــواهُما قــد اعَــتلَن |

---

= الرحمان بن زيد بن أسلم ، وقيل هي عامة للمستمتعين من أغنياء وفقراء

[2] سورة الرعد الآية 31

[3] هو قول الحسن ، وعن ابن عباس أنه عذاب من السماء ، ينظر تفسير ابن كثير ج 2 / 1559،

[4] هي رواية سعيد ابن جبير عن ابن عباس ينظر تفسير ابن كثير ج2 / 1559 ،تفسر السمعاني ج3 / 95، والوجوه والنظائر للدامغاني ص 638

[5] الموافقات ج 4 / 156 ، ج 5 / 212

[6] الموافقات ج 4 / 157، ج5 / 214 ـ215

[7] اقتضاء الصراط المستقيم ج 1 / 149

[8] ينظر المرافق على الموافق ج 2 /707

وحـــيثُ أمكـــن اجـــتماعُ الأقـــوال تُجمَـــعُ إذ ذاكَ بغيـــرِ إخـــلالِ
ويجـــب التَّحقِـــيقُ فـــي ذا الموضـــع إذ نَقـــلُ خُلـــفٍ عـــند وفـــقٍ يُمـــنعِ
كـــذاكَ جعـــلُ الوَفـــقِ فـــيما يخـــتلف فـــيه مـــن الممـــنوع قالـــه الـــسَّلف

ولقد مثل ــ رحمه الله ــ عن إختلاف القراءات وأنه إختلاف لايضر أبد ؛ أون هذا من عادات العــرب فقال : « الثانى أن من شأنها الاستغناء ببعض الألفاظ عما يراد فيها أو يقاربها ولا يعــدّ ذلك اختلافا ولا اضطرابا إذا كان المعنى المقصود على استقامة ، والكافى من ذلك نزول القــرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف ([1]) ، وفى هذا المعنى من الأحاديث وكلام السلف العارفــين بالقرآن كثير وقد استمر أهل القراءات على أن يعملوا بالروايات التى صحت عندهم ممــا وافــق المــصحف وأنهــم فى ذلك قارئون للقرآن من غير شك ولا إشكال وإن كان بين القــرائتين ما يعده الناظر ببادئ الرأي اختلافا فى المعنى ؛ لأن معنى الكلام من أوله إلى آخره على استقامة لا تفاوت فيه بحسب مقصود الخطاب ، كـــ ﴿ مَٰلِكِ ﴾ و ﴿ **ملك** ﴾[ الفاتحة 4 ][2] (﴿ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ ﴾ ﴿ **وما يخادعون إلا أنفسهم** ﴾[ البقرة 9] [3] ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ

---

[1] يشير ـ ﷺ ـ إلى حديث أخرجه الإمام أحمد في مسند البصريين عن نفيع بن الحارث بن كلدة ﷺ رقم ( 20425 ) ج 34 / 70 ـ 71 ، وفي مسند الأنصار عن أبي بن كعب بن قيس ﷺ تحت رقم ( 21092 ) ج 35 / 16 ـ 17 ، ( 21132 ) ج 35 / 69 ـ 70

[2] ﴿ مَٰلِكِ ﴾ قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف في اختياره بإثبات ألف بعد الميم لفظا ، والباقون بحذفها ، ينظر البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة للأنصاري النشَّار ج 1 / 116 ،الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي 1 / 7 ـ 48 ( تحقيق بدر الدين قهوجي ـ بشير حويجاتي ، الطبعة الأولى 1404 هـ ـ 1984 م ، دار المأمون للتراث ـ دمشق ـ ) ،التذكرة في القراءات الثمان للإمام ابـن غلبون ت ( 399 هـ ) 1 / 65 ( دراسة وتحقيق أيمن رشدي سويد ، الطبعة الأولى 1412هـ ـ 1991 م ) ، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة لعبد الفتاح عبد الغني القاضي ص 63 [ الطبعة الثانية 1426 هـ ـ 2005 م دار السلام للطباعة ] ، معجم القراءات للدكتور عبد اللطيف الخطيب 1 / 8 ـ 13 ( الطبعة الأولى 1422 هـ ـ 2002 م ؛ دار سعد الدين ـ دمشق ـ )

[3] قـال ابـن الجـزري ت ( 835 هـ ) : " ﴿**وما يخادعون**﴾ من المخادعة ، يقرؤه ﴿ **وَمَا يَخۡدَعُونَ** ﴾ من الخدع الكوفيون ، وابـن عامر وأبو جعفر ويعقوب " ، شرح طيبة النشر في القراءات العشر ص 168 ( ضبطه وعلَّق عليه الشيخ أنس مهرة ، الطبعة الثانية 1420 هـ ـ 2000 م ، دار الكتب العلمية ـ لبنان ـ ) ، الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي 1 / 312 ـ 319 ، التذكرة =

غُرَفًا ﴾ ﴿لنثوينهم من الجنة غرفا ﴾[ العنكبوت 58 ] ( [1] ) إلى كثير من هذا لأن جيمع ذلك لا تفـــاوت فيه بحسب فهم ما أريد من الخطاب وهذا كان عادة العرب » ( [2] ) ، وهناك عدد من الباحثـــين يؤكدون هذا أن الإختلاف في القراءات هو إختلاف لا يضر ، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الباحث عبد الرافع بن رضوان بن علي الشرقاوي إذ قال :

" واختلاف القراءات في أية كلمة من الكلمات القرآنية منحصر في نوعين لا ثالث لهما :

**الأول** : اخـــتلاف اللفظ والمعنى واحد أو متقارب نحو ﴿ٱلصِّرَٰطَ ﴾ [ الفاتحة ٦ ] بالسين والصاد و الإشمام و ﴿ٱلْقُدُسِ ﴾ بسكون الدال وبضمها و﴿مِّرْفَقًا ﴾ بالكهف بكسر الميم وفتح الفاء ، وبفتح الميم وكسر الفاء .

**الثانـــي** : اختلاف اللفظ والمعنى ؛ غير أن المعنيين غير متعارضين ولا متناقضين بل يمكن اجـــتماعهما فـــي شيء واحد نحو﴿نُنشِزُهَا ﴾[ البقرة: ٢٥٩ ] قرئ بالراء والمعنى نحييها بعد الموت للحساب ، وقرئ بالزاي والمعنى نضم بعضها إلى بعض حتى تلتئم وتجتمع ، والمعنيان مخـــتلفان ولكـــنهما يلتقيان لأن الله تعالى إذا أراد بعث الخلائق يضم العظام بعضها إلى بعض حتى تجتمع ثم يحييها .... فليس في شيء من القراءات تناف ولا تضاد ولا تناقض " ( [3] ) .

---

= في القراءات الثمان للإمام ابن غلبون 2 / 248 ،البدور الزاهرة لعبد الفتاح عبد الغني القاضي ص 71 ، معجم القراءات للخطيب 1 / 41

[1] ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُم ﴾ قرأ حمزة و الكسائي وخلف بعد النون الأولى بثاء مثلثة ساكنة ، وبتخفيف الواو ؛ وبعد الواو ياء تحتية مفتوحة ، وقرأ الباقون موضع الثاء المثلثة باء موحدة مفتوحة ، وتشديد الواو ؛ وبعد الواو همزة مفتوحة ، وأبو جعفر على أصله ببدل الهمزة ياء خالصة ، ينظر : البدور الزاهرة في القراءات العشر للأنصاري النَّشَّار ت (938هـ ) ج 2 / 180 ، الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي 5 / 438 ـ 440 ، شرح طيبة النشر ص 294 ، التذكرة في القراءات الثمان للإمام ابن غلبون 2 / 491 ، البدور الزاهرة لعبد الفتاح عبد الغني القاضي ص 346 ، معجم القراءات للخطيب 7 / 124 ـ 125

[2] الموافقات ج 2/ 132 ـ 133

[3] شرح الدرة المضية في القراءات الثلاثة المروية للإمام محمّد بن محمّد أبي القاسم النّويري ت ( 897 هـ ) ، ج 1 / 103 ـ 104 ( الطبعة الأولى 1424 هـ ـ 2003 م ، مكتبة الرشد ـ الرياض ـ )

# المبحث السادس
# الحكاية في القرآن الكريم

قال أبي البقاء الكفوي ([1]) : " الحكاية : هي إيراد اللفظ على استيفاء صورته الأولى ، وقيل : الإتيان بمثل الشيء ، وحكايات القرآن عن الغير إنما هو معرب عن معانيهم وليس بحقيقة ألفاظهم ، فلا يقال كلام الله محكيٌ ، ولا يقال أيضا : حكى الله كذا ، إذ ليس لكلامه مثل ؛ وتساهل قوم في إطلاق لفظ الحكاية بمعنى الإخبار" ([2])

قال الشاطبي : " **كل حكاية وقعت في القرآن ؛ فلا يخلو أن يقع قبلها أو بعدها وهو الأكثر رد لها ، أولا** ، فإن وقع رد فلا إشكال في بطلان ذلك المحكي وكذبه، وإن لم يقع معها رد ؛ فذلك دليل صحة المحكي وصدقه،فهذه القاعدة الذهبية لابد أن تراعى حين تفسير القرآن ، و اعتبرها خالد بن عثمان السبت من القواعد التفسيرية .... " ([3])

ثم شرح الشاطبي كلامه فقال : " أما **الأول** فظاهر، ولا يحتاج إلى برهان ،

ومن **أمثلة** ذلك قوله تعالى﴿ **إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ** ﴾ ([4]) فأعقب بقوله ﴿ **قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ** ﴾ ([5]) الآية

---

[1] أيوب بن موسى الحسيني الكوفي الحنفي ؛ أبو البقاء ولد في كفا بالقرم ، من آثاره الكليات ، وكتب أخرى بالتركية ووهم كحالة في أن له كتاب مستقل باسم معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، فهذا الكتاب الأخير هو نفسه كتاب " الكليات " ، توفي وهو قاض بالقدس عام 1094هـ ـ 1683 م ، ينظر الأعلام للزركلي ج 2 / 38 ، معجم المؤلفين لرضا كحالة ج 1 / 418

[2] الكليات للكفوي ص 409

[3] ينظر قواعد التفسير ج 2 / 758

[4] سورة الأنعام الآية 91

[5] سورة الأنعام الآية 91

وقـــال ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا ﴾ [1] الآيـــة ، فوقع التنكيت على افتراء ما زعموا بقوله ﴿ بِزَعْمِهِم ﴾ وبقوله﴿ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [2]

ثـــم قـــال ﴿ وَقَالُواْ هَـٰذِهِۦٓ أَنْعَـٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ [3] إلى تمامه ، ورد بقوله ﴿ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [4] ثم قال ﴿ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ ﴾ [5] الآية فنبه على فساده بقوله ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾ [6] زيادة على ذلك " [7] .

ومن الأمثلة التي أوردها في هذه القضية ليدلل على كلامه ، قوله تعالى﴿ وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ [8] ثـــم رد عليهم بأوجه كثيرة ثبتت في أثناء القرآن كقوله ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [9] وقوله ﴿ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [10] ، وقوله﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ﴾ [11] ، وقوله ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ ﴾ [12] إلى آخره وأشباه ذلك .

---

[1] سورة الأنعام الآية 136

[2] سورة الأنعام الآية 136

[3] سورة الأنعام الآية 138

[4] سورة الأنعام الآية 138

[5] سورة الأنعام الآية 139

[6] سورة الأنعام الآية 139

[7] الموافقات ج 3 / 263 ، ج 4 / 158 ـ 159

[8] سورة البقرة الآية 116

[9] سورة الأنبياء الآية 26

[10] سورة البقرة الآية 116

[11] سورة يونس الآية 68

[12] سورة مريم الآية 90

ومن قرأ القرآن وأحضره في ذهنه عرف هذا بيُسر .

وأما **الثاني** فظاهر أيضًا ولكن الدليل على صحته من نفس الحكاية وإقرارها ، فإن القرآن سمي فرقانًا ، وهدىً وبرهانًا ، وبيانًا وتبيانا لكل شيء، وهو حجة الله على الخلق على الجملة والتفصيل والإطلاق والعموم ، وهذا المعنى يأبى أن يحكى فيه ما ليس بحق ثم لا ينبَّه عليه ، وأيضا فإن جميع ما يحكى فيه من شرائع الأولين وأحكامهم ، ولم ينبه على إفسادهم ، وافترائهم فيه ؛ فهو حق يجعل عمدة عند طائفة في شريعتنا ، ويمنعه قوم لا من جهة قدح فيه ، ولكن من جهة أمر خارج عن ذلك فقد اتفقوا على أنه حق وصدق كشريعتنا ، ولا يفترق ما بينهما إلا بحكم النسخ فقط ولو نبه على أمر فيه لكان في حكم التنبيه على الأول ؛ كقوله تعالى ﴿**وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ**﴾ [1] الآية وقوله ﴿**يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ**﴾ [2] الآية وكذلك قوله﴿ **مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ**﴾ [3] فصار هذا من النمط الأول ومن أمثلة هذا القسم جميع ما حكي عن المتقدمين من الأمم السالفة مما كان حقًا، كحكايته عن الأنبياء والأولياء ، ومنه قصة ذي القرنين، وقصة الخضر مع موسى عليه السلام ، وقصة أصحاب الكهف ، وأشباه ذلك .

فالإمام الشاطبي قد اعتمد لتقرير القاعدة السابقة ، دليلين وهما الاستقراء للآيات والثاني ، بما أن الكتاب هو لهداية الناس فعليه أن يحتوي على الإرشاد و التعليم للناس .

ومن المسائل التي استنبطها من هذه القاعدة الضرورية التي لابد من التدبر فيها عند تلاوة القرآن الكريم ، وعند الاستدلال بآياته ، قاعدة مخاطبة الكفار بالفروع .

وأكد على ذلك بقوله : " ومن تتبع مجاري الحكايات في القرآن عرف مداخلها، وما هو منها

---

[1] سورة البقرة الآية 75

[2] سورة المائدة الآية 41

[3] سورة النساء الآية 46

حق مما هو باطل ، فقد قال تعالى ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ (1) إلى آخرها فإن هذه الحكاية ممزوجة الحق بالباطل فظاهرها حق و باطنها كذب ، من حيث كان إخباراً عن المعتقد وهو غير مطابق ، فقال تعالى﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ﴾ (2) تصحيحا لظاهر القول ، وقال ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ۝١ ﴾ (3) إبطالا لما قصدوا به " (4) .

وضرب رحمه الله عدة أمثلة ، ولم يشأ الإكثار منها ، فالهدف هو التمثيل لا التفصيل ، فهاهو يقول : " والنمط هنا يتَّسع ، ويكفي منه ما ذكر، وبالله التوفيق " (5) .

ولتنبيه هنا أنَّ هذا الأمر لا يختص بالقرآن فقط ، بل للسنة كذلك مدخل أيضا ، فليتأمل كما أشار إلى ذلك الشاطبي ، قال المريني : " ... و الاعتماد على هذه القاعدة يفيد في الفهم ، وتوجيه عدد كثير من الآيات القرآنية ، لا سيما ما يتعلق بالقصص منها و العكس بالعكس " (6 إذن فكلٌّ ما لم يرده القرآن من الحكايات فهو حق ( 7 ) ، وهذا ما أوضحه علي حسب الله حين قال : " ما حُكي في القرآن ، إذا ورد معه ما يفيد رده فهو باطل لا يصح الاستنباط منه ، و إذا لم يرد معه رد فهو صحيح معتدٌّ به " ( 8 ) .

---

[1] سورة المنافقون الآية 01

[2] سورة المنافقون الآية 01

[3] سورة المنافقون الآية 01

[4] الموافقات ج 3 / 265 ، ج 4 / 163

[5] الموافقات ج 3/ 267 ، ج 4 / 166

[6] القواعد الأصولية ص 116

[7] بنظر مزيد إيضاح لهذه القاعدة المرجع السابق ص 114 ـ 117

[8] أصول التشريع الإسلامي ص 25، و ممن استفاد منه في هذه الحيثية أيضا محمد سليمان الأشقر في رسالته للدكتوراه ، و المسماة بـ " أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية " ينظر ج 2 / 155 ـ 158

ونظم ماء العينين فقال ( [1] ) :

| | |
|---|---|
| ومـــا خَـــلا المحكـــيَّ فـــي القـــرآن أن | يَقَـــــعَ رَدُّ قـــــبلَهُ أو بَعـــــدُ عـــــن |
| إن رُدَّ لا إشـــــــــكالَ إلا فـــــــــصحِيحٌ | وذا ظُهـــورُه مـــن المحكـــيِّ الملـــيح |
| لأنَّ ذا القـــــرآنَ سُـــــميَّ الفُـــــرقان | وسُـــميَّ الهُـــدى وسُـــميَّ البـــرهان |
| فلـــيسَ يُحكَـــى فـــيه مـــا لـــيس بحَـــق | ولـــم يُنـــبِّهن علـــيه مـــا افتـــر |

**القـــصة القـــرآنية :** ومن الحكاية أيضا القصص القرآني( [2] ) ، كما سبق وأن ذكر إذ هي تدخل ضـــمن الأمـــم الـــسابقة ، ولقد أدلى الشاطبي فيها أيضا ، فهاهو يقول : " فحيث ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام كنوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، وموسى وهارون ، فإنما ذلك تـــسلية لمحمد عليه الصلاة والسلام ، وتثبيت لفؤاده ، لما كان يلقى من عناد الكفار وتكذيبهم له علـــى أنـــواع مختلفة ، فتذكر القصة على النحو الذي يقع له مثله ، وبذلك اختلف مساق القصة الـــواحدة بحسب اختلاف الأحوال ، والجميع حق واقع لا إشكال في صحته، وعلى حذو ما تقدم مـــن الأمـــثلة يحـــتذى في النظر في القرآن لمن أراد فهم القرآن ، والله المستعان " ( [3] ) ، إذن الـــشاطبي يذكر غرض من أغراض القصة القرآنية و المتمثل في تسلية النبي ﷺ حتى يزداد ثـــباتا على أمر هذه الرسالة الربانية التي كُلف بها على العمل بها و تبليغها للأمة جميعها انسهم وجنهم ، وحين تكلم رحمه الله عن قصة نوح و إبراهيم عليهما

الـــسلام قال : " والبرهان على صحة هذا التقرير ما تقدم في دليل الكتاب أن كل قضية لم تردّ أو لم تبطِل أو لم ينّبه على ما فيها فهي صحيحةٌ صادقة ، فإذا عرضنا مسألتنا على تلك القاعدة وجـــدنا الله تعالى حكى عن نوح دعاءه على قومه، فقال ﴿ **وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ**

---

[1] المرافق على الموافق ج 2 / 528

[2] تنقسم القصة في القرآن الكريم إلى ثلاثة أنواع : " قصص الأنبياء ـ قصص قرآني متعلق بالحوادث الغابرة وأشخاص لم تتبث نبوتهم كابني آدم ، وأصحاب الكهف وغيرهم ـ قصص قرآني يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن الرسول ﷺ كغزوة بدر وأحد " ،علوم القرآن لعبد الله شحاتة ص 111 ـ 112 بتصرف يسير

[3] ينظر الموافقات ج 3 / 314، ج 4 / 274

مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ ([1]) ولـم يذكر قبله ولا بعده ما يدل على عتب ولا لوم ، ولا خروج عـن مقتضى الأمر والنهي ، بل حكى أنه قال ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ ﴾ ([2]) الآية ومعلـوم أنـه عليه السلام لم يقل ذلك إلا بوحي من الله ، لأنه غيب ، وهو معنى قوله تعالى ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ ﴾ ([3]) وكـذلك قـال تعالى في إبراهيم﴿ فَنَظَرَ نَظۡرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ ([4]) ولم يذكر قبل ذلك ولا بعده ما يـشير إلـى لـوم ولا عـتب ، ولا مخالفـةِ أمر ولا نهي ، ومثله قوله تعالى﴿ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا ﴾ ([5]) فلـم يقع في هذا المساق ذكرٌ لمخالفة ولا إشارةٌ إلى عتب ، بل جاء في الآيـة الأولـى: ﴿ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٤﴾ ﴾ ([6]) وهو غاية في المدح بالموافقة ، وهكذا سائر المساق إلى آخر القصة ، وفي الآية الأخرى قال ﴿ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ ([7]) إلـى آخـرها فتضمنت الآيات مدحه ومناضلته عن الحق من غير زيـادة ، فـدل على أن كل ما ناضل به صحيح موافق ، .. وقد مددتُ في هذا الموضع بعض الـنفس لـشرفه ، ولولا الإطالة لبُيِّن من هذا القبيل في شأن الأنبياء عليهم السلام ما ينشرح له الـصدر، وتطمـئن إلـى بيانه النفس ، مما يشهد له القرآن والسنة والقواعد الشرعية ، والله

---

[1] سورة نوح الآية 26

[2] سورة نوح الآية 27

[3] سورة هود الآية 36

[4] سورة الصافات الآيتين 88 ـ 89

[5] سورة الأنبياء الآية 63

[6] سورة الصافات الآية 84

[7] سورة الأنبياء الآية 51

المستعان " ([1]) .

فتأمل معي هذا التحليل الرائع للقصص القرآني جامعا الآيات ورابطا بعضها مع بعض ، فإن النظر إلى القصة بمثل تلك النظرة البارزة لرجل راسخ في العلم لا تزيدنا إلا حبا للأنبياء عليهم السلام ، واطمئنانا للنفس البشرية ؛ فيا ليته أمد وأطال في تحليل القصص النبوي ، ليصمت لسان و أقلام بعض المرجفين في هذا الزمان من حملة " الشهادات العليا " ! ! ؛ الذين يدعون أن القصص القرآني ما هي إلا عبارة عن أساطير و خرافات الأولين ، نعوذ بالله من الخذلان .

وقبل أن نتوجه إلى موضوع آخر أود أن أوجه الناظر في هذا البحث إلى التمعن في أغراض القصة القرآنية كما أوردها عدد من الباحثين ([2])



[1] ينظر الموافقات ج 4 / 48 ، ج 4 / 432 ـ 433 بتصرف يسير

[2] علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه للدكتور عدنان محمّد زرزور وهو من منشورات المكتب الإسلامي الطبعة الأولى 1401 هـ ـ 1991 م ص 357 ، الواضح في علوم القرآن للدكتور مصطفى ديب البغا ـ محي الدين ديب مستو ص 183 ، بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم لموسى إبراهيم الإبراهيم ص 185 ـ 188 ( الطبعة الثانية 1416 هـ ـ 1996 م ـ دار عمار الأردن )

# المبحث السابع
# الترغيب و الترهيب في القرآن

قـــال الشاطبي : " إذا ورد في القرآن الترغيب قارَنَه التَّرهيب في لواحقه أو سوابقه أو قرائنه وبالعكس ، وكذلك التَّرجية مع التَّخويف ، وما يرجع إلى هذا المعنى مثله، ومنه ذكر أهل الجنَّة يقارنه ذكر أهل النار، وبالعكس ؛ لأنَّ في ذكر أهل الجنَّة بأعمالهم ترجية ، وفى ذكر أهل النار بأعمـــالهم تخـــويفًا ، فهـــو راجـــع إلى التَّرجية والتَّخويف " ([1]) ، ولقد استنبط الشاطبي هذه الملاحظـــة عن طريق استقرائه للقرآن ثم عرضها بعد ذلك على النَّظر؛ فاستدل عليه بمجوعة آيـــات قـــال : " فأنـــت ترى أن الله جعل الحمد فاتحة كتابه ، وقد وقع فيه : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ ([2]) إلـــى آخرها ، فجيء بذكر الفريقين ، ثم بدئت ســـورة البقـــرة بذكرها أيضًا ؛ فقيل﴿ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ ثم قال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ ﴾ ([3]) ثم ذكر بإثرهم المنافقون ، وهم صنف من الكفار، فلما تم ذلـــك أعقب بالأمر بالتقوى ، ثم بالتخويف بالنار، وبعده بالترجية ؛ فقال ﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ﴾ إلى قوله ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[4].... ." ([5])

---

[1] الموافقات ج 3 / 267 ، ج 4 / 167

[2] سورة الفاتحة الآية 6 ـ 7

[3] سورة البقرة الآية 6

[4] سورة البقرة الآية 24 ـ25

[5] الموافقات ج 3 / 267 ـ 268، ج 4 / 167

ومن الأمثلة التي ضربها أيضا ، " وقوله تعالى تقرر في سورة الأنعام وهي في المكيات نظير سورة البقرة في المدنيات ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ إلى قوله﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١ ﴾ ([1]) وذكر البراهين التامة ، ثم أعقبها بكفرهم وتخويفهم بسببه ، إلى أن﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ﴾ ([2]) فأقسم بكتب الرحمة على إنفاذ الوعيد على من خالف ، وذلك يعطى التخويف تصريحًا ، والترجية ضمنًا . ثم قال ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥ ﴾ ([3]) فهذا تخويف وقال﴿ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ﴾ ([4]) الآية وهذا ترجية ، إلى غير ذلك من الأمثلة

قال : " واجر في النظر على هذا الترتيب يَلُح لك وجه الأصل المنبَّهِ عليه ،ولولا الإطالة لبسط من ذلك كثير" ([5]) .

ولكن قد يخرج عن ذاك الاقتران إلى تغليب جانب الترغيب أو عكسه من الآيات التي جاءت لقصد الترهيب و تخويف العباد فقال : " وقد يغلب أحد الطَّرفين بحسب المواطن ومقتضيات الأحوال : فَيرِدُ التَّخويف ويتَّسع مجاله ، لكنه لا يخلو من التَّرجية ، كما في سورة الأنعام فإنها جاءت مقررة للحقّ ، ومنكرة على من كفر بالله ، واخترع من تلقاء نفسه ما لا سلطان له عليه، وصدّ عن سبيله، وأنكر ما لا ينكر، ولدَّ فيه وخاصم ، وهذا المعنى يقتضي تأكيد التَّخويف ، وإطالة التَّأنيب والتَّعنيف،فكثرت مقدِّماته ولواحقه ، ولم يخل مع ذلك من طرف التَّرجية لأنَّهم بذلك مدعوُّون إلى الحق ، وقد تقدم الدعاء ، وإنما هو مزيد تكرار إعذاراً وإنذاراً، ومواطنُ

[1] سورة الأنعام الآية 1

[2] سورة الأنعام الآية 12

[3] سورة الأنعام الآية 15

[4] سورة الأنعام الآية 16

[5] الموافقات ج 3 / 269 ، ج 4 / 170

الاغترار يطلب فيها التَّخويف أكثر من طلب التَّرجية ، لأن درء المفاسد آكد .... " ([1]) .

" وترد التَّرجية أيضاً ويتسع مجالها ، وذلك في مواطن القنوط ومظنته ؛ كما في قوله تعالـــى﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ ([2])

الآيـــة فإن ناسًا من أهل الشرك كانوا قد قتَلوا وأكثروا، وزَنوا وأكثروا فأتوا محمداً ﷺ فقالوا : إن الـــذي تقـــول وتدعوا إليه لحسنٌ لو تخبرنا ألَنا لِما عملنا كفارة ؛ فنزلت فهذا موطن خوف يخاف منه القنوط ، فجيء فيه بالتَّرجية غالبة "

قال : " ولما كان جانب الإخلال من العباد أغلب ، كان جانب التَّخويف أغلب ، وذلك في مظانّه الخاصة لا على الإطلاق، فإنه إذا لم يكن هنالك مظنّة هذا ولا هذا أتى الأمر معتدلا ... "

فإن قيل : " هذا لا يطرد فقد ينفرد أحد الأمرين فلا يؤتى معه بالآخر، فيأتي التَّخويف من غير ترجية، وبالعكس" ومثل لهذا القسم الأخير بـــ :

قوله تعالى﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ۝١ ﴾ ([3]) إلى آخرها فإنها كلها تخويف .

وقوله ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧ ﴾ ([4]) إلى آخر السورة

هذا عن جانب التَّخويف أما عن الترغيب فقال :

" وفي الطرف الآخر قوله تعالى﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ ﴾ ([5]) إلى آخرها وقوله تعالى﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١ ﴾ ([6]) إلى آخرها .." ([7]) .

---

[1] المصدر نفسه ج 3 / 269 ، ج 4 / 170

[2] سورة الزمر الآية 53

[3] سورة الهمزة الآية 1

[4] سورة العلق الآية 6 ـ 7

[5] سورة الضحى الآية 1 ـ 2

[6] سورة الشرح الآية 1

[7] ينظر الموافقات ج 3 / 270، ج 4 / 172

ويشير ماء العينين إلى ذلك فقال ([1]) :

وإذا رأيتَ في الكتاب الترغيب قَارنَهُ قبل وبعد الترهيب
كذا ترجِّيه مع التخويف وكلٌ ذا به بلا تحريف

ثم قال : " وأشياء من هذا القبيل كثيرة ، إذا تتبعت وجدت، فالقاعدة لا تطرد وإنما الذي يقال أن كل موطن له ما يناسبه ، ولكل مقام مقال، وهو الذي يطرد في علم البيان " قال و إن اعترض معترض عن عدم الاطراد : " فالجواب إن ما اعترض به غير صادٍّ عن سبيل ما تقدم ، وعنه جوابان :إجمالي وتفصيلي

**فالإجمالي** أن يقال إن الأمر العام والقانون الشائع هو ما تقدم ، فلا تنقضه الأفراد الجزئية الأقلية لأن الكلية إذا كانت أكثرية في الوضعيات انعقدت كلية، واعتمدت في الحكم بها وعليها ، شأن الأمور العادية الجارية في الوجود ، ولا شك أن ما اعترض به من ذلك قليل ، يدل عليه الاستقراء ؛ فليس بقادح فيما تأصل

وأما **التفصيلي** فإن قوله ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ﴾ ([2]) قضية عين في رجل معين من الكفار، بسبب أمر معين ، من همزه النبي عليه الصلاة والسلام وعيبه إياه فهو إخبار عن جزائه على ذلك العمل القبيح ، لا أنه أجرى مجرى التخويف ؛ فليس مما نحن فيه ، وهذا الوجه جار في قوله ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾ ([3])

وكذلك سورة والضحى وقوله ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ ﴾ غير ما نحن فيه ، بل هو أمر من الله للنبي عليه الصلاة والسلام بالشكر لأجل ما أعطاه من المنح ..

---

[1] المرافق على الموافق ج2 / 531

[2] سورة الهمزة الآية 1

[3] سورة العلق الآية 6 ـ 7

قـــال : " وإذا ثبت هذا فجميع ما تقدم جار على أن لكل موطن ما يناسبه وأن الذي يناسبه إنزال القـــرآن إجراؤه على البشارة والنذارة ، وهو المقصود الأصلي لا أنه أنزل لأحد الطرفين دون الآخر، وهو المطلوب وبالله التوفيق " ، ونظم ماء العينين ذلك فقال ([1]) :

وربمـــــا غلَـــب مـــــن ذي الطَّـــــرفين أحـــــــدُها بحـــــــسب الموطنـــــــين
لكـــــنَّه لـــــم يخـــــلُ مـــــن إتـــــباع بـــــــضدِّه عـــــن تعـــــدِ الاتـــــساع

فلابـــد إذن على العباد من أن لا يقنطوا من رَوح الله ﷻ قال تعالى ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ ([2]) وكذلك لابد من أن لا يأمنوا مكرهه ﷻ ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ ([3]) .

ومـــثل التـــرغيب و الترهيب نطيره الرجاء و الخوف فلا بد من أن لا يغلب أحد الطرفين على الآخر فيكون وسطا بينهما ، اللَّهم إلا في بعض الحالات ستذكر إن شاء الله ، قال الشاطبي : " ومن هنا يتصور للعباد أن يكونوا دائرين بين الخوف والرجاء ؛ لأن حقيقة الإيمان دائرة بينهما وقـــد دل علـــى ذلـــك الكـــتاب العزيز على الخصوص ، فقال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ ([4]) وقال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ ([5]) وقال ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ

[1] المرافق على الموافق ج2 /532
[2] سورة الزمر الآية 53
[3] سورة الأعراف الآية 93
[4] سورة المؤمنون الآية 57 ـ60
[5] سورة البقرة الآية 218

عَذَابَهُۥٓ ﴾ ([1]) .

وقـــال ابن أبي العز الحنفي ([2]) نقلا عن أحدهم : "....الخوف و الرجاء كجناحي الطائر ، إذا اســـتويا استوى الطير وتم طيرانه ، وإذا نقص أحدُهما وقع فيه النقص ، وإذا ذهبا صار الطائر في حدّ الموت ، وقد مدح الله أهلَ الخوف و الرجاء بقوله ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ ([3]) ... فالـــرجاء يستلزم الخوف ، ولولا ذلك لكان أمناً ، والخوفُ يستلزم الرجاء ، ولولا ذلك لكان قنوطا و يأسا... " ([4]) .

ومـــثله السيوطي حين قال : " ... وقال في قوله ﴿ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ ([5]) جمع الله الخوف والطمع ليكون العبد خائفا راجيا ، كما قال تعالى ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ ([6]) فإن موجب الخوف معرفة عقاب الله وشدة سطوته ، وموجب الرجاء معرفة رحمة الله وعظيم ثوابه

---

[1] سورة الإسراء الآية 57

[2] هو صدر الدِّين محمد بن علاء الدِّين علي بن محمد بن محمد بن أبي العزّ الحنفي الصالحي ، من مواليد عام 731هـ ـ 1331م درَّس وأفتـى وخطـب بحـسبان مـدة ثـم ولـي قضاء دمشق في المحرم سنة تسع وسبعين ، ثم ولي قضاء مصر بعد ابن عمِّه فأقام شهرا ثم استعفى ورجع إلى دمشق على وظائفه ، ثم بدت منه هفوة فاعتقل بسببها وأقام مدة مقترا خاملا إلى أن جاء الناصري فرفع إليه أمره فأمر بـردِّ وظائفـه فلـم تطـل مدتـه بعـد ذلـك ، وتـوفي في ذي القعـدة عام اثنتين وتسعين وسبعمائة ، له عدة تصانيف منها : " التنبيه على مـشكلات الهدايـة " ، " الـنور اللامع فيما يعمل به في الجامع " ، ينظر شذرات الذهب لابن العماد ج 8/ 557، الدرر الكامنة لابن حجر ج 3 / 159 ـ 160 الأعلام للزركلي ج 4 / 313

[3] سورة الزمر الآية 9

[4] شرح العقيدة الطحاوية ص 330( تحقيق ومراجعة جماعة من العلماء ، خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني ، نشر المكتب الإسلامي بيروت ، الطبعة التاسعة 1408 هـ ـ 1988 م )

[5] جزء آية 12 من سورة الرعد

[6] جزء آية 57من سورة الإسراء

قال تعالى﴿ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ۝٥٠ ﴾ ([1]) .... " ([2]) .

قال ماء العينين ([3]) :

ومـــــن هُـــــنا تُـــــصُوِّرَ وللـــــرَّاء يـــــدوُر بـــــين الخـــــوفِ و الـــــرَّجاء

ويؤكد الشاطبي بقوله : " وهذا على الجملة ، فإن غلب عليه طرف الانحلال والمخالفة ؛ فجانب الخـــوف علـــيه أقرب ، وإن غلب الخوف عليه طرف التشديد والاحتياط ؛ فجانب الرجاء إليه أقرب ، وبهذا كان عليه الصلاة والسلام يؤدِّب أصحابه ، ولما غلب على قوم جانب الخوف قيل لهم ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ ﴾ ([4]) الآية ، وغلب على قوم جانب الإهمال في بعض الأمور فَخُوّفُوا وعُوتِبوا كقوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ ([5]) الآية .

" فـــإذا ثبت هذا من ترتيب القرآن ومعاني آياته ؛ فعلى المكلف العمل على وفق ذلك التأديب " وممـــن ذهب مذهب الشاطبي الإمام الطحاوي ([6]) حين قال : " والأمن واليأس ينقلان عن ملة

---

[1] سورة الحجر الآيتين 49ـ 50

[2] معترك الأقران في إعجاز القرآن ج 2 / 168

[3] المرافق على الموافق ج2 /533

[4] سورة الزمر الآية 53

[5] سورة الأحزاب الآية 57

[6] هـو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الأزدي الحافظ الكبير محدث الديار المصرية وفقيهها الحنفي نسبته إلى طحا بفتح الطاء والحاء المهملتين وبعدهما ألف ؛ وهي قرية بصعيد مصر وإلى الأزد بفتح الهمزة وسكون الزاء المعجمة وبالدال المهملة وهي قبيلة مـشهورة من قبائل اليمن ، كانت ولادته في سنة تسع وثلاثين ومئتين ، صنف كتبا مفيدة منها " أحكام القرآن " ، و" إختلاف العلماء " ،و " معانـي الآثـار "، و" الشروط " ، وله تاريخ كبير وغير ذلك ، توفي سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ليلة الخميس مستهل =

الإســـلام ، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة.....ثم شرح ذلك ابن أبي العز قائلا : "... يجب أن يكــون العــبد خائفا راجيا ..... ولهذا قيل : إن العبد ينبغي أن يكون رجاؤه في مرضه أرجح من خوفه ، بخلاف زمن الصحة ، فإنه يكون خوفه أرجح من رجائه ، وقال بعضهم : من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري ...." ([1]) .



= ذي القعدة بمصر ودفن بالقرافة وقبره مشهور بها ينظر ، وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 / 71ـ 72، سير أعلام النبلاء للذهبي ج 15 / 27 ـ 33، شذرات الذهب لابن العماد ج 4 / 105 ـ 106

[1] ينظر شرح العقيدة الطحاوية ص 330 ـ 331بتصرف ، وللمزيد في معرفة أقوال أهل العلم في هذه المسألة ينظر كتاب " جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة " لعبد الله ابن فهد بن عبد الرحمان العرفج ص 227 ـ 253 ، الطبعة الأولى 1428 هـ ـ 2007 م دار التوحيد للنشر بالرياض

# المبحث الثامن
# التفسير العلمي للقرآن

**تعريفه :**

عــرف بعــدة تعاريــف أذكــر مــنها تعريف محمد حسين الذهبي : " هو التفسير الذي يحكّم الاصــطلاحات العلمية في عبارات القرآن الكريم ، ويجهّد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها " ([1]) .

لقــد تحــدث الشاطبي في كتاب المقاصد عن العلوم التي كانت عند العرب ، فجاءت الشريعة فــصححت مــنها ما هو صحيح وبيان منافعه ، وأبطلت الباطل منها وبينت مضاره ومن تلك العلــوم المعهودة عند العرب قال : " فمن علومها علم النجوم وما يختص بها من الاهتداء في البــر والبحر، واختلاف الأزمان باختلاف سيرها ، وتعرف منازل سير النيّرين وما يتعلق بهذا المعنــى ، وهــو معنــى مقرر في أثناء القرآن في مواضع كثيرة ، كقوله تعالى ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ** ﴾ ([2]) وقوله ﴿ **وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾** ﴾ ([3]) وقوله ﴿ **وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ﴿٤٠﴾** ﴾ ([4]) الآية وقوله ﴿ **وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ** ﴾ ([5]) ..... وعلــم الأنــواء ، وأوقــات نزول المطر ومنها علم

---

[1] ينظر علم التفسير لمحمد حسين الذهبي ص 73 ،( ضمن سلسلة كتابك ، الإصدار 09 ـ دار المعارف القاهرة ـ )

[2] سورة الأنعام الآية 97

[3] سورة النحل الآية 16

[4] سورة يس الآية 39 ـ 40

[5] سورة الملك الآية 05

الـــتاريخ و أخبار الأمم الماضية .." ([1]) أما عن العلوم التي جميعها باطل قال : " أو جميعه ؛ كعلـــم العيافة والزجر والكهانة وخط الرمل والضرب بالحصى والطَّيرة ([2]) فأبطلت الشريعة من ذلك الباطلَ ونهت عنه ، كالكهانة والزجر ، وخط الرمل ، وأقرَّت الفأل لا من جهة تطلب الغيب ، فإن الكهانة والزجر كذلك ، وأكثر هذه الأمور تخرّص على علم الغيب من غير دليل فجـــاء النبـــي ﷺ بجهةٍ من تعرُّف علم الغيب مما هو حق محض ...." ( [3] ) ، أما العلوم التي أكثـــرها باطـــل : " ومنها علم الطب ؛ فقد كان في العرب منه شيء لا على ما عند الأوائل بل مأخـــوذ من تجاريب الأميين ، غير مبنى على علوم الطبيعة التي يقررها الأقدمون وعلى ذلك المـــساق جـــاء في الشريعة، لكن على وجه جامع شاف قليل يُطَّلع منه على كثير، فقال تعالى﴿ **وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ** ﴾ ( [4] )وجـــاء فـــي الحديث التعريف ببعض الأدوية لبعض الأدواء وأبطل من ذلك ما هو باطل ، كالتداوي بالخمر، والرُّقي التي اشتملت على ما لا يجوز شرعا ، منها التفنن في علم فنون البلاغة والخوض في وجوه الفصاحة ، ومنها ضرب الأمثال....." ([5]) ونظم ماء العينين ( [6] ) ذلك فقال :

**صَـــــحَّح الـــــشَّرعُ صـــــحيحَها وزاد ... وأبطَـــــل الـــــباطِل و الـــــنَّفعَ أراد**
**فَمِـــــن عُلـــــومِها الـــــنجومُ وعلـــــومُ ... أَنـــــوائِها وعِلـــــمُ تـــــاريخ تَـــــرُومُ**
**وباطـــــلٌ كـــــالعِلمِ بالعـــــيَافَـــــه ... والزَّجـــــرُ مـــــنه وكـــــذا الكَهانَـــــه**
**وخَـــــطُّ رَمـــــلٍ ثُـــــمَّ ضَـــــربٌ بالحَـــــصَا ... طِيـــــرَةٌ بِعَكـــــسِ فـــــالٍ فاحرِصَـــــا**

---

[1] ينظر الموافقات ج 2 / 54 ـ 56، ج 2 / 112 ـ 118 بتصرف

[2] العيافة زَجر الطَّير ، أي يرى طائرا أو غرابا فيتطيَّر، الكهانة : تعاطي الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ، والخط هو من الكهانة أيضًا ، ينظر شرح ماء العينين بالتفصيل المرافق على الموافق ج 1 / 187 ـ 197

[3] المصدر السابق ج 2 / 56 ـ 57، ج 2 / 118 ـ 119

[4] سورة الأعراف الآية 31

[5] الموافقات ج 2/ 57 ـ 58، ج 2 / 120 ـ 124 بتصرف

[6] المرافق على الموافق ج 1 / 184

فهكذا بدأ الإمام الشاطبي بعرض كلِّ هذه الأقوال وإبرازها مع أدلتها المقرونة بالآيات القرآنية ، ليصل إلى نفي ما يسمى بالتفسير العلمي ، فهاهو يقول : " أن كثيرًا من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحدَّ، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين ، من علوم الطبيعيات ([1]) ، والتعاليم ، والمنطق ([2]) ، وعلم الحروف ([3]) ، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها ، وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح ، وإلى هذا فإن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه وما أودع فيه ، ولم يبلغنا أنه تكلم أحدٌ منهم في شيء من هذا المدعي ، سوى ما تقدم وما ثبت فيه من أحكام التكاليف وأحكام الآخرة وما يلي ذلك ، ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر لبلغنا منه ما يدلُّنا على أصل المسألة ؛ إلا أن ذلك لم يكن فدل على أنه غير موجود عندهم ، وذلك دليل على أن القرآن لم يُقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا ، نعم تضمن علومًا هي من جنس علوم العرب أو ما ينبني على معهودها مما يتعجب منه أولو الألباب ، ولا تبلغه إدراكات العقول الراجحة دون الاهتداء بأعلامه والاستنارة بنوره ، أما أن فيه ما ليس من ذلك ، فلا وربما استدلوا على

---

[1] هو علم يبحث عن الجسم من جهة ما يلحقُهُ من الحركة و السُّكون ؛ فينظر في الأجسام السماوية و العنصرية وما يتولد عنها من إنسان وحيوان ونبات ومعدن ، ينظر مقدمة ابن خلدون ص 490 ، دار الفكر الطبعة الأولى 1423هـ ـ 2003 م تحقيق خليل شحادة ، أبجد العلوم لصديق خان ج 1 / 356 ـ 367 ( دار الكتب العلمية ـ لبنان ـ ) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم لطاش كبرى زاده ج 1 / 301 ـ 307 ( أحمد بن مصطفى ، الطبعة الأولى 1405 هـ ـ 1985 م ، دار الكتب العلمية ـ لبنان ـ )

[2] المنطق هو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعرفة للماهيات ، والحجج المفيدة للتصديقات ، المصدر السابق ص 486 ، أبجد العلوم للقنوجي ج 2 / 521 ـ 530 ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم لطاش كبرى زاده ج 1 / 272 ـ 279

[3] يسمى بالسيميا ، وهو منقول من الطِلَّسمات ، حدث عند ظهور غلاة الصوفية ، وللمزيد في التفصيل ينظر المصدر السابق ص 500ـ 504 ،أبجد العلوم للقنوجي ج 2 / 332 ـ 333

دعــواهم بقــوله تعالى ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ ([1]) وقوله ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ ([2]) ونحو ذلك ...." ([3]) فأجاب بأن المقصود بالآيات عند المفسرين : " ما يتعلق بحال التكليف والتعبد أو المراد بالكتاب في قوله ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ اللوح المحفــوظ ([4]) ، ولم يذكروا فيها ما يقتضي تضمنه لجميع العلوم النقلية والعقلية.." ([5]) ، ثم قال : " فليس بجائز أن يضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه ، كما أنه لا يصح أن ينكر منه ما يقتضيه ، ويجــب الاقتصار في الاستعانة على فهمه على كل ما يضاف علمه إلى العرب خاصة ، فبه يوصــل إلى علم ما أودع من الأحكام الشرعية، فمن طلبه بغير ما هو أداة له، ضلَّ عن فهمه ، وتقــوَّل علــى الله ورســوله فــيه والله أعلم وبه التوفيق " ([6]) ، وقال أيضا في كتاب الأدلة الشرعية : " ولكن قد يدعى فيما ليس بوسيلة أنه وسيلة إلى فهم القرآن ، وأنه مطلوب كطلب ما هــو وسيلة بالحقيقة ... وأما غير ذلك فقد يعده بعض الناس وسيلة أيضًا ولا يكون كذلك ؛ كما تقــدم في حكاية الرازي في جعل علم الهيئة ([7]) وسيلة إلى فهم قوله تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى

---

[1] سورة النحل الآية 89

[2] سورة الأنعام الآية 38

[3] الموافقات ج 2 / 60 ـ 61، ج 2/ 127 ـ129

[4] وهوقول أكثر المحققين كما قال الشنقيطي وغيره ينظر : العذب النَّمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ج 1 / 192 ( إعتنى به وعلّق عليه خالد ابن عثمان السبت ، الطبعة الأولى 1424 هـ ـ 2003 م ـ دار ابن القيم ودار ابن عفان ) ، تفسير الطبري ج 9 / 234 ،تفسير ابن أبي حاتم 6 / 1286

[5] المصدر نفسه ج 2 / 61، ج 2 / 129

[6] المصدر نفسه ج 2 / 62، ج 2/ 130 ـ131

[7] هو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة و المتحركة و المتحيِّرة ، ويستدلُّ بكيفيات تلك الحركات على أشكال و أوضاع للأفلاك ، مقدمة ابن خلدون ص 484، أبجد العلوم لصديق خان ج 2 / 576 ـ 583 ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم لطاش كبرى زاده ج 1/ 348 ـ 349

ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ۝٦ ﴾ ([1]) وزعم ابن رشد الحكيم في كتابه الذي سماه بـ " فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال " ([2]) أن علوم الفلسفة مطلوبة ، إذ لا يفهم المقصود من الشريعة على الحقيقة إلا بها ، ولو قال قائل إن الأمر بالضد مما قال لما بَعُد في المعارضة ، وشاهِدُ ما بين الخصمين شأن السلف الصالح في تلك العلوم ، هل كانوا آخذين فيها؟ ؛ أم كانوا تاركين لها أو غافلين عنها ؟ ،مع القطع بتحققهم بفهم القرآن ، يشهد لهم بذلك النبي ﷺ والجم الغفير، فلينظر امرؤ أين يضع قدمه ؟ ... " ([3])

إذن فمن تلك النصوص ، يظهر لنا موقف الشاطبي اتجاه هذا النوع من التفسير ، و المتمثل في إنكاره و رفضه ، وقوفا على ما اعتمده الرعيل الأول ، فكأنه يذكرنا بمقولة " كلُّ خير في إتباع السلف " .

ويعلق الباحث نعيم الحمصي عن هذا الكلام : " ... وفي هذا الرأي جانب جيد ، وهو وجوب الإستعانة في فهم القرآن بالمعارف اليقينية ، وترك كلّ ما هو ظني ، ولكنَّ إخبار القرآن ببعض الحوادث ، ثمَّ ما ورد فيه من معارف علمية كانت مجهولة زمن نزوله حتى أقرَّها العلم الحديث ممَّا أفاض فيه بعض العلماء في عصرنا ، يجعلان رأيه غير مسلّم به ، ويحملان على قبول الإعجاز العلمي في غير مبالغة ، وتحميل للنصّ ما لايحمل من معنى ؛ وذلك بالاعتماد على اليقينيات " ([4]) .

ومن المعاصرين الذين أنكروا هذا التفسير ، الشيخ محمد الأمين الشنقيطي حين قال : " واعلم وفقني الله وإياك أن التلاعب بكتاب الله جل وعلا و تفسيره بغير معناه لمحاولة توفيقه مع آراء

---

[1] سورة ق الآية 06

[2] للكتاب عدة طبعات قديمة ، ولقد إبتدأ ابن رشد ـ رحمه الله ـ الكتاب ببيان " حكم دراسة الفلسفة " ؛ ينظر فصل المقال ص 22 ( دراسة وتحقيق محمّد عمارة ، الطبعة الثانية 1983 م ـ دار المعارف القاهرة ـ )

[3] الموافقات ج 3 / 281 ، ج 4 / 198

[4] ينظر كتابه فكرة إعجاز القرآن من البعثة إلى عصرنا الحاضر ص 155 ( الطبعة الثانية 1400هـ ـ 1980م ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ )

كفرة الإفرنج ليس فيه شيء البتة من مصلحة الدنيا و الآخرة ، و إنما فيه فساد الدارين ، ونحن إذ نمنع التلاعب بكتاب الله و تفسيره بغير معناه نخص جميع المسلمين على بذل الوسع في تعليم ما ينفعهم من هذه العلوم الدنيوية مع تمسكهم بدينهم ، كما قال تعالى ﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ** ﴾ [1]..... " ( [2] ) .

وجاء في دائر المعارف الإسلامية بعدما نقلوا كلام الشاطبي بأكمله حول هذا الموضوع : " وهناك نواح أخرى من النظر محدثة ، تؤيد الرأي القديم الذي بينه الشاطبي في كيفية فهم عبارة القرآن ، وتجعل من الخير ألا توجه العناية إلى مثل هذا الضرب من التفسير العلمي ، لأنه ليس بذي جدوى على القرآن نفسه ، والقرآن غنيّ عن أن يعتز بمثل هذا التكلف الذي يوشك أن يخرج به عن هدفه الإنساني الاجتماعي في إصلاح الحياة ، ورياضة نفوس الناس جميعا على اختلاف حظهم من العلوم الطبيعية الرياضية وما إليها .. " ( [3] ) .

قال مناع القطان : " القرآن الكريم كتاب عقيدة وهداية ، يخاطب الضمير فيحي فيه عوامل النمو والارتقاء ،وبواعث الخير والفضيلة ،..وإعجازه العلمي ( [4] ) ليس في اشتماله على النظريات العلمية التي تتجدد وتتبدل ، وتكون ثمرة للجهد البشري في البحث و النظر ، وإنما في حثه على التفكير ؛ فهو يحث الإنسان على النظر في الكون وتدبره ..." ([5]) .

---

[1] سورة الأنفال الآية 60

[2] أضواء البيان ج 3 / 98 ـ 99

[3] ينظر دائرة المعارف الإسلامية ج 9 / 425

[4] هنا تنبيه هام لابد من مراعاته في تلك المسألة ؛ ألا وهو وجود فرق بين مسمى [ الإعجاز العلمي ] و [ التفسير العلمي ] ، فالإعجاز العلمي قاعدة صلبة يقف عليها المسلمون جميعا بكل ثقة ، ولكن الخلاف الموجود بين العلماء في تطبيقه وإنزاله على النصوص أم لا ؟ ، ذلك راجع لعدم الثقة في مداركنا نحن البشر ، ولمعرفة المزيد حول هذا التفريق ينظر : إتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري لفهد الرومي ج 2 / 654 ـ 655 ( رسالة دكتوراه مقدمة لكليةأصول الدين ـ قسم القرآن وعلومه ـ بجامعة الإمام محمد ابن سعود تحت إشراف الدكتور مصطفى مسلم عام 1404هـ ـ 1405هـ ،عندي نسخة مصورة ) ، ثم صدرت لاحقا عن مؤسسة الرسالة ولم أظفر بها .

[5] ينظر مباحث في علوم القرآن ص 270

قال الذهبي ([1]) : ".. أما أنا فاعتقادي أن الحق مع الشاطبي رحمه الله ، لأن الأدلة التي ساقها لتـــصحيح مدعاه أدلة قوية ، لا يعتريها الضعف ، و لا يتطرق إليها الخلل ، ولأن ما أجاب به على أدلة مخالفيه ، أجوبة سديدة دامغة ..... ودعم رأيه هذا بعدة نواحي منها :

**الناحـــية اللغوية** :قال أن الألفاظ اللغوية لم تقف عند معنى واحد من لدن استعمالها إلى اليوم ، وأن هذه المعاني كلها تقوم بلفظ واحد ، بعضها عرفته العرب وقت نزول القرآن ، وبعضها لا علـــم للعرب به وقت نزول القرآن ، نظراً لحدوثه و طروه على اللفظ ، فهل يعقل بعد ذلك أن نتوســـع مع هذا التوسيع العجيب في فهم ألفاظ القرآن ، وجعلها تدل على معان جدث باصطلاح حادث ، ولم تعرف للعرب الذين نزل القرآن عليهم ؟

**الناحـــية البلاغية** : ومعلوم أن القرآن في أعلى درجات البلاغة ، فإذا نحن ذهبنا مذهب أرباب التفـــسير العلمـــي وقلنا بأن القرآن متضمن لكلِّ العلوم و ألفاظه متحملة لهذه المعاني المستحدثة لأوقعنا أنفسنا في ورطة لا خلاص لنا منها إلا بما يخدش بلاغة القرآن أو يذهب بفطانة العرب وهذا سلب لأهم خصائص القرآن .

**الناحـــية الإعـــتقادية** : فـــإذا نحـــن ذهبنا مذهب من يحمل القرآن كلّ شيء ، وجعلناه مصدراً لجوامع الطب ، وضوابط الفلك ،ونظريات الهندسة ، وقوانين الكيمياء ، وما إلى ذلك من العلوم المخـــتلفة ، لكنا بذلك قد أوقعنا الشك في عقائد المسلمين نحو القرآن الكريم ، وذلك لأن قواعد

---

[1] محمد حسين الذهبي من مواليد قرية مطوبس بمحافظة كفر الشيخ عام 1333هـ ـ 1915 م ، من علماء الأزهر تخرج في كلية الشريعة وعيّن إماما وخطيبا بمساجد الأوقاف ؛ حصل على شهادة العالمية بدرجة أستاذ عام 1947، انتدب للتدريس في السعودية ما بين السنوات 1948 ـ 1952، ليعود بعدها إلى القاهرة ثم مدرسا في كليتي الحقوق والشريعة بجامعة بغداد ، أصبح وزيراً للأوقاف وشؤون الأزهر عام 1975 ـ 1976 ، قتل رحمه الله في شهر رجب سنة 1397هـ ـ 1977م تاركا وراءه مجموعة من التصانيف منها : " التفسير والمفسرون " ، " مقدمة في علم التفسير " ، " مقدمة في علوم القرآن " ، " الاتجاهات المنحرفة في التفسير " ، " الإسلام وأهل الذمة " ، وغيرها من المؤلفات المفيدة ، ينظر تتمة الأعلام للزركلي لمحمّد خير رمضان يوسف ج 2/ 145( الطبعة الثانية 1422هـ ـ 1998م ، دار ابن حزم ) ،المستدرك على تتمة الأعلام لرمضان يوسف ص 240 ( الطبعة الأولى 1422 هـ ـ 1998م دار ابن حزم ـ بيروت ـ ) ، ذيل الأعلام لأحمد العلاونة ص 174 ـ 175( الطبعة الأولى 1418 هـ ـ 1998 م ، دار المنارة ـ جدة ـ ) ،إتمام الأعلام للدكتور نزار أباظة ـ محمّد رياض المالح ص 231 ( الطبعة الأولى 1999م ، دار صادر بيروت )

العلــوم وما تقوم عليه من نظريات ، لا قرار لها و لا بقاء " وكخلاصة لكلامه الطويل ، الذي نفى فيه اعتماد هذا النوع من التفسير قال مرَّة أخرى : " وليعلم أصحاب هذه الفكرة أيضا ، أن مــن الخير لهم ، ولكتابهم أن لا ينحوا بالقرآن هذا المنحى في تفسيرهم رغبة منهم في إظهار إعجــاز القرآن و صلاحيته للتمشي مع التطور الزمني ، وحسبهم أن لا يكون في القرآن نص صريح يصادم حقيقة علمية ثابتة ، وحسب القرآن أنه يمكن التوفيق بينه وبين ما جدَّ و يجد من نظريات و قوانين علمية تقوم على أساس من الحق ، وتستند إلى أصل من الصحة .." ([1])

وقــال أيضا : " .... ويظهر لنا على حسب ما قرأنا ــ أن زعيم المعارضة للتفسير العلمي ــ قــديما هو الفقيه الأصولي أبو إسحاق الشاطبي .... واعتقادي : أن الحق مع الشاطبي ؛ لأن ما ساقه من الأدلة لتصحيح مدّعاه أدلة قوية لا يعتريها الضعف ، ولا يتطرق إليها الخلل .." ([2])

ومــن العلمــاء الذين وقفوا ضد موقف الشاطبي ، أذكر محمد الصادق عرجون حين ناقشه في مجموعة من النقاط ، وهي على الترتيب الآتي :

ـــ حول أمية الشريعة ، فقال إن أمية النبي ﷺ التي فسرها العلماء بأنه ﷺكان لا يكتب و لا يقرأ .

ــ لقد فهم محمد الصادق عرجون من كلام الشاطبي ، أنه يعارض الإنسانية وما يكون لها في مستقبل حياتها من العلم والمعرفة ، ولكن الصواب العكس ، فالشاطبي من إثارتها لهذه الجزئية لا يقــصد ذلــك أبدا ، إنما هو يرفض الخوض في القرآن الكريم بمثل تلك التأويلات التي هي ليست معهودة عند العرب ، إذن أقول فلست بحاجة إلى الاعتذار له ، ومما يؤكد كلامي فانظر أقواله :

قــال : " ... وموقــف " الــشاطبي " في هذه القضية متهافت لا يقوم على دعائم من الأصول القوية التي تسنده ، إذ لا دخل أبدًا لأمية النبي ﷺ التي فسرها العلماء بأنه ﷺ كان لا يكتب و لا يقرأ ، وأنه لم يجلس إلى العلماء لمدارسة العلم عن الكتب و الصحف ، كما يشير إلى ذلك

[1] ينظر التفسير و المفسرون ج 2 / 190ـ 193 بتصرف

[2] ينظر علم التفسير لمحمد حسين الذهبي ص 74

مـــا ساقه الشاطبي نفسه في أدلته نحو قوله تعالى ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ (1) وقـــوله تعالى ﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (2) " .

قال محمد الصادق عرجون ( 3 ) : " وللإمام الشاطبي بعض العذر في وقوفه في الطرف المقابل لخـــط القائلين بأن القرآن جمع علوم الأولين و الآخرين فجاء فيه الطب و الهندسة و الجبر و المقابلة و النجامة و الصنائع التي تتغير و تتطور بتغير التفكير و تطور الحياة ، وكان هذا من غير شك إغراقًا في تحميل القرآن مال لم يقصد إليه ولذلك نجد الشاطبي يصرح بذلك فيقول : إن كثيـــرًا مـــن الـــناس تجـــاوزوا في الدعوى على القرآن الحد ، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين من علوم الطبيعيات و التعاليم و المنطق و علم الحروف وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون و أشباهها " ( 4 ) .

**بعض مؤاخذات هذا التفسير :**

ذكر الشيخ محمود شلتوت بعض الأخطاء التي تنجر عن مثل هذا النوع مكن التفسير فقال :

---

[1] سورة الأعراف الآية 157

[2] سورة العنكبوت الآية 48

[3] عـالم ناقـد مـن مواليـد أدفـوا بمحافظـة أسوان 1321 هـ ـ 1903 م تعلم بالأزهر عين مدرسا بمعاهد الأزهر ثم أستاذاً في بعض الجامعـات العـربية بالكـويت والـسودان والـسعودية تـوفي في 09نوفمـبر سنة 1400 هـ ـ 1980 م ، كان جهده منصبا في التحقيق التاريخـي فـترك لنا عدة كتب منها : " محمد رسول الله في أربعة مجلدات ، " عثمان ابن عفان " ، " القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين" ، " رد مزاعم رسالة في قراءات القرآن " ،" نحو منهج في تفسير القرآن" ، " الأمة الإسلامية كما يريدها القرآن " ، " نفحات الإنعام من تفسير سورة الأنعام " ، " تفسير سورة التوبة والروم و لقمان و السجدة " ، والمصنفين الأخريين مخطوطتين ، ينظر معجم الأدباء لكامل سلمان الجبوري ج 5 / 351 ـ 352 ، تتمة الأعلام لرمضان يوسف ج 2 / 166 ـ 167، ذيل الأعلام لأحمد العلاونة ص 181ـ 182، إتمام الأعلام لنزار أباظة ورياض المالح ص 242

[4] القـرآن العظـيم هدايـته و إعجـازه في أقـوال المفسرين ص 261 ـ 264 على التوالي ،( طبعة 1386 هـ ـ 1966 م ، مكتبة الكليات الأزهرية ـ مصر ـ )

" ــ هذه النظرة للقرآن خاطئة من غير شك ، لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتابا يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون و أنواع المعارف .

ــ وهي خاطئة من غير شك ؛ لأنها تحمل أصحابها و المغرمين بها على تأويل القرآن تأويلا متكلفاً يتنافى مع الإعجاز ، ولا يسيغه الذوق السليم .

ــ وهي خاطئة ، لأنها تعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كلِّ زمان ومكان ، والعلوم لا تعــرف الثــبات و لا القرار و لا الرأي الأخير ، فقد يصح اليوم في نزر العلم ما يصح غدا من الخرافات .

فلو طبقنا القرآن على هذه المسائل العلمية المتقلبة ، لعرضناه للتقلب معها وتحمل تبعات الخطأ فــيها ، و لأوقفــنا أنفسنا موقفاً حرجاً في الدفاع عنه ، فلندع للقرآن عظمته وجلالته ، ولنحفظ علــيه قدسيته ومهابته ، ..... وحسبنا أن القرآن لم يصادم ــ حقيقة من حقائق العلوم تطمئن إليها العقول " ([1]) .

**شــروط التفــسير العلمــي :** إن القرآن الكريم لا يعارض العلم بإطلاق ، فجمعا بين الطرفين المنكرين و الغاليين في هذا النوع من التفسير ، وضع بعض الباحثين شروط وضوابط لقبوله ، حتى لا يقع أحد في التقول على الله بغير علم ، ومن تلك الشروط نذكر ([2]) :

- أن يكون التفسير للآيات الكونية مطابقاً لمعنى النظم القرآني .
- ألا يخرج حدّ التفسير إلى عرض النظريات العلمية المتضاربة .
- أن يتثبت المفسر من النظريات العلمية التي يفسر بها الإشارات القرآنية الكونية .
- أن يلتــزم بالمعاني اللغوية في اللغة العربية للآيات التي يريد إيضاح إشاراتها العلمية ، لأن القرآن عربي .
- ألا يخالف مضمونا شرعيا في تفسيره .

---

[1] ينظر تفسير القرآن الكريم ص 13 ـ 14 ، ( الطبعة التاسعة 1402 هـ ـ 1982 م ، دار الشروق ـ بيروت و القاهرة

[2] ينظر أصول التفسير وقواعده للعك ص 224 ، المقدمات الأساسية في علوم القرآن للجديع ص 390 ، بحوث في أصول التفسير ومناهجه لفهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي ص 99 ، إتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري لفهد الرومي ج 2 / 658

# المبحث التاسع
# التعارض والترجيح

**آيات ظاهرها التعارض :**

قبل أن نستعرض هذا المبحث نذكر بأنه قد يَعْرِضُ أحياناً لقارئ كتاب الله الكريم بعض الآيات التي تدل بظاهرها على تعارض وعدم توافق مع آيات أُخر؛ فيشكل الأمر على القارئ لكتاب الله – وخاصة إذا كان زاده من علم التفسير يسيرًا – وربما أورث ذلك شكًا في نفسه، فيقف حائرًا في ذلك ، ومتسائلاً عن وجه التوفيق بين ما بدا له ــ للوهلة الأولى – أن ثمة تعارضًا بين بعض آيات الكتاب الكريم، لكن إذا أمعنا النظر، وأعملنا البحث ، بدا لنا وجه الحق في الأمر، وعلمنا أن آيات القرآن لا تعارض بينها البتة، وأن ما يبدو فيها من تعارض واختلاف، إنما هو تعارض واختلاف في أذهاننا فحسب ، أما في حقيقة الأمر فليس هناك تعارض ولا اختلاف ؛ إذ كيف يكون ذلك ، ومصدر الكتاب واحد ، وهو رب العالمين ﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا** ﴿٨٢﴾ ﴾ والآية الكريمة تدل بمفهومها، أن القرآن الكريم ما دام من عند الله فليس من المعقول عقلاً، ولا من المقبول شرعًا أن يكون فيه اختلاف أو تعارض ؛ إذ إن مثل هذا الأمر مما يقبح في كلام البشر، فكيف يليق بكلام رب البشر . وانطلاقًا من أهمية هذا العلم وغايته ، فإننا في محور القرآن الكريم ستكون لنا وقفة مع بعض الآيات التي يفيد ظاهرها التعارض والاختلاف ، نحاول فيها بيان أوجه التوفيق والجمع بينها، معتمدين في ذلك على أقوال أهل العلم في هذا الشأن؛ واللهَ نسأل الرشد والصواب في الأمر كله فهو حسبنا ونعم الوكيل

فنقول أن الشاطبي رحمه الله قد أورد في الباب العاشر من الاعتصام مجموعة آيات ادعى فيها بعض الغافلين أنها متعارضة فقال : " **أحدها** قول من قال : إن قوله تعالى ﴿ **وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ**

عَلَىٰ بَعۡضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [1] يتناقض مع قوله تعالى﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [2] " ([3]) .

ولدفع هذا التعارض استدل بمسائل نافع بن الأزرق لابن عباس ﷺ فقال حين أجاب : " - يعنى ابن عباس ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾في النفخة الأولى﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ﴾ ([4]) فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون ، ثم في النفخة الأخرى أقبل بعضهم على بعض يتساءلون " ([5]) ، وأجاب محمّد الأمين الشنقيطي قائلا : " .. أن المراد بنفي الأنساب انقطاع فوائدها و آثارها التي كانت مترتبة عليها في الدنيا ، من العواطف والنفع و الصلات و التفاخر بالآباء لا نفي حقيقتها .

والجواب الثاني من ثلاثة أوجه : **الأول** ؛ أن نفي السؤال بعد النفخة الأولى ، وقبل الثانية و إثباته بعدهما معاً .

**الثاني** : أن نفي السؤال عند اشتغالهم بالصعق و المحاسبة و الجواز على الصراط وإثباته فيما عدى ذلك ، وهو عن السدي من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس .

**الثالث** : أن السؤال المنفي سؤال خاص ، وهو سؤال بعضهم العفو من بعض فيما بينهم من حقوق لقنوطهم من الإعطاء ، ولو كان المسؤول أبا أو ابنا أو أما أو زوجة ، ذكر هذه الأوجه الثلاثة أيضا صاحب الإتقان " ([6]) .

ومن الأمثلة أيضا : قول من قال في قوله تعالى ﴿ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ

---

[1] سورة الصافات الآية 27

[2] سورة المؤمنون الآية 101

[3] ينظر الاعتصام ج 2/ 507 ، ج 3 / 384 ـ 385 تحقيق مشهور ، الموافقات ج 3 / 214 ـ 215 ط ابن عفان

[4] سورة الزمر الآية 68

[5] أخرجه البخاري معلّقا وينظر الاعتصام ج 2 / 508 ـ 509

[6] دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب، ينظر أضواء البيان ج 10 / 146

﴿ ﴾ ([1]) مـــضاد لقوله ﴿ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [2]) وقوله تعالى ﴿ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ ([3]) " ([4]) .

ولم يدفع الشاطبي هذا التعارض ، ولكني وجدت كلام محمد الأمين الشنقيطي ، حين قال حول آية الأعراف ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ ﴾ ([5]) : " ... وقد جاءت آيات أخر تدل على خلاف ذلك ، كقوله ﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ ([6]) ، والجواب عن هذا من ثلاثة أوجه :

**الأول** : وهو أوجهها لدلالة القرآن عليه هو أن السؤال قسمان :

ســـؤال توبـــيخ وتقـــريع و أداته غالبا " لم " ، وسؤال استخبار و استعلام وأداته غالبا " هل " فالمثـــبت هـــو سؤال التوبيخ و التقريع و المنفي هو سؤال الاستخبار و الاستعلام ، وجه دلالة القـــرآن علـــى هـــذا أن ســـؤاله لهم المنصوص في كله توبيخ و تقريع كقوله ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ ([7]) وكقـــوله ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ ([8]) ، وسؤال الله للرسل ماذا أجبتم لتوبيخ الذين كذبوهم كسؤال المؤودة ،﴿بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾ ([9]) .

---

[1] سورة الرحمان الآية 39

[2] سورة العنكبوت الآية 13

[3] سورة النحل الآية 93

[4] الاعتصام ج 2 / 508

[5] سورة الأعراف الآية 6

[6] سورة القصص الآية 78

[7] سورة الصافات الآية 24 ـ25

[8] سورة الملك الآية 08

[9] سورة التكوير الآية 09

**الوجه الثاني :** أن في القيامة مواقف متعددة ، ففي بعضها يسألون ، وفي بعضها لا يسألون

**الـــوجه الـــثالث :** هو ما ذكره الحليمي من أن إثبات السؤال محمول على السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل وعدم السؤال محمول على ما يستلزمه الإقرار بالنبوات

من شرائع الدين وفروعه ، ويدل لهذا القول قوله تعالى فيقول ﴿ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ ([1]) والعلم عند الله تعالى " ([2]) .

والـــثالث قـــول مـــن قال في قوله تعالى﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ ﴾([3]) إلـــى قوله تعالى﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ ([4]) ، إن هـــذا صريح في أن الأرض مخلوقة قبل السماء ، وفي الآية الأخرى ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ ﴾[5]فـــصرح بأن الأرض مخلوقة بعد السماء " ([6]) ، فأجاب عن هـــذا التعارض بجواب ابن عباس رضي الله عنه " وقوله ﷻ ﴿ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ ، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ ، ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ ، آخـــرين ثم دحا الأرض ، ودحـــوها أن أخرج منها الماء والمرعى ، وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينهما في يومين

---

[1] سورة القصص الآية 65

[2] دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب، ينظر أضواء البيان ج 10 / 92 ـ93

[3] سورة فصلت الآية 09

[4] سورة فصلت الآية 11

[5] سورة النازعات الآيات 27 ـ30

[6] الاعتصام ج 2 / 508

آخـــرين فذلك قوله ﴿ دَحَىٰهَا ﴿٣٠﴾ ﴾وقوله تعالى ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ فخلقت الأرض ما فيها من شيء في أربعة أيام ، وخلقت السماوات في يومين " ([1]) .

فمعنـــى جواب ابن عباس رضي الله عنهما ، بأن الله تعالى خلق الأرض أولا قبل السماء غير مدحـــوة ، ثـــم استوى إلى السماء فسواهن سبعا في يومين ثم دحا الأرض بعد ذلك ،وجعل فيها الرواســـي و الأنهـــار وغيـــر ذلـــك ، فأصل خلق الأرض قبل خلق السماء ودحوها بجبالها و أشجارها ونحو ذلك بعد خلق السماء

وقال الشنقيطي في نفس التعارض عند قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ ([2]) " هذه الآية تدل على أن خلق الأرض قبل خلق السماء بليل لفظة " ثـــم " التـــي هي للترتيب و الانفصال ، ... مع أن آية النازعات تدل على أن دحو الأرض بعد خلق السماء ... " ، ثم أنه استحسن جواب ابن عباس بقوله : " وهذا الجمع الذي جمع بينه ابن عـــباس بـــين هاتين الآيتين واضح لا إشكال فيه ، مفهوم من ظاهر القرآن العظيم ، إلا أنه يرد علـــيه إشـــكال مـــن آية البقرة هذه ، و إيضاحه أن ابن عباس جمع بأن خلق الأرض قبل خلق الـــسماء ودحـــوها بما فيها بعد خلق السماء،وفي هذه الآية التصريح بأن جميع ما في الأرض مخلـــوق قبل خلق السماء ، وقد مكثت زمنا طويلا أفكر في حل هذا الإشكال ، حتى هدانِّي الله إلـــيه ذات يـــوم ففهمـــته من القرآن العظيم ، والإشكال مرفوع من وجهين : **الأول** : أن المراد بخلـــق ما في الأرض جميعا قبل خلق السماء : الخلق اللغوي الذي هو التقدير لا الخلق بالفعل الذي هو الإبراز من العدم إلى الوجود ، و العرب تسمي التقدير خلقا ومنه قول زهير :

**ولأنـــت تفـــري مـــا خلقـــت وبعـــ ـــض القـــوم يخلـــق ثـــم يفـــري**

[1] الاعتصام ج 2 / 509

[2] سورة البقرة الآية 29

والدليل على أن المراد بهذا الخلق التقدير ، أنه تعالى نص على ذلك في سورة فصلت حيث قال ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا ﴾ ([1]) .

**الوجه الثاني** : " أنه لما خلق الأرض غير مدحوة وهي أصل لكل ما فيها ، كان كل ما فيها كأنه خلق بالفعل لوجود أصله فعلا ، والدليل من القرآن على أن وجود الأصل يمكن به إطلاق الخلق على الفرع ، وإن لم يكن موجودًا بالفعل ، قوله تعالى﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ ([2]) ، فقوله خلقناكم ثم صورناكم أي بخلقنا و تصويرنا لأبيكم آدم الذي هو أصلكم .... "([3]) ثم قال فعليه فلا إشكال في الآية وجمع بعضهم بأوجه ضعيفة لأنها مبنية على أن خلق السماء قبل الأرض ، وهو خلاف التحقيق منها أن " ثم " بمعنى الواو([4]) ، ومنها أنها للترتيب الذكرى كقوله ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ([5]) ، إلى غير ذلك من الأمثلة التي ظاهرها التعارض ، سواء في القرآن أو الحديث النبوي ، وبعدها ضرب عشرة نماذج في الاعتصام قال الشاطبي : " فهذه عشرة أمثلة تبين مواقع الإشكال ، وإني رتبتها مع ثلج اليقين ، فإن الذي عليه كل موفق بالشريعة أنه لا تناقض فيها ولا اختلاف ، فمن توهم ذلك فيها فلم ينعم النظر، ولا أعطى وحي الله حقه ، ولذلك قال الله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ

---

[1] سورة فصلت الآية 10

[2] سورة الأعراف الآية 11

[3] ينظر دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب ضمن أضواء البيان ج 10/ 11 ـ12

[4] والغريب أن الرازي وصف من قال بتقدم خلق الأرض عن السماء بالملحدة ، وهو من أولئك الذين ذهبوا إلى القول بأن "ثم " ليست للترتيب ،إنما هي من جهة تعديد النعم ،مثل قول الرجل لغيره ، أليس قد أعطيتك النعم العظيمة ثم رفعت قدرك ثم دفعت الخصوم عنك ، ينظر كلامه المذكور في تفسيره ج 2 / 155 ـ156

[5] سورة البلد الآية 17

﴿ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [1] فحضهم على التدبر أولا ، ثم أعقبه ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ فبين أنه لا اختلاف فيه وأنَّ التدبر يعين على تصديق ما أخبر به " [2]

**أمور هي من البدع :**

**تخصيص شيء من القرآن في التلاوة وللصلاة :**

قال : " ومنه تكرار السورة الواحدة في التلاوة أو في الركعة الواحدة ، فإن التلاوة لم تشرع على ذلك الوجه ، ولا أن يخص من القرآن شيئا دون شيء لا في صلاة ولا في غيرها ، فصار المخصص لها عاملا برأيه في التعبد لله" قال : "وخرَّج ابن وضاح عن مصعب قال سئل سفيان عن رجل يكثر قراءة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾ ولا يقرأ غيرها كما يقرؤها ، فكرهه وقال : إنما أنتم متبعون فاتبعوا الأولين ، ولم يبلغنا عنهم نحو هذا ، وإنما أنزل القرآن ليقرأ ولا يخص شيء دون شيء "

**الاجتماع لقراءة القرآن على هيئة الاجتماع أو ما يعرف بالإدارة :**

قال : " ومن ذلك قراءة القرآن بهيئة الاجتماع عشية عرفة في المسجد للدعاء تشبهًا بأهل عرفة .. " [3] .

---

[1] سورة النساء الآية 82

[2] الاعتصام ج 2 / 512 ـ513 ، ج 3 / 396 طبعة ـ دار التوحيد ـ

[3] ينظرالاعتصام 1 / 279 ـ 280 ، 2 / 300 ـ 302 ( طبعة مكتبة التوحيد ) رد على أمثال هؤلاء أيضا في الموافقات ج 3 / 53 ، وله فتوى أخرى أجاب عنها بكراهة قراءة القرآن بمثل هذه الصفة ، ينظر الفتاوى [ 265 ] ، وللشيخ فتاوى أخرى منها : أن ختم القرآن في رمضان ليس مطلوب ، وهذا بخلاف ما يراه أو يعتقده الكثير من الناس في أيامنا هذه ، تنظر الفتاوى [ 266 ـ 267] ،ومنها أيضا أن قراءة " يس " عند غسل الميت لابد أن يجتنبها المرء إحترام لكلام الباري ، ولأن ذلك من الإهانة للقرآن ، الفتاوى [ 268 ـ 269 ] ، ومثله قراءة القرآن على القبور جمعا فهي مكروهة عنده ؛ الفتاوى [ 270 ] ، لايحل تعليم القرآن الكريم للآخرين إلا لمن يتقنه أشد الإتقان ، الفتاوى [ 165 ] ، الأصل في سجود التلاوة السماع والتلقي ، لا الرأي والتخمين ، ينظر رأيه حول السجود في المفصل ، الموافقات [ ج 3 /51 ] ، والملاحظ في كامل هذه الفتاوى مدى تشبته وإلتزامه بالسنة ، فهو لا ينحاز عنها قيد أنملة كما يقولون ـ فرحمه الله رحمة واسعة ـ .

# المبحث العاشر
# بذور التفسير الموضوعي

**المطلب الأول** : تعريفه

قـــال حسين الذهبي : " نريد بالتفسير المضوعي ؛ تناول جانب واحد من جوانب القرآن الكريم بالدراســـة والـــبحث ، وغالـــبا مـــا تكون الدراسة لموضوع معين متناولة له من كلّ جوانبه ، مستوعبة لكل ما فيه من جزئيات ربما لا يتاح تناولها في التفسير العام .. " ( [1] ) .

قال محمد دراجي تطلق الوحدة الموضوعية ويقصد بها : " اتحاد الموضوع الذي ذكر متناثرا وأنه لا تباين فيه ولا اختلاف بل يؤلف وحدة موضوعية له كاملة.. "([2]) .

قـــال الـــباحث عبد الله بن يوسف جديع عنه بأنه هو : " الإعتناء بدراسة الموضوعات القرآنيَّة علـــى غيـــر الصورة التَّقليدية ، وإنَّما بالنَّظر إلى الأبواب ، كدراسة : الإيمان والكفر والنِّفاق في القـــرآن ، .... وهـــذا أســـلوب عصريٌّ لم يكن شائِعا في تصانيف السابقين على سبيل الإفراد

[1] ينظر علم التفسير لمحمد حسين الذهبي ص 69

[2] مجلة الموافقات ص 369 ، علوم القرآن للكتور عبد الفتاح أبو سنة ص 161 ( الطبعة الأولى 1416 هـ ـ 1995م دار الشروق

بالتَّأليف إنّما كانوا يراعون تتبع المصطلح القرآني من حيث الجملة " ([1]) .

أما عن أقسامه فيمكن حصرها في ثلاثة أنواع وهي ([2]) :

**الأول** : أن يتتبع الباحث كلمة من كلمات القرآن الكريم ، ويجمع الآيات التي وردت فيها هذه الكلمة أو مشتقاتها من مادتها اللغوية ، ثم يقوم بتفسيرها واستباط دلالالتها واستعمالات القرآن الكريم لها .

**الثاني** : جمع الآيات القرآنية التي تتناول قضية واحدة بأساليب مختلفة عرضا وتحليلا ومناقشة وتعليقا .

**الثالث** : تحديد الموضوع الذي تتناوله سورة قرآنية واحدة ثم دراسة هذا الموضوع من خلال تلك السورة الواحدة وحدها .

لقد اهتم الشاطبي بهذا النوع من التفاسير ، ولو لم يكن قد سُمي وعُرف بالاسم المذكور، كما هو في هذا العصر الذي قد بدأ فيه المفسرين والباحثين في جني ثماره ومما يؤكد ما ذكرت هو ما قاله الباحث أحمد رحماني في رده على أحد الطلبة الباحثين : ".. ويبدوا لي أن الباحث لم يضع يده على أهم الإرهاصات عند القدماء ، وأعني تلك التي صاغها صياغة علمية دقيقة عبقري شاطبة " الشاطبي " في كتابه الموافقات ، الذي قدم ملاحظات كانت سابقة لأوانها ، وربما لم نر بعدُ صياغة في موضوعها أوثق منها وأدق وأحكم ، وأدل على المراد..." ([3])

## تحليل بديع لسورة المؤمنون :

بعد أن عرض لنا الشاطبي مميزات القرآن المكي ، قام بالتحدث عن سورة المؤمنين على أساس أنها قضية واحدة ، وإن هي اشتملت على معان متعددة فلقد كان الغالب عليها هو ذكر إنكار الكفار للنبوة ، التي هي المدخل لتقرير النبوة للنبي ﷺ وإثبات أمر البعث والدار الآخرة فكانت السورة تبين وصف البشرية ، وما تنازعوا فيه منها ، وبأي وجه تكون على أكمل

[3] ينظر المقدمات الأساسية في علوم القرآن ص 389 ـ 390

[4] بحوث في أصول التفسير ومناهجه لفهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي ص 66 ـ 69 ، [ مكتبة التوبة ]

[1] ينظر مصادر التفسير الموضوعي 55 ـ56 لأحمد رحماني ( الطبعة الأولى 1419 هـ ـ 1998م ، مكتبة وهبة ، القاهرة )

وجـــوهها حتـــى تستحق الاصطفاء والاجتباء من الله تعالى فقال : " ... فافتتحت السورة بثلاث جمـــل إحداها وهي الآكد في المقام ــ بيان الأوصاف المكتسبة للعبد التي إذا اتصف بها رفعة الله وأكرمه ، وذلك قوله ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ﴾ ([1]) إلى قوله﴿ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾ ([2]) والثانـــية بـــيان أصل التكوين للإنسان وتطويره الذي حصل له ، جاريًا على مجاري الاعتبار والاختيار، بحيث لا يجد الطاعن إلى الطعن على من هذا حاله سبيلا والثالثة بيان وجوه الإمداد له من خارج بما يليق به في التربية والرفق ، والإعانة على إقامة الحياة ، وأن ذلك له بتسخير الـــسماوات والأرض ومـــا بينهما ، وكفى بهذا تشريفا وتكريما ؛ ثم ذكرت قصص من تقدم مع أنبـــيائهم واستهزائهم بهم بأمور منها كونهم من البشر، ففي قصة نوح مع قومه قولهم﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾ ([3]) ثم أجمل ذكر قوم آخرين أرسل فيهم رسولا منهم أي من البشر لا من الملائكة ، فقالوا ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ ﴾ ([4]الآية ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝٣٤ ﴾ ([5]) ثم قالوا ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾([6]) أي هـــو من البشر، ثم قال تعالى﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ﴾ ([7]) فقـــوله ﴿رَّسُولُهَا ﴾ مشيرا إلى أن المراد رسولها الذي تعرفه منها ، ثم ذكر موسى وهارون وردَّ فرعون وملائه بقولهم ﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ﴾ ([8]) الخ ، هذا كله حكاية عن الكفار

---

[2] سورة المؤمنون الآية 01
[3] سورة المؤمنون الآية 11
[1] سورة المؤمنون الآية 24
[2] سورة المؤمنون الآية 33
[3] سورة المؤمنون الآية 34
[4] سورة المؤمنون الآية 38
[5] سورة المؤمنون الآية 44
[6] سورة المؤمنون الآية 47
[7] سورة المؤمنون الآية 50
[7] سورة المؤمنون الآية 51
[8] سورة المؤمنون الآية 52

الـــذين غضوا من رتبة النبوة بوصف البشرية ، تسلية لمحمد عليه الصلاة والسلام ،ثم بين أن وصف البشرية للأنبياء لا غض فيه ، وأن جميع الرسل إنما كانوا من البشر، يأكلون ويشربون كجميع الناس والاختصاص أمر آخر من الله تعالى، فقال بعد تقرير رسالة موسى﴿ **وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً** ﴾ ([1]) وكانا مع ذلك يأكلان ويشربان ، ثم قال﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ** ﴾ ([2]) أي هذا من نعم الله عليكم ، والعمل الصالح شكر تلك النعم ، ومشرفٌ للعامل به ، فهو الذي يـــوجب التخصيص ، لا الأعمال السيئة وقوله ﴿ **وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً** ﴾ ([3]) إشارة إلى الـــتماثل بينهم ، وأنهم جميعا مصطفون من البشر، ثم ختم هذا المعنى بنحو مما به بدأ ، فقال﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾** ﴾ إلى قوله ﴿ **وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾** ﴾ ([4]) وإذا تؤمل هـــذا النمط من أول السورة إلى هنا فهم أن ما ذكر من المعنى هو المقصود مضافا إلى المعنى الآخـــر، وهـــو أنهم إنما قالوا ذلك وغضوا من الرسل بوصف البشرية استكباراً من أشرافهم ، وعـــتواً علـــى الله ورسوله ؛ فإن الجملة الأولى من أول السورة تشعر بخلاف الاستكبار، وهو التعـــبد لله بـــتلك الوجوه المذكورة ، والجملة الثانية مؤذنة بأن الإنسان منقول في أطوار العدم وغاية الضعف ، فإن التارات السبع أتت عليه وهي كلها ضعف إلى ضعف ، وأصله العدم فلا يليق بمن هذه صفته الاستكبار، والجملة الثالثة مشعرة بالاحتياج إلى تلك الأشياء والافتقار إليها ولـــولا خلقها لم يكن للإنسان بقاء بحكم العادة الجارية ، فلا يليق بالفقير الاستكبار على من هو مـــثله فـــي النشأة والخلق ، فهذا كله كالتنكيت عليهم والله أعلم ثم ذكر القصص في قوم نوح﴿ **فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ** ﴾[5] والملأ هم الأشراف وكذلك فيمن بعدهم﴿ **وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن**

---

[1] سورة المؤمنون الآية 52

[2] سورة المؤمنون الآية 61

[3] سورة المؤمنون الآية 24

[4] سورة المؤمنون الآية 33

﴿ قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ ﴾ ([1]) الآية! وفي قصة موسى﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ ([2]) ومثل هذا الوصف يدل على أنهم لشرفهم في قومهم قالوا هذا الكلام ، ثم قوله ﴿ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾([3]) إلى قوله ﴿ لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ ([4]) رجوع إلى وصف أشراف قريش ، وأنهم إنما تشرفوا بالمال والبنين ، فرد عليهم بأن الذي يجب له الشرف من كان على هذا الوصف وهو قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ ثم رجعت الآيات إلى وصفهم في ترفهم وحال مآلهم ، وذكر النعم عليهم والبراهين ،على صحة النبوة ، وأن ما قال عن الله حق من إثبات الوحدانية ، ونفى الشريك وأمور الدار الآخرة للمطيعين و العاصين ، حسبما اقتضاه الحال والوصف للفريقين فهذا النظر إذا اعتبر كليًا في السورة وجد على أتم من هذا الوصف ، لكن على منهاجه وطريقه ، ومن أراد الاختبار في سائر سور القرآن فالباب مفتوح ، والتوفيق بيد الله فسورة المؤمنين قصة واحدة في شيء واحد .. " ([5]) .

وعن هذا المثال والتحليل الرائع المفيد للسورة المؤمنين ، قال الباحث محمد دراجي : " وصنيع الشاطبي هذا يعد فتحًا في مجال الدراسات القرآنية والتفسيرية بصفة خاصة فهو يدعوا إلى النَّظر في السورة القرآنية نظرة كلية عامة ، وربط آخر الكلام بأوله ، فكل سورة من سوره تمثل [ وحدة متماسكة تشدها خيوط خفية تجعل أولها تمهيدا لآخرها ، وآخرها تصديقا لأولها ، وتدور السورة كلها على محور ثابت] " ([6]) .

ويمكن حصر كلام الإمام في النقاط الآتية بإختصار بأن :

---

[5] سورة المؤمنون الآية 57

[6] سورة المؤمنون الآية 54

[1] ينظر الموافقات ج 3 / 312 ـ314، ج4/270 ـ274

[2] مجلة الموافقات ص 372، والكلام الذي هو بين القاطعتين ،نقله من خطب الشيخ محمّد الغزالي رحمه الله

- سورة المؤمنون من السور المكية التي تعالج أصول الدين من " التوحيد والرسالة، والبعث" سميت بهذا الاسم الجليل "المؤمنون" تخليداً لهم وإِشادةً بمآثرهم وفضائلهم الكريمة التي استحقوا بها ميراث الفردوس الأعلى في جنات النعيم .
- **عرضت** السورة الكريمة لدلائل القدرة والوحدانية مصورة في هذا الكون العجيب، في الإِنسان، والحيوان، والنبات، ثم في خلق السماوات البديعة ذات الطرائق، وفي الآيات الكونية المنبثة فيما يشاهده الناس في العالم المنظور من أنواع النخيل والأعناب، والزيتون والرمان، والفواكه والثمار، والسفن الكبيرة التي تمخر عباب البحار، وغير ذلك من الآيات الكونية الدالة على وجود الله جل وعلا.
- **وقد عرضت** السورة لقصص بعض الأنبياء تسلية لرسول الله ﷺ عمّا يلقاه من أذى المشركين، فذكرت قصة نوح، ثم قصة هود، ثم قصة موسى، ثم قصة مريم البتول وولدها عيسى، ثم عرضت لكفار مكة وعنادهم ومكابرتهم للحق بعدما سطع سطوع الشمس في رابعة النهار، وأقامت الحجج والبراهين على البعث والنشور، وهو المحور الذي تدور عليه السورة، وأهم ما يجادل فيه المبطلون، فقصمت ببيانها الساطع ظهر الباطل.
- **وتحدثت** السورة عن الأهوال والشدائد التي يلقاها الكفار وقت الاحتضار وهم في سكرات الموت، وقد تمنوا العودة إلى الدنيا ليتداركوا ما فاتهم من صالح العمل، ولكن هيهات فقد انتهى الأجل، وضاع الأمل. وختمت السورة بالحديث عن يوم القيامة حيث ينقسم الناس إلى فريقين: سعداء، وأشقياء، وينقطع الحسب والنسب فلا ينفع إِلا الإيمان والعمل الصالح، وسجلت المحاورة بين الملك الجبار وبين أهل النار وهم يصطرخون فيها فلا يغاثون ولا يجابون !!.

ولقد إختصر ماء العينين كلام الشاطبي ناظما فقال ([1]) :

**وربَّما تَكونُ سورةٌ على معنىً وسورةٌ مَعانٍ تُجتلَى**
**وهُوَ كُلُّه كلامٌ واحد وكلُّه حقٌ يَراهُ الواحِد**

[1] ينظر المرافق على الموافق ج 2 /582

## وصف لسورة الفاتحة :

ذكـــر الشاطبي في الباب الثاني الخاص بـــ" ذم البدع " من كتابه الاعتصام وهو يصف لنا حال أولـــئك المعرضـــون عن الصراط المستقيم وصفا لسورة الفاتحة إذ يقول : " .... ولمَّا لم يكن الكفـــر فـــي الواقع مقتصراً على هذا الطَّريق بل ثمَّ طريق آخر ، وهو الكفر بعد العرفان عنادا أوظلما ؛ ذكر الله تعالى الصِّنفين في **السُّورة الجامعة وهي أمُّ القرآن** فقال :﴿ **ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ** ﴾ فهـــذه هـــي المحجّة العظمى التي دعا لها الأنبياء عليهم السَّلام إليها " ([1]) .

بالفعل فلقد أحسن ـــ رحمه الله تعالى ـــ في إطلاقه لهذا الوصف على هذه السورة التي لاتصح صـــلاة إمرئ مسلم إلا بها ، ومن العلماء الذين يوافقون الشاطبي في إطلاق أمثال هذا الوصف نجد على سبيل المثال لا الحصرالشيخ السيوطي إذ هاهو يقول : " ... ثم أودع علوم القرآن في المفصل ، ثم أودع المفصل فاتحة الكتاب فمن علم تفسيرها كان كمن علم جميع الكتب المنزلة ، وقـــد وجّه ذلك بأن العلوم التي احتوى عليها القرآن ، وقامت بها الأديان أربعة : علم الأصول ومـــداره علـــى معرفة الله وصفاته ؛ وإليه الإشارة بـــــــ ﴿ **رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣** ﴾ ، ومعـــرفة النـــبوات وإلـــيه الإشارة بـــــــ ﴿ **ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ** ﴾ ؛ ومعـــرفة المعـــاد وإليه الإشارة بـــــــ ﴿ **مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤** ﴾ ؛ وعلم العبادات وإليه الإشارة بـــــــ ﴿ **إِيَّاكَ نَعۡبُدُ** ﴾ ؛ وعلم السلوك وهو حمل النفس على الآداب الشرعية ، و الانقـــياد لـــرب البرية وإليه الإشارة بـــــــ ﴿ **وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦** ﴾ ؛ وعلم القصص وهو الإطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ،

[1] ينظر الاعتصام ج 1 / 104 ، ج 1 / 238 تحقيق مشهور سلمان

ليعلم المطلع على ذلك سعادة من أطاع الله وشقاوة من عصاه وإليه الإشارة بقوله﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ .

فنبه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن ، وهذا هو الغاية في براعة الاستهلال مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة ، والمقاطع المستحسنة وأنواع البلاغة .. " ([1]) .

## ردود الشاطبي على بعض المحرفين :

- **الـرد علـى مؤسـس الطائفة البيانية :** من المسائل التي قررها رحمه الله قاعدة مهمة وأساسية لفهم كتاب الله ﷻ ، ألا وهي قوله : ".. فإذا كل معنى مستنبط من القرآن غير جار علـى اللسان العربي فليس من علوم القرآن في شيء ، لا مما يستفاد منه ولا مما يستفاد به ، ومـن ادَّعى فيه ذلك فهو في دعواه مبطل " وهنا ضرب بعض الأمثلة ترد على أولئك الذين نـزلوا معانـي النـصوص القـرآنية وفق أهوائهم وأغراضهم ، ضاربين كلّ تلك الشروط والـضوابط التي لابد من مراعتها عند الخوض في تفسير القرآن العزيز ، ومن هؤلاء النكرة المحرفين ذكر المدعو بيان بن سمعان ([2]) ولنترك الشاطبي يخبرنا بنفسه : " ما ادَّعاه من لا

---

[2] ينظر معترك الأقران في إعجاز القرآن ج 1 /60 ـ 61 ، وللمزيد في معرفة ماتضمنته هذه السورة العظيمة ينظر : التفسير القيم لابن القيم ص 7 ( جمع وإعداد محمّد أويس الندوي ، تحقيق محمّد حامد الفقي ) ، بدائع التفسير لابن القيم ج 1 / 33 ـ 36 وفي عدة مواطن ( جمع يسرى السيِّد محمّد )

[1] هو بيان بن سمعان النهدي من بني تميم ، ظهر بالعراق بعد المائة وقال بإلهية علي رضي الله عنه ، قال ابن نمير : " قتله خالد ابن عبد الله القسري ، وأحرقه بالنار ، ينظر ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ج 1 / 357، رقم ( 1335 ) ( تحقيق علي محمّد البجاوي ، د. ت . ر الطبعة ، دار الفكر ) ، مقالات الإسلاميّين وإختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري ج 1 / 66 ـ 67 ، الملل والنحل للشهرستاني ج 1 / 161 ـ 162 ( تحقيق أبي محمّد محمّد بن فريد ، المكتبة التَّوفيقية ـ مصر ـ ) ، فرق الشيعة للحسن ابن موسى النوبختي ـ سعد بن عبد الله القمِّي ص 46، ( تحقيق وتصحيح وتعليق د ـ عبد المنعم الحفني ،الطبعة الأولى 1412 هـ ـ 1992 م ؛ دار الرشاد ـ القاهرة ـ ) ، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان لأبي الفضل عباس السكسكي الخنبلي ص 75 ـ 76 ( تحقيق الدكتور بسَّام علي سلامه العموش ، الطبعة الثانية 1417 هـ ـ 1996 م ، مكتبة المنار ـ الزرقاء ـ الأردن ) ، الفرق بين الفرق للبغدادي ص 236 ـ 237 ( تحقيق محمد محي الدين البغدادي طبعة 1425 هـ ـ 2004 م ، المكتبة العصرية ـ بيروت ـ ) ، و

خـــلاق لـــه من أنه مسمى في القرآن كبيان بن سمعان ، حيث زعم أنه المراد بقوله تعالى ﴿ **هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ** ﴾ ( [1] ) الآيـــة! وهو من الترَّهات بمكان مكين ، والسكوت على الجهل كان أولى به من هذا الافتراء البارد ، ولو جرى له على اللسان العربي لعدَّه الحمقى من جملتهم ، ولكـــنه كشف عوار نفسه من كلّ وجه عافانا الله ، وحفظ علينا العقل والدين بمنِّه ، وإذا كان بيان في الآية علما له فأي معنى لقوله ﴿ **هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ** ﴾ ؟ كما يقال هذا زيد للناس " ( [2] )

- وقـــال ردا على مدعي آخر : " ومثله في الفحش من تسمى بالكسف ثم زعم أنه المراد بقـــوله تعالى ﴿ **وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا** ﴾ ([3]) الآية ! ، فأي معنى يكون للآية على زعمـــه الفاســـد ؟ كما تقول وإن يروا رجلا من السماء ساقطًا ﴿**يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ** ۝٤٤﴾ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وبيان بن سمعان هذا هو الذي تنسب إليه البيانية من الفرق وهو فيما زعم ابن قتيبة أول من قال بخلق القرآن والكسف هو أبو منصور الذي تنسب إليه المنصورية

وحكى بعض العلماء أن عبيد الله الشيعي المسمى بالمهدي حين ملك إفريقية واستولى عليها كان لـــه صاحبان من كتامة ينتصر بهما على أمره ، وكان أحدهما يسمى بنصر الله والآخر بالفتح ، فكان يقول لهما أنتما اللذان ذكركما الله في كتابه

فقـــال ﴿ **إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ** ۝١﴾ قالـــوا وقد كان عمل ذلك في آيات من كتاب الله تعالى ،فـــبدل قـــوله﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾ ( [4]) بقوله كتامة خير أمة أخرجت للناس ، ومن

---

ص 208 ـ 209 ( تحقيق ودراسة محمّد عثمان الخشت ، مكتبة ابن سينا ـ مصر ـ ) ، مقالات الإسلاميِّين و إختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري ج 1 / 66 ـ 67

[2] سورة آل عمران الآية 138

[1] الموافقات ج 75/3 ، ج 4 / 225

[2] سورة الطور الآية 44

[3] سورة آل عمران الآية 110

كـــان في عقله لا يقول مثل هذا لأن المتسميين بنصر الله والفتح المذكورين إنما وجدا بعدا مئين مـــن الـــسنين من وفاة رسول الله ﷺ فيصير المعنى إذا مت يا محمد ثم خلق هذان ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا فسبح الآية ! فأي تناقض وراء هذا الإفك الذي إفتراه الشيعي ؟ قاتله الله ، فلقد وصف الشاطبي هذا المدعي بالمجنون الذي فقد عقله ، حتى أنه لا يعرف ماذا يقول

- قـــال : " ومـــنهم من فسر الكرسي في قوله ﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ ﴾ ([1])

بـــالعلم مستدلين ببيت لا يعرف ، وهو **ولا يكرسئ علم الله مخلوق** ([2]) كأنه عندهم ولا يعلم علمه ويكرسئ مهموز والكرسي غير مهموز

- ومـــنهم مـــن قال في قوله ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ ﴾ ([3]) أي ألقينا فيها كأنه عندهم من قول الناس " ذرته الريح " ، وذرأ مهموز وذرا غير مهموز

وكخلاصة لكلامه قال : " وهؤلاء من أهل الكلام هم النابذون للمنقولات اتباعًا للرأي وقد أداهم ذلك إلى تحريف كلام الله بما لا يشهد للفظه عربي ولا لمعناه برهان كما رأيت ، وإنما أكثرت مـــن الأمثلة وإن كانت من الخروج عن مقصود العربية ، والمعنى على ما علمت لتكون تنبيهًا على ما وراءها مما هو مثلها أو قريب منها " ([4]) .

---

[1] سورة البقرة الآية 255

[2] وصدر البيت هو : « ما لي بعلمك كرسيٌ أكاتمه » ، ينظر : البحر المحيط لأبي حيان ج 2 / 290 ، مناهج اللُّغويين في تقرير العقيدة إلى نهاية القرن الرابع الهجري للدكتور محمد الشيخ عليو محمد ص 51 ( الطبعة الأولى 1427 هـ ، دار المنهاج بالرياض ) ، الكلمات الأساسية في الحقل القرآني لعبد العال سالم مكرم 89 ـ 90

[3] سورة الأعراف الآية 179

[4] الموافقات ج3 / 294 ـ 295 ،ج 4 / 231

# الفصل الثاني

المبحث الأول : المكي والمدني في القرآن

المبحث الثاني: المحكم والمتشابه

المبحث الثالث: أسباب النزول

المبحث الرابع : النسخ في القرآن

المبحث الخامس : إعجاز القرآن

المبحث السادس : الخطاب القرآني

# الفصل الثالث

المبحث الأول :طرق التفسير

المبحث الثاني: التفسير بالرأي

المبحث الثالث: التأويل المتشابه

المبحث الرابع:الظاهر والباطن في القرآن

المبحث الخامس : أسباب اختلاف المفسرين

المبحث السادس : الحكاية في القرآن

المبحث السابع : الترغيب والترهيب

المبحث الثامن : التفسير العلمي

المبحث التاسع : التعارض والترجيح

المبحث العاشر : بذور التفسير الموضوعي

# الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيد البريات نبينا محمد وعلى آله وصـــحبه ومـــن اهتدى بهداه إلى يوم الدين وبعد فقد كمل هذا البحث المتواضع بفضل من الله ومـــنة ، وهـــذا جهد المقل وأملي أن أكون قد أضفت عملا نافعا ، أجده في صحيفة عملي يوم حشري ونشري ، وآن في هذه الخاتمة الموجزة أن أدلي بدلو العاجز المقصر بما توصلت إليه مـــن نتائج وأوصي وصية من تبوأ غير مقعده بما عن لي من توصيات فأقول مستعينا بالواحد الأحد :

**أولا :** لقـــد تبين لي من خلال هذا البحث عظم عطاء الإمام الشاطبي ، فرغم أنه لم يترك أثراً تفسيريا تظهر فيه خطوات المنهج الذي سلكه في التعامل مع القرآن الكريم ، إلا أنه مع هذا عُدَّ مـــن المجـــددين الباعثين لروح النهضة في الأمة على أسس القرآن وهداياته ، ويرجع ذلك إلى أمرين يؤدي أحدّهما إلى الآخر :

1ـــ النظر إلى القرآن على أساس أنه كتاب هداية وإعجاز ومنهج حياة ، وهو السبيل الذي لا بديل عنه إلى وحدة الأمة .

2 ــ طبيعة القضايا التي توجه إليها الشاطبي ، فتراه لم يعن بالقضايا الجزئية كعنايته بالقضايا الكلـــية التأصيلية والجوهرية ، ورأى في علم اللغة والمقاصد مقصداً ووسيلة تعين على كلّ هذا في فهم أهم كتاب موجود على وجه الأرض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

**ثانيا :** يمكن حصر ملامح المنهج الذي سطره في كتاباته وتحليلاته في النقاط الآتية :

1. أنـــه ــ رحمه الله ــ قد اعتمد الاستقراء كمنهج لأفراد الموضوع , ليثبت بعد ذلك الحكم باعتبار جميع الصور لا بعضها .
2. يمكـــن القـــول أن نظره في النصوص و ما ينبني عليها من فروع , كان وفق أمرين هامين هما :

**الأول** : نظرة جزئية خاصة باعتبار النص كوحدةٍ تشريعية كاملة .

**الثانـــي:** نظــرة باعتبار باقي النصوص ؛ وهذا يعني عدم الاستقلال بالنصوص الجزئية في فهم مقــصودها بــل قدِّم عليها النصوص الكلية التي هي أقطع من حيث الدلالة على روح التشريع ومقصد المشرع في ذلك .

3. قــام الإمام الشاطبي بربط أطراف المسائل النقلية بأطرافها العقلية , ومن ذلك أنه أوصل أصول المسائل في الكتاب و السنة بامتدادها بعد عهد رسول الله ﷺ مما جد عليها من أمور , فتكون المسائل غير متروكة للهوى ولكن مربوطة بأصولها من الكتاب و السنة فلا خلاف في الحكم عليها إذا تم ردها إلى أصلها .

4. كان مذهبه هو الأخذ بالدليل الأقوى و يذر ما سواه , ما لم يوجب ذلك حرجاً و إلا كان يجمــع بيــنهما , فــيقدم الكتاب على السنة , و السنة على القياس , و قول الصحابي على قول التابعي , و الأثر على المعقول .

**ثالــثا** : ظهور نفرة الشاطبي من تفاسير أولئك الباطنية وغيرهم من المذاهب الباطلة ،الذين هم مختلفون في الكتاب العزيز ، مخالفون له ، مجمعون على مفارقة أحكامه ، قائلين على الله وفي الله وفــي كــتابه بغيــر علــم ، فيتكلمون بالمتشابه من الكلام ، خادعين بذلك جهال الناس بما يــشبهون علــيهم ، طالقين في كلِّ هذا عقال الفتنة ، فجاء هذا الإمام ليبدل شيء من جهوده في نــصح الأمة عن طريق تحذيرهم من شر هؤلاء ، فكانت توجيهاته وتخريجاته في هذا الجانب تتــسم بالالتزام بمنهج السلف الصالح وطريقتهم في تفسير النصوص ، وانطلاقا من هذه النتيجة أقترح موضوع للدراسة والبحث ألا وهو :

ـــــ التفــصيل فــي دراسة أثر الانحرافات العقدية والفكرية في الاستنباط من القرآن الكريم ؛ ودراسة منهج أهل الأهواء في التفسير ، لأنه يمكن القول بأن مكمن الخطأ في فهم آيات القرآن واقع من جهتين اثنتين لا محالة وهما :

1- الخطــأ فــي المدلول والدليل معاً ، كأن يكون عندهم مبادئ سابقة مخالفة للقرآن فيحاولون إيجاد شواهد لها من القرآن ، وهذا صنيع الشيعة والمعتزلة والخوارج وغيرهم .

2- الخطـــأ في الدليل دون المدلول ، وهو أن يكون المدلول صوابا لكن ليس هذا مراد الآية ، كما حصل لبعض مفسري السنة .

**رابعا:** يمكن القول أن لهذه الجهود قيمة علمية متمثلة فيما يلي :

ــ علو كعب صاحبها في العلم ، ورسوخه في معرفة علوم القرآن والتفسير ، الأمر الذي يجعل لترجيحاته ولاختياراته قيمة معتبرة .

ــ غزارة المادة العلمية التي احتوتها كتب هذا الإمام ، فهي تشمل على معلومات وقواعد كثيرة مـــستقاة مـــن مختلف العلوم المحتاج إليها في **التفسير** ، مما يبرز لنا تعدد الجوانب العقدية والفقهية والاستنباطية التي كانت من اهتمامات هذا الشيخ .

ـــ مـــن الأمور الجلية أن الشيخ حينما ينقل النقولات يجليها فهو ليس مجرد ناقل يسرد ما قرأ فحـــسب ، فـــنجده يذكر كلام العلماء الأفذاذ ، ويقارن بين تلك المنقولات ويناقشها ، ويختار ما يترجح لديه .

ـــ مع كل هذا العطاء فإننا نقف على نماذج رفيعة من توظيف للقواعد والضوابط العلمية في الفهـــم والاســـتنباط ، وهـــذا مـــن الأمور التي لابد على طالب العلم من الاعتناء بها وفهمها ، ومراعاتها عند محاولة التدبر لآيات الله عز وجل .

ـــ إن هذه النصوص والقواعد التي بينها الإمام الشاطبي ــ رحمه الله ــ هي بمثابة إشراقات هامة جداً ، يمكن الاستفادة منها بل لابد من فعل ذلك لأجل بناء وتركيب بما يعرف بفن أصول التفسير .

**خامسا :** أن الإمام أبا إسحاق الشاطبي قد دوّن في علوم القرآن مباحث قيمة ، بعضها لا توجد حتى عند المشهورين ممّن ألفوا في هذا الفن كالزركشي والسيوطي مثلا .

**سادســـا :** جمع ما سطّره في إعراب القرآن الكريم وقراءاته والتعليق عليه وإظهار باقي الآراء الـــنحوية والتعقيـــبات على الإمام ابن مالك من خلال كتابه الموضوع على الألفية ، " المقاصد الشافية على الخلاصة الكافية " ، فإنه لا بد قد أدلى بدلوه حين استشهاده بالنصوص القرآنية

**ســـابعا :** تـــشجيع الـــبحث في المدارس التفسيرية المشهورة ، و المغمورة ، بتجميع مادتها ، وتـــصنيفها أولا ، وبدراستها دراسة منهجية ، اعتمادا على مناهج البحث المعروفة ( تحليلي ، وصفي ،....) ، ويكون ذلك وفق رؤية شمولية ليتم تصنيفها كمادة تفسيرية ؛ ثم بعد ذلك نصل

إلـــى اســـتنباط الضوابط والقواعد والأصول والكليات ، لتكون مادة مباشرة لبناء نظرية عامة للتفـــسير ذات نسق دقيق يربط بين الكليات والجزئيات ، وهذا كلّه من أجل وضع مقاييس نقدية نستطيع بواسطتها معرفة الصحيح والباطل ، والمقبول والسقيم ، فنضمن بذلك ــ إن شاء الله ــ السلامة من التحريف لكلام الله ﷻ وإخراجه عن مدلولاته المراد بها .

وفي الختام أسجل كلّ قناعتي بعدم وفاء جهدي ودرس مثل هذا العمل العلمي ، ولكني قد بذلت وسعي وطاقتي ، فإن كان فيه شيء من تقصير أو تهاون فإنه من نفسي ، ومن عجزي وضعفي ووهن عزيمتي و كلال ذهني .

# فهرس الآيات القرآنية [1]


| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| **[ الفاتحة ]** | | |
| ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ | 02 - 03 | 131 |
| ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ | 05 | 131 |
| ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ | 06 - 07 | 212 |
| **[ البقرة ]** | | |
| ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ | 02 | 84 |
| ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ | 06 | 212 |
| ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ | 22 | 189 |
| ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٣ ﴾ | 23 | 123 ، 155 |
| ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ﴾ | 24 | 212 |
| ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ | 25 | 212 |
| ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ | 26 | 186 ، 187 |
| ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ | 29 | 234 |
| ﴿ ۝٤١ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤٢ ﴾ | 42 | 169 |


[1] مرتبة بحسب ترتيب المصحف الشريف

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ 75 | | 207 |
| ﴿ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ | 79 | 179 |
| ﴿ وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ ﴾ | 116 | 197،198 ، 206 |
| ﴿ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ | 116 | 198 |
| ﴿ ﴿١٥٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ ﴾ | 159 | 169 |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ 183 | | 194 |
| ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ | 187 | 194 |
| ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ | 188 | 194 |
| ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ | 189 | 194 ، 195 |
| ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ ﴾ | 196 | 106 |
| ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ | 218 | 216 |
| ﴿ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ | 238 | 101 ، 111 |
| ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ | 282 | 85 ، 197 |


## [ آل عمران ]


| | | |
|---|---|---|
| ﴿ ﴿٦﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾ | 07 | 81 ، 83 ، 88 |
| ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ | 110 | 245 |
| ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ | 138 | 244 |
| ﴿ ﴿١٧٣﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾ 173 | | 145 |


## [ النساء ]


| | | |
|---|---|---|
| ﴿ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ ﴾ | 03 | 149 |
| ﴿ ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾ 08 | | 116 |
| ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ | 46 | 207 |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ | 58 | 39 |
| ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾ | 78 | 179 |
| ﴿ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ﴾ | 79 | 171 ، 179 |
| ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ ﴾ | 82 | 179 ، 236 |
| ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ | 83 | 164 |
| ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾ ﴾ | 125 | 174 |


## [ المائدة]


| | | |
|---|---|---|
| ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ | 03 | 73 ،186 |
| ﴿وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ ﴾ | 06 | 140 |
| ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ ﴾ | 41 | 207 |
| ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ | 44 | 106 |
| ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ ﴾ | 91 | 72 |


## [ الأنعام]


| | | |
|---|---|---|
| ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ | 01 | 213 |
| ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ﴾ | 12 | 213 |
| ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾ ﴾ | 15 | 213 |
| ﴿ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥ ﴾ | 16 | 213 |
| ﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ﴾ | 38 | 223 |
| ﴿ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ ﴾ | 91 | 196 |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ ﴾ | 91 | 205 |
| ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ ﴾ | 97 | 220 |
| ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا ﴾ | 136 | 206 |
| ﴿ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ ﴾ | 138 | 206 |
| ﴿ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ ﴾ | 139 | 206 |
| ﴿ ۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾ | 151 | 71 ، 75 |

## [ الأعراف]

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٦ ﴾ | 06 | 232 |
| ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ | 11 | 235 |
| ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾ | 31 | 221 |
| ﴿ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ | 157 | 228 |
| ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ ﴾ | 179 | 246 |

## [ الأنفال]

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ ﴾ | 01 | 114 |
| ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ ﴾ | 41 | 114 |
| ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ ﴾ | 60 | 225 |

## [ التوبة]

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ ۝٣١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ | 31 | 189 |
| ﴿ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾ | 120 | 144 |

## [ يونس]

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١ ﴾ | 01 | 84 |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ | 22 | 131 |

**[ هود ]**

| | | |
|---|---|---|
| ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ | 01 | 84 |
| ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ | 06 | 144 |
| ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ | 13 | 123 |
| ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ﴾ | 36 | 210 |

**[ الرعد ]**

| | | |
|---|---|---|
| ﴿خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾ | 12 | 217 |
| ﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ﴾ | 31 | 202 |

**[ الحجر ]**

| | | |
|---|---|---|
| ﴿۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩﴾ | 49 | 218 |
| ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾ | 50 | 218 |

**[ النحل ]**

| | | |
|---|---|---|
| ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝١٦﴾ | 16 | 220 |
| ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٤٣﴾ | 43 | 89 |
| ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ | 44 | 84 ، 138 |
| ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ﴾ | 47 | 127 |
| ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ | 89 | 223 |
| ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ | 90 | 75 |

﴿ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ 93 232

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ 103 143 ، 155

## [ الإسراء ]

﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ 18 113

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ ﴾ 36 172

﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ 57 217

﴿ ﴿٨٨﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ 88 120

## [ الكهف ]

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾ 77 145

## [ مريم ]

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ ﴾ 71 117

﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ ﴾ 90 206

﴿ ﴿٩٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ ﴾ 97 121

## [ طه ]

﴿ ﴿٥﴾ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ 05 89

﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ 121 174

## [ الأنبياء ]

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ 51 210

﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا ﴾ 63 210

﴿ ﴿١٠١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ 101 117

## [ الحج ]


| | | |
|---|---|---|
| ﴿ ۝٥٢ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيّٖ ﴾ | 52 | 119 |
| ﴿ ۝٧٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓ ﴾ | 73 | 145 |


## [ المؤمنون ]


| | | |
|---|---|---|
| ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ﴾ | 1 | 238 |
| ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ | 2 | 112 |
| ﴿ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾ | 11 | 238 |
| ﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ ﴾ | 24 | 239 |
| ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ ﴾ | 24 | 240 |
| ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ ﴾ | 33 | 239 |
| ﴿ وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ۝٣٤ ﴾ | 34 | 228 |
| ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴾ | 38 | 239 |
| ﴿ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۚ ﴾ | 44 | 239 |
| ﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ۝٤٧ ﴾ | 47 | 239 |
| ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ ﴾ | 50 | 239 |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ | 51 | 239 |
| ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ | 52 | 240 |
| ﴿ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ۝٥٤ ﴾ | 54 | 230 |
| ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ۝٥٧ ﴾ | 57 | 216 |
| ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ ﴾ | 60 | 216 |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ | 61 | 240 |
| ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ | 101 | 231 |

**[ النور ]**

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ | 27 | 114 |
| ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ﴾ | 29 | 114 |
| ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ | 31 | 115 |
| ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ | 35 | 198 |
| ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ | 60 | 115 |

**[ الشعراء ]**

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ | 193 - 194 | 143 |

**[ النمل ]**

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾ | 16 | 182 |

**[ القصص ]**

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ | 65 | 233 |
| ﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ | 78 | 232 |

**[ العنكبوت ]**

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ | 13 | 232 |
| ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ﴾ | 41 | 186 |
| ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ | 48 | 228 |

**[ لقمان ]**

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ | 17 | 73 |

## [ السجدة ]


| | | |
|---|---|---|
| ﴿ يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ | 5 | 165 |


## [ الأحزاب ]


| | | |
|---|---|---|
| ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝٤ ﴾ | 4 | 96 |
| ﴿ زَوَّجْنَكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ ﴾ | 37 | 139 |
| ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ | 57 | 218 |


## [ سبأ ]


| | | |
|---|---|---|
| ﴿ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ | 23 | 198 |


## [ فاطر ]


| | | |
|---|---|---|
| ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ | 1 | 149 |


## [ يس ]


| | | |
|---|---|---|
| ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ ﴾ | 40 - 39 | 220 |


## [ الصافات ]


| | | |
|---|---|---|
| ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝٢٤ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥ ﴾ | 25 - 24 | 232 |
| ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٢٧ ﴾ | 27 | 231 |
| ﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٤ ﴾ | 84 | 210 |
| ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ۝٨٩ ﴾ | 89 - 88 | 210 |

## [ ص ]

﴿ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ 29 121 ، 134

## [ الزمر ]

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ 9 217

﴿ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ﴾ 23 143

﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ 53 214،216، 218

﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ 68 231

## [ غافر ]

﴿ حمٓ ﴿١﴾ ﴾ 1 93

## [ فصلت ]

﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ ﴾ 9 233

﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا ﴾ 10 235

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ 11 - 12 233

﴿ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ﴾ 40 129

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ﴾ 44 143

## [ الشورى ]

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾ 20 114

## [ الزخرف ]

﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ 3 143

## [ الدخان ]

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ | 49 | 129 |

## [ الأحقاف ]

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ ﴾ | 20 | 190 |

## [ محمد ]

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ | 24 | 179 |

## [ الحجرات ]

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ | 13 | 145 |
| ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴾ | 13 | 145 |

## [ ق ]

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ ﴾ | 6 | 224 |

## [ الطور]

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا ﴾ | 44 | 245 |

## [ النجم ]

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ | 42 | 66 |
| ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾ | 49 | 107 |

## [ القمر]

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ ۝١٦ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧ ﴾ | 17 | 121 |

## [ الرحمان ]

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ۝٣٩ ﴾ | 39 | 232 |

## [ الواقعة ]

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ ۝٧٣ ﴾ | 7 3 | 200 ، 201 |

## [ المنافقون ]

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ ﴾ | 1 | 208 |

## [ الملك ]

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ ﴾ | 5 | 220 |
| ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨ ﴾ | 8 | 232 |

## [ القلم ]

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤ ﴾ | 4 | 137 |

## [ المعارج ]

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤ ﴾ | 4 | 165 |

## [ نوح ]

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ ﴾ | 26 | 210 |
| ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ ﴾ | 27 | 210 |

## [ النازعات ]

﴿ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ۝٢٩ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ ﴾ 30 - 27 233

## [ عبس ]

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ ﴾ 2 - 1 131

﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ ﴾ 11 131

﴿ ۝٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ۝٣١ ﴾ 31 126، 134

## [ التكوير ]

﴿ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩ ﴾ 9 - 8 71 ، 232

## [ الانشقاق ]

﴿ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ ﴾ 8 138

## [ البلد ]

﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ 17 235

## [ الضحى ]

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ ﴾ 2 - 1 214

## [ الشرح ]

﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١ ﴾ 1 214

## [ العلق ]

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾ | 6 - 7 | 214، 215 |

## [ الهمزة ]

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ﴾ | 1 | 214، 215 |

## [ النصر ]

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ ﴾ | 1 | 186 |

# فهرس الأحاديث النبوية


| طرف الحديث | الرَّاوي | الصفحة |
|---|---|---|
| إن الله لا يقبض العلم | عبد الله بن عمرو بن العاص | 147 |
| بلغوا عني ولو آية | عبد الله ابن عمرو | 38 |
| تركت فيكم أمرين لن تضلُّوا ما تمسَّكتم بهما | | 11 |
| خذوا عني مناسككم | جابر ابن عبد الله | 139 |
| كان خلقه القرآن | عائشة أم المؤمنين | 137 |
| الكمأة من المن | سعيد ابن زيد ، أبي هريرة وغيرهما | 200 |
| لا تصومو حتى تروا الهلال | عبد الله ابن عباس | 128 |
| لا يؤمن أحكم حنى يحب لأخيه ما يحب لنفسه | أنس ابن مالك | 38 |
| ما من الأنبياء نبي أعطي من الآيات | أبي هريرة | 122 |
| من نوقش الحساب عذب | عائشة | 138 |
| من قال في القرآن برأيه | ابن عباس ، جندب ابن عبد الله | 161 |
| نهى عن ادخار لحوم الأضاحي فوق ثلاث | بريدة ابن الحصيب | 107 |
| صلوا كما رأيتموني أصلي | مالك ابن الحويرث | 139 |
| عليكم بسنتي | العرباض بن سارية | 141 |
| فتلك العدة التي أمر الله | عبد الله بن عمر | 138 |
| سبب نزول " وقوموا لله قانتين " | زيد بن الأرقم | 101 |
| هو أجل رسول الله | عبد الله ابن عباس | 186 |
| وإنما كان الذي أُوتيتُه وحياً أوحاه الله إليّ | أبي هريرة | 120 |
| يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله علي ، معاذ ، أسامة بن زيد ،وغيرهم | | 46 |

# فهرس الآثار


| | | |
|---|---|---|
| والذي لا إله غيره ما نزلت آية إلا وأعلم أين نزلت | عبد الله بن مسعود | 101 |
| ستجدون أقواما يدعونكم إلى كتاب الله | عبد الله بن مسعود | 164 |
| إنما أخاف عليكم رجلين : رجل يتأول القرآن | عمر ابن الخطاب | 165 |

## فهرس الأعلام المترجم لهم


الشاطبي ( إبراهيم ابن موسى )
ابن تيمية ( أحمد ابن عبد الحليم ) 62
ابن القيم ( شمس الدين ) 18
الشافعي ( محمد ابن إدريس ) 147
سيبويه 146
الكسائي 146
الفراء 146
أبو القاسم محمد بن أحمد الشريف الحسني السبتي 20
ابن الخطيب 12
أبو عبد الله محمد بن علي الفخار البيري 12
أبو جعفر أحمد الشقوري 14
أبو سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لب التغلبي 14
أبو عبد الله محمد بن علي البلنسي الأوسي 16
أبو عبد الله محمد بن أبي الحجاج يوسف بن عبد الله بن محمد اليحصبي 17
أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقري 18
أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمساني 21
ابن مريم 21
أبو علي منصور بن علي بن عبد الله الزواوي 22
شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الخطيب التلمساني 23
أبو جعفر أحمد بن الحسن بن علي بن الزيات الكلاعي 24
أبو عبد الله العبدري 25

أبو جعفر بن رضوان بن عبد العظيم 26
أبو الحجاج يوسف بن علي السدوري المكناسي 26
أبو عبد الله الحفار 26
أبو عبد الله الشقوري 26
أبو العباس القباب 27
الشيخ البلوي 27
الشيخ النميري 28
أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الخولاني 29
أبو الحسن علي الكحيلي 29
أبو عبد الله محمد بن محمد بن بقي 29
أبو يحي بن عاصم 31
القاضي أبو بكر الأندلسي الغرناطي 32
ابن الباذش 32
أحمد القصار الأندلسي الغرناطي 33
أبو عبد الله المجاري 33
علي بن محمد بن سمعت الأندلسي الغرناطي 34
أبو عبد الله محمد بن علي بن علاق 35
ماء العينين 42
إبراهيم بن طاهر 43
الطرطوشي 44
رشيد رضا 44
الفاضل بن عاشور 45
البغدادي 47
القاضي عياض 51
التُسولي 54
الونشريسي 55

إسماعيل بن إسحاق 69
بابن العربي المالكي 57
ابن قتيبة الدينوري 58
عبد بن حميد 58
أبي عبيد القاسم بن سلام 59
أبي حامد الغزالي 60
ابن كلاب 63
محمد الأمين الشنقيطي 90
ذو الرّمّة 125
الخليل 146
عبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي 154
عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمان بن عطية المحاربي 170
الأصمعي 177
سهل بن عبد الله بن يونس التستري 189
عبد الله بن محمّد ابن السيِّد البطليوسي 196
علي بن محمد بن محمد بن أبي العزّ الحنفي 217
محمد حسين الذهبي 226
محمد الصادق عرجون 228
بيان بن سمعان النهدي 244

# فهرس المصادر والمراجع


📖 **القرآن الكريم .**

📖 **أبجـد العلوم** للشيخ الإمام المحدث المفسر العلامة صديق بن حسن القنوجي ت ( 1307 هـ ) الطبعة الأولى 1423 هـ ـ 2002م ، دار ابن حزم بيروت .

📖 **إتحـاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة** للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن أبي بكـر بـن إسـماعيل البوصيري ، تقديم فضيلة الشيخ الدكتور أحمد معبد ، تحقيق دار المشكاة للـبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، الطبعة الأولى 1420هـ ـ1999م ، دار الوطن للنشر ـ الرياض ـ .

📖 **الإتقـان فـي علـوم القرآن** للشيخ الإمام العلامة حافظ عصره ووحيد دهره أبي الفضل جـلال الدين عبد الرحمان أبي بكر السيوطي ت ( 911هـ ) ، دون تاريخ أو رقم الطبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ .

📖 **الإجماع في التفسير** للباحث محمد بن عبد العزيز بن أحمد الخضيري ، رسالة ماجستير إشـراف الدكتور علي بن سليمان العبيد ، الطبعة الأولى 1420 هـ ـ 1999 م ، دار الوطن للنشر ـ الرياض ـ .

📖 **اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو والمعطلة و الجهمية** لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ت ( 751هـ ) الطبعة الأولى ، 1404 هـ ـ 1984 م ، دار الكتب العلمية بيروت .

📖 **أحكـام القرآن** لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، قدّم له و علّق عيه و خرج أحاديثه الأستاذ الدكتور محمد بكر إسماعيل ، الطبعة الأولى 1422 هـ ـ 2002 م دار المنار ـ القاهرة ـ .

📖 **إحـــياء علـــوم الدين** للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ت ( 505هـــ ) 1402 هـــ ــ 1982 م ، دار المعرفةــ بيروت ــ .

📖 **الإحاطـــة فـــي أخبار غرناطة** لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد السَّلماني الـــشهير بلـــسان الدين ابن الخطيب ت ( 776 هـــ ) شرحه و ضبطه و قدم له الأستاذ الدكتور يوسف علي طويل ، الطبعة الأولى 1424 هـــ ــ 2003 م دار الكتب العلمية ــ لبنان ــ .

📖 **الإشـــارة في معرفة الأصول و الوجازة في معنى الدليل** للإمام الحافظ أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي ت ( 474 هـــ ) دراسة وتحقيق محمد علي فركوس ، الطبعة الأولى 1416 هـــ ــ 1996 م ، دار البشائر الإسلامية بيروت و المكتبة المكية ــ مكة المكرمة ــ .

📖 **أسباب الخطأ في التفسير** دراسة تأصيلية للدكتور طاهر محمود محمّد يعقوب الطبعة الأولى 1425 هـــ ، دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية .

📖 **الأسماء والصفات** لابن تيمية ت ( 728هـــ ) دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى 1418هـــ ــ 1998م ، دار الكتب العلمية ــ لبنان ــ .

📖 **أصول التشريع الإسلامي** للأستاذ علي حسب الله الطبعة السابعة 1417 هـــ ــ 1997م دار الفكر العربي القاهرة جمهورية مصر العربية .

📖 **أصـــول التفسير و قواعده** للشيخ خالد عبد الرحمان العك ، الطبعة الثانية 1406 هـــ ــ 1986 م ، دار النفائس ــ بيروت ــ .

📖 **أصـــول الـــنظام الاجتماعي في الإسلام** لفضيلة العلامة سماحة الإمام محمد الطاهر بن عاشور ، قرأه وخرج أحاديثه ووثق شواهده محمد الطاهر الميساوي ، الطبعة الأولى 1421هـــ ــ 2001م ، دار النفائس للنشر والتوزيع ــ الأردن ــ .

📖 **أضـــواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الـــشنقيطي ت ( 1393هـــــ ) خرج آياته و أحاديثه الشيخ محمد عبد العزيز الخالدي ، الطبعة الثانية 1424 هـــ ـــ2003م دار الكتب العلمية بيروت ـــ لبنان ـــ .

📖 **الاعتـــصام** للعلامـــة المحقـــق أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الّخمي الشاطبي الغرناطـــي الأندلـــسي ت ( 790هـــــ ) تحقيق سيِّد إبراهيم، 1424 هـــ ـــ 2003م ، دار الحديث ـــ القاهرة ـــ ، دون رقم الطبعة .

📖 **الاعتصام** لإبراهيم بن موسى الشاطبي ، ضبط نصه وقدّم له و علّق عليه و خرج حديثه أبـــو عبـــيدة مـــشهور بن حسن آل سلمان ، 1424هـــ ـــ 2003م ، مكتبة التوحيد المنامة ـــ البحرين ـــ .

📖 **الإعلام بمخالفات الموافقات و الاعتصام** لناصر حمد الفهد ، الطبعة الأولى 1419هـــ ، تحصلت عليه عن طريق الشبكة العنكبوتية (Internet) [1] .

📖 **أعـــلام الموقعين عن رب العالمين** لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ، رتبه وضبطه وخرج آياته محمد عبد السلام إبراهيم ، الطبعة الثانية 1414 هـــ ـــ 1993 م ، دار الكتب العلمية ـــ لبنان ـــ .

📖 **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين** لخير الدين الزركلي ، الطبعة الثامنة يوليو 1989 م ، دار العلم للملايين بيروت لبنان .

📖 **الإفادات و الإنشادات** لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي الأندلسي ، دراسة وتحقيق الدكتور محمد أبو الأجفان ، الطبعة الثانية 1406هـــــ ـــ 1986م ، مؤسسة الرسالة ـــ بيروت

[1] صدر الكتاب عن مكتبة الرشد بالرياض عام 1420هـ ، ولم أظفر به

📖 **أفعـــال الرســـول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية** ، للدكتور محمَّد سليمان الأشقر ، الطبعة السادسة 1424 هـــ ــ 2003م ، مؤسسة الرسالة بيروت .

📖 **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم** لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ين تيمية ت(728هـــ ) ، تحقيق و تعليق الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل ،الطبعة الثانية 1419 هـــ ــ 1998م ، دار إشبيليا ــ السعودية ــ .

📖 **الإمام الشاطبي عقيدته وموقفه من البدع و أهلها** لعبد الرحمان آدم علي ،الطبعة الأولى 1418 هـــ ــ 1998 م ، مكتبة الرشد ــ الرياض ــ ، شركة الرياض للنشر و التوزيع .

📖 **الأنـــدلس** بقلـــم " ج . س . كـــولان " ، " g.s . colan " ، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإســـلامية ، إبـــراهيم خـــو رشيد ، الدكتور عبد الحميد يونس ، حسن عثمان ، الطبعة الأولى 1980 م ، دار الكتاب اللبناني ــ دار الكتاب المصري القاهرة .

📖 **إيـــضاح المحـــصول مـــن برهان الأصول** للإمام أبي عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمـــد التميمـــي المـــازري ت ( 536هـــ) ، دراسة وتحقيق الأستاذ الدكتور عمار الطالبي ، الطبعة الأولى 2001م ، دار الغرب الإسلامي ــ بيروت ــ .

📖 **البحـــر المحيط في التفسير** لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي ت ( 754هـــــ ) ، الطـــبعة الجديدة بعناية صدقي محمد جميل ، 1426هـــ ــ 2005م ، دار الفكر للطباعة والنشر .

📖 **بحـــوث فـــي أصول التفسير ومناهجُه** للأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي ، الطبعة الرابعة 1419 هـــ ، مكتبة التوبة .

📖 **بدائع الفوائد** لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ت ( 751هـــ ) ، تحقيق و تعليق الأستاذ سيِّد عمران و الدكتور عامر صلاح ، 1423 هـــ ــ 2002 م دار الحديث ــ القاهرة ــ .

📖 **البداية و النهاية** للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدّمشقي ت ( 774هـ ) ،الطبعة السادسة 1405هـ ــ 1985م ، الناشر مكتبة المعارف بيروت ــ لبنان ــ .

📖 **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة** لشيخ القراء أبو حفص سراج الدين عمر بن زين الدين قاسم بن محمّد بن علي الأنصاري النَّشَّار ت (938هـ ) تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ على محمّد معوض ، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود شارك في تحقيقه أحمد عيسى حسن المعصراوي ، الطبعة الأولى 1421هـ ــ 2000م ، عالم الكتب .

📖 **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة** من طريقي الشَّاطبية والدُّرّة لفضيلة الشيخ عبد الفتاح عبد الغني القاضي ، الطبعة الثانية 1426هـ ــ 2005م ، دار السلام للنشر والتوزيع ــ القاهرة ــ .

📖 **البرهان في علوم القرآن** للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ت ( 794هـ ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى 1391 هـ ، دار المعرفة ــ بيروت ــ .

📖 **البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان** للشيخ الإمام العلامة القدوة الهمام أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم التلمساني ، 1986م ،دون رقم الطبعة ، ديوان المطبوعات الجامعية ــ الجزائر ــ .

📖 **بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة و القرامطة الباطنية** أهل الإلحاد من القائلين بالحلول و الاتحاد ، تحقيق ودراسة الدكتور موسى بن سليمان الدّويش الطبعة الثالثة 1422هـ ــ 2001 م ، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة .

📖 **تـــاج العـــروس من جواهر القاموس** للسيِّد محمّد مرتضى الحسيني الزبيدي ، المجلس الوطنـــي للـــثقافة والفنون والآداب ، حكومة الكويت ، طبع في سنوات مختلفة ، حققه وراجعه مجموعة من الدكاترة .

📖 **تأويـــل مشكل القرآن** لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت ( 276 هـــ ) ، شرحه ونشره السيِّد أحمد صقر ، المكتبة العلمية ، دون تاريخ أو رقم الطبعة .

📖 **تأويـــل مختلف الحديث** لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت ( 276هـــ ) صححه و ضبطه محمد زهري النجار ، 1393هـــ ــ 1972 م ، دار الجيل ــ بيروت ــ .

📖 **التبيان في أقسام القرآن** لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ت ( 751 هـــــ ) ، دار الفكر دون رقم أو تاريخ الطبع .

📖 **تتمة الأعلام للزركلي** وفيات ( 1396هـــ ــ 1976م ، 1415هـــ ــ 1995م ) ، لمحمَّد خير رمضان يوسف ، الطبعة الثانية 1422هـــ ــ 2002م ، دار ابن حزم ــ بيروت ــ .

📖 **التحقيقات في شرح الورقات** للعلامة الحسين بن أحمد بن محمد الكيلاني الشافعي المكِّي المعـــروف بـــابن قاوان ت ( 889هـــ ) ، تحقيق ودراسة الدكتور الشريف سعد بن عبد الله بن حسين ، الطبعة الأولى 1419هـــ ــ 1999م ، دار النفائس للنشر و التوزيع ، الأردن .

📖 **التحريـــر و التنوير** لسماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، 1997 م ، دار سحنون للنشر و التوزيع ــ تونس ــ .

📖 **تـــرجمة الـــشيخ محمد الأمين الشنقيطي** جمعها و صنَّفها عبد الرحمان بن عبد العزيز السديس ، الطبعة الثانية ــ شعبان ــ 1411 هـــ ، دار الهجرة للنشر و التوزيع ــ السعودية ــ

📖 **تـــراث المغاربـــة و الأندلـــسيين في آثار الدارسين بالمملكة العربية السعودية** ( دراسة ببليوجرافية ) للدكتور حسن عبد الكريم الو راكلي ، 1422 هـــ ــ 2001م ، مكتبة الملك عبد العزيز العامة ــ الرياض ــ .

📖 **التعلـــيقات الحـــسان على صحيح ابن حبان** تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ت ( 1420 هـــــ ) بتـــرتيب الأمير علاء الدين بن بلبان الفارسي ت ( 739هـــ ) ، الطبعة الأولى 1424هـــ ــ 2003م ، دار باوزير للنشر والتوزيع ــ المملكة العربية السعودية ــ .

📖 **التعريفات** لعلي بن محمَّد الشريف الجرجاني ت ( 816 هـــ ) ، طبعة عام 1985 م ، مكتبة لبنان ــ بيروت ــ .

📖 **التـــسعينية** لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ين تيمية ت(728هـــ ) ، دراسة و تحقيق الدكـــتور محمّـــد بن إبراهيم العجلان ، الطبعة الأولى 1420هـــ ــ 1999م ، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع ــ الرياض ــ .

📖 **التفـــسير و المفـــسرون** للدكـــتور محمد حسين الذهبي ، 1424هـــ ــ 2004م مكتبة مصعب بن عمير الإسلامية .

📖 **تفـــسير القـــرآن** للعلامـــة شيخ الإسلام أبي المظفر السمعاني منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي ت ( 489هـــ ) ، تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم ــ أبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم ، الطبعة الأولى 1418 هـــ ــ 1997م ، دار الوطن ــ الرياض ــ .

📖 **تفـــسير ابـــن عطية** ، المعروف بالمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ت ( 546هـــ ) ، تحقيق وتعليق السيد عبد العال الـــسيِّد إبـــراهيم ، الطـــبعة الثانية ، دون تاريخ الطبع ، الناشر دار الفكر العربي ، دار الكتاب الإسلامي ــ القاهرة ــ .

📖 **تفـــسير ابن الجوزي** المسمى بزاد المسير لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمان بن علي بـــن محمّـــد الجـــوزي القرشـــي البغدادي ت ( 597هـــ ) حققه وكتب هوامشه محمّد بن عبد الـــرحمان عبد الله ، خرج أحاديثه أبو هاجر السعيد بن بسيوني زغلول ، الطبعة الأولى 1407 هـــ ــ 1987م دار الفكر للطباعة والنشر .

📖 **التفـــسير الكبيـــر** المسمى بمفاتيح الغيب للإمام الفخر الرازي ت ( 606 هـــ ) الطبعة الثالثة ،دون تاريخ الطبع ،الناشر دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ .

📖 **تفـــسير مـــبهمات القرآن** الموسوم بصلة الجمع و عائذ التذييل لموصول كتابي الأعلام والتكمـــيل للإمـــام أبـــي عبد الله محمد بن علي البلنسي ت ( 714هـــ ــ 782هـــ ) دراسة و تحقيق الدكتور حنيف بن حسن القاسمي ، دار الغرب الإسلامي ــ بيروت ــ .

📖 **تفسير القرآن العظيم** للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدّمشقي ت ( 774 هـــ ) ، الطبعة الأولى 1423 هـــ ــ 2002م ، دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع ــ بيروت ــ .

📖 **تفـــسير القاسمي** المسمى محاسن التأويل للإمام العلامة محمد جمال الدين القاسمي ت ( 1332 هـــــ ــ 1914 م ) تحقيق أحمد بن علي حمدي صُبح ، 1424هـــ ــ 2003م ، دار الحديث القاهرة .

📖 **تفسير القرآن الكريم** الأجزاء العشرة الأولى للإمام الأكبر محمود شلتوت الطبعة التاسعة 1402 هـــ ــ 1982م ، دار الشروق ببيروت و القاهرة .

📖 **توشيح الديباج وحلية الابتهاج** لبدر الدين محمد بن يحي بن عمر القرافي ت ( 1008 هـــــ ) تحقـــيق الدكتور علي عمر ، الطبعة الأولى 1425هـــ ــ 2004م الناشر مكتبة الثقافة الدينية مصر .

📖 **تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان** للعلامة الشيخ عبد الرحمان بن ناصر السّعدي ، اعتنى به تحقيقا ومقابلة عبد الرحمان بن مُعلا اللويحق ، قدم له فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل ، فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، الطبعة الأولى 1424هـ ـ 2003م ، دار ابن حزم ـ بيروت ـ .

📖 **التيسير في قواعد علم التفسير** للإمام العلامة محمَّد بن سليمان الكافيجي ت ( 879هـ ) دراسة وتحقيق ناصر بن محمد المطرودي ، الطبعة الأولى 1410هـ ـ 1990م ، دار القلم للطبعة ـ دمشق ـ ، دار الرفاعي ـ الرياض ـ .

📖 **الثابت و المتغير في فكر الإمام أبي إسحاق الشاطبي** لمجدي محمد محمّد عاشور ، الطبعة الأولى 1423هـ ـ 2002م ، دار البحوث و الدراسات الإسلامية و إحياء التراث ، حكومة دبي ـ دولة الإمارات العربية المتحدة ـ .

📖 **الجامع لأحكام القرآن** للشيخ محمّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله ت( 671هـ ) ،تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، الطبعة الثانية 1372 هـ ، دار الشعب ـ القاهرة ـ .

📖 **الجامع الصحيح** لأبي عيسى محمّد بن عيسى بن سورة الترمذي ت ( 279هـ ) ، تحقيق وتخريج وتعليق أحمد محمّد شاكر ، محمّد فؤاد عبد الباقي ، كمال يوسف حوت ، دار الكتب العلمية ، دون تاريخ أو رقم الطبعة .

📖 **جامع المسانيد** للحافظ أبي الفرج عبد الرحمان بن علي ابن الجوزي الحنبلي ت ( 597 هـ ) ، تحقيق الدكتور علي حسين البوَّاب ، الطبعة الأولى 1426هـ ـ 2005 م ، مكتبة الرشد ـ الرياض ـ .

📖 **جمهرة تراجم الفقهاء المالكية** ، الحلقة الأولى [ رجال المالكية من كتاب ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض أبي الفضل بن موسى اليحصبي السبتي ( 476 هـ ـ 544هـ ) ] بقلم الدكتور قاسم علي سعد ، الطبعة الأولى

1423هـــ ــ 2002م ، دار الــبحوث للدراسات الإسلامية و إحياء التراث ، حكومة دبي ــ دولة الإمارات العربية المتحدة ــ .

📖 **الحقــيقة الــشرعية** في تفسير القرآن العظيم و السنّة النبوية بقلم محمّد بن عمر بن سَالم بازمُول ، الطبعة الأولى 1425هـ ــ 2004 م ، دار الهجرة ــ الرياض ــ ، دار ابن عفان ــ القاهرة ــ .

📖 **خــصائص القــرآن الكــريم** للأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي ، الطبعة التاسعة 1417هـ ــ 1997 م ، مكتبة العبيكان ــ الرياض ــ .

📖 **الخــلاف اللفظــي عند الأصوليين** للدكتور عبد الكريم بن علي بن محمّد النملّة الطبعة الأولى 1417هـ ــ 1996 م ، مكتبة الرشد ــ الرياض ــ .

📖 **الــدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** لشيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن حجر العــسقلاني ت ( 852هـــ ) حققه وقدم له ووضع فهارسه محمد سيد جاد الحق ، الناشر أم القرى للطباعة و النشر ــ القاهرة ــ جمهورية مصر العربية

📖 **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** للقاضي إبراهيم بن نور الدين المعروف بــابن فرحون المالكي ت ( 799هـ ) دراسة و تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان ، الطبعة الأولى 1417هـ ــ 1996م دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

📖 **دائــرة المعارف الإسلامية** إعداد و تحرير إبراهيم زكي خو رشيد ، أحمد الشنتناوي ، الدكــتور عبد الحميد يونس ، الطبعة الثانية ، دار الشعب القاهرة ، كتبت مقدمتها يوم 20 / 01 / 1969م .

📖 **دفــع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب** لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ت ( 1393 هـــ ) خــرج آياتــه و أحاديثه الشيخ محمد عبد العزيز الخالدي ، مطبوع ضمن أضواء البيان ، المجلد العاشر ، ينظر معلومات هذا الأخير .

📖 **درء تعارض العقل والنقل** أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول لشيخ الإسلام ابن تيمـــية تحقـــيق الدكـــتور محمد رشاد سالم ، كتبت مقدمته 1391هـــ ــ 1971م ، دار الكنوز الأدبية .

📖 **الـــردود و النقود شرح مختصر ابن الحاجب** لمحمَّد بن محمود بن أحمد البابرتي الحنفي ت ( 786هـــــ ) دراســـة وتحقيق الجزء الأول ضيف الله بن صالح بن عون العمري ،والجزء الثانـــي بتحقـــيق الدكتور ترحيب بن ربيعان الدّوسري الطبعة الأولى 1426هـــ ــ 2005 م ، مكتبة الرشد ــ الرياض ــ .

📖 **الرســـالة** للإمـــام أبي عبد الله محمّد بن إدريس الشافعي ت (204هـــ ) ، تحقيق وشرح الشيخ أحمد محمد شاكر ، دون أي معلومات أخرى .

📖 **ســـنن الدارمـــي** للإمـــام الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان بن الفضل بن بهرام الدارمي ت ( 255هـــ ) ، الطبعة الأولى 1423هـــ ــ 2002م ، دار ابن حزم ــ بيروت ــ .

📖 **ســـنن أبي داود** للإمام الحافظ المصنف المتقن أبي داود سليمان ابن الأشعت السجستاني الأزدي ت ( 275هـــ ) ، طبعة عام 1412هـــ ــ 1992م ، دار الجيل ــ بيروت ــ .

📖 **ســـنن ابـــن ماجـــه** للحـــافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت ( 275هـــ ) حقق نـــصوصه ورقم كتبه وأبوابه و أحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي ، دون تاريخ أو رقم الطبعة ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ .

📖 **ســـنن النسائي** مطبوع ضمن شرح الحافظ السيوطي ، وحاشية الإمام السندي دار الكتب العلمية ، دون تاريخ أو رقم الطبعة .

📖 **الـــسنن الكبرى** للإمام أبي عبد الرحمان أحمد بن شعيب النّسائي ت ( 303هـــ ) ، حققه وخـــرّج حديثه حسن عبد المنعم شلبي بمساعدة مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة تحت إشراف شعيب الأرنؤوط ، الطبعة الأولى 1421هـــ ــ 2001م ، مؤسسة الرسالة ــ بيروت

📖 **ســير أعــلام النبلاء** لمحمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله ت ( 748 هـــ) ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ،وجماعة آخرين ، الطبعة التاسعة 1413هـــ ، مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ .

📖 **سلـــسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها** للشيخ الألباني ، الطبعة الجديدة 1415هـــ ــ 1995 م ، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع ــ الرياض ــ .

📖 **شـــجرة النور الزكية في طبقات المالكية** للعلامة الجليل الأستاذ الشيخ محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف ت ( 1360هـــ ) خرج حواشيه وعلّق عليه عبد المجيد خيالي ، الطبعة الأولى 1424 هـــ ــ 2003 م ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ .

📖 **شـــذرات الذهب في أخبار من ذهب** لابن العماد الإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكرِّي الحنبلي الدمشقي ( 1032هـــ ــ 1089 هـــ ) ، أشرف على تحقيقه وخـــرج أحاديـــثه عبد القادر الأرناؤوط ، حققه وعلَّق عليه محمود الأرناؤوط ، الطبعة الأولى من المجلد الأول 1406هـــ ــ 1986 م والمجلد العاشر 1414هـــ ــ 1993م ، دار ابن كثير دمشق ــ بيروت ــ .

📖 **شرح العقيدة الطحاوية** للعلامة ابن أبي العز الحنفي ، حققها وراجعها جماعة من العلماء خـــرج أحاديـــثها محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة التاسعة 1408هـــ ــ 1988م ، المكتب الإسلامي .

📖 **شـــرح القـــصيدة النونـــية** المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن القيم الجـــوزية ، شرحها وحققها الدكتور محمد خليل هراس ، الطبعة الثالثة 1424هـــ ــ 2003م ، دار الكتب العلمية .

📖 **شـــرح مختصر الروضة** لنجم الدين أبي الربيع سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم ابن ســـعيد الطُّوفـــي ت ( 716هـــــ ) ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الطبعة الرابعة 1424 هـــ ــ 2003م ، مؤسسة الرسالة بيروت .

📖**الشاطبي ومقاصد الشريعة** للدكتور حمادي العبيدي ، الطبعة الأولى 1412هـــ ــ 1992م دار قتيبة بيروت .

📖 **صـــحيح البخاري** للإمام محمد أبي عبد الله محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن المغيرة بن بـــردزبة البخاري الجعفي ت ( 256هـــ ) ، الطبعة الجديدة ، دون رقم أو تاريخ الطبعة ، دار الكتب العلمية ــ لبنان ــ .

📖 **صـــحيح مسلم** للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القُشيري النيسابوري ت ( 261هـــ ) دار ابن حزم ، مكتبة المعارف ــ بيروت ــ .

📖 **صـــحيح سنن النسائي** للشيخ محمّد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الأولى 1419 هـــ ــ 1998م ، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع ــ الرياض ــ .

📖 **صحيح الأدب المفرد للبخاري** بقلم محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الرابعة 1418هـــ ــ 1997 م ، مكتبة الدليل ــ المملكة العربية السعودية ــ .

📖 **الـــصحيح المـــسند من أسباب النزول** للعلامة المحدث أبي عبد الرحمان مقبل بن هادي الوادعي ، الطبعة الثانية 1415هـــ ــ 1994م ، دار ابن حزم ــ بيروت ــ ومكتبة دار القدس ــ صنعاء ــ .

📖 **طـبقات المفـسرين** لأحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر ، تحقيق سـليمان بـن صـالح الخزي ، الطبعة الأولى 1417هـ ـ 1997م ، مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة النبوية ـ .

📖 **طـبقات النحويين واللغويين** لأبي بكر محمّد بن الحسن الزّبيدي الأندلسي ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ـ مصر ـ .

📖 **ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة** للشيخ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني ، الطبعة الرابعة 1414 هـ ـ 1993م ، دار القلم ـ دمشق ـ .

📖 **العبر في خبر من غبر** لمؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي ت ( 748هـ ـ 1348م ) ، حققه وضبطه أبو هاجر سعيد بن بسيوني زغلول ، الطبعة الأولى 1405هـ ـ 1985م ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ .

📖 **علـم التفـسير** للدكـتور محمد حسين الذهبي ، ضمن سلسلة كتابك ، دار المعارف ـ القاهرة ـ ، دون تاريخ أو رقم الطبعة .

📖 **فـتح الـباري** لأحمـد بن علي بن حجر العسقلاني ، أبو الفضل ، ت( 852هـ)، تقديم وتحقـيق وتعلـيق عبد القادر شيبة الحمد ، الطبعة 1421هـ ـ 2001 م ، طبع على نفقة الأمير سلطان ابن عبد العزيز ، منشورات مكتبة الملك فهد الوطنية .

📖 **فتاوى الإمام الشاطبي** حققها وقدّم لها الدكتور محمد أبو الأجفان ، الطبعة الرابعة 1421 هـ 2001م ، مكتبة العبيكان ـ الرياض ـ .

📖 **فتاوى قاضي الجماعة** لأبي القاسم بن سراج الأندلسي ت ( 848 هـ ) ، تحقيق الدكتور محمد أبو الأجفان ، 1420 هـ ـ 2000م المجمع الثقافي ، أبو ظبي ـ الإمارات العربية ـ

📖 **الفكـــر الـــسامي في تاريخ الفقه الإسلامي** لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي ( 1291هـــ ــ 1376هـــ ) ، اعتنى به أيمن صالح شعبان ، الطبعة الأولى 1416هـــ ــ 1995 م دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

📖 **الفَـــرق بين الفِرق** للعالم عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الإسفرائيني التميمي ت ( 429 هـــ ــ 1027م ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد الطبعة 1425 هـــ ــ 2004 م المكتبة العصرية صيدا ، بيروت .

📖 **الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة** للإمام محمد بن علي الشوكاني ت ( 1250 هـــــ ) تحقيق عبد الرحمان بن يحي المعَلمِّي اليماني ، الطبعة الأولى 1423هـــ ــ 2002م ، دار الآثار للنشر و التوزيع ــالقاهرة ــ .

📖 **الفـــتح المبـــين فـــي طبقات الأصوليين** لصاحب الفضيلة الأستاذ المحقق الشيخ عبد الله مصطفى المراغي ، 1419هـــ ــ 1999م ، الناشر المكتبة الأزهرية للتراث .

📖 **فضائح الباطنية** للإمام الغزالي أبي جامد محمد بن محمد الطوسي ت ( 505هـــ ) ، تحقيق عبد الرحمان بدوي ، مؤسسة دار الكتب الثقافية ــ الكويت ــ .

📖 **قانون التأويل** للإمام القاضي أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي ت ( 543هـــــ ) دراســـة و تحقيق محمد السّليماني ، الطبعة الثانية 1990م دار الغرب الإسلامي بيروت ــ لبنان ــ .

📖 **القرآن العظيم هدايته و إعجازه في أقوال المفسرين** لمحمد الصادق عرجون 1386 هـــ ــ 1966م ، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية المصرية .

📖 **القـــواعد الأصـــولية عـــند الإمام الشاطبي** من خلال كتابه الموافقات للدكتور الجيلالي المرينّي ، الطبعة الأولى 1425 هـــ ــ 2004م ، دار ابن القيم الدمام ــ دار ابن عفان القاهرة

📖 **قـواعد التـرجيح عند المفسرين** ــ دراسة نظرية تطبيقية ــ لحسين بن علي بن حسين الحربـي ، راجعـه وقدم له فضيلة الشيخ مناع بن خليل القطان ، الطبعة الأولى 1417هـ ــ 1996م ، دار القاسم ــ الرياض ــ .

📖 **قـواعد التفسير** ــ جمعا ودراسة ــ خالد بن عثمان السبت ، الطبعة الأولى 1421هـ ، دار ابن عفان للنشر والتوزيع ــ القاهرة ــ .

📖 **كتاب مناهل العرفان دراسة و تقويم** خالد بن عثمان السبت ، الطبعة الثانية 1422هـ ــ 2001م ، دار ابن عفان ــ مصر ــ .

📖 **كـشف الأسـتار عن زوائد البزّار على الكتب السِّتة** للحافظ نور الدِّين عليّ بن أبي بكر الهيثمـي ت ( 807هـ ) ، تحقيق المحدّث الكبير العلامة الشيخ حبيب الرحمان الأعظمي ، الطبعة الأولى 1399هـ ــ 1979 م ، مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ .

📖 **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج** لأحمد بابا التنبكتي ت ( 1036 هـ ) تحقيق الدكتور علي عمر ، الطبعة الأولى 1425 هـ ــ 2004م الناشر مكتبة الثقافة الدينية .

📖 **الكلـيَّات معجـم في المصطلحات والفروق اللغويَّة** لأبي البقاء أيُّوب بن موسى الحسيني الكفـوي ت ( 1094 هـ ) ، قابلـه على نسخة خطية وأعدّه للطَّبع ووضع فهارسه الدكتور عـدنان درويش ومحمّد المصري ، الطبعة الثانية 1419هـ ــ 1998 م ، مؤسسة الرسالة ــ لبنان ــ .

📖 **لسان العرب** للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري ، الطبعة الأولى 1997 م ، دار صادر بيروت لبنان .

📖 **مـباحث في علوم القرآن** للشيخ مناع القطان ، الطبعة الثانية 1419 هـ ــ 1998م ، مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ .

📖 **المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر** ( 100هـ ــ 1370هـ ) لعبد المتعال الصعيدي ، ملتزم النشر مكتبة الآداب و مطبعتها دار الحمامي للطباعة .

📖 **مجمـــوع فتاوى** شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمان بن محمد بن قاســـم بمساعدة ابنه محمد ، طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين ، الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود ، أخرجه المكتب التعليمي السعودي بالمغرب .

📖 **مختـــصر صـــحيح الإمـــام البخاري** للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الأولى 1422هـ ــ 2002 م ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ــ الرياض ــ .

📖 **الملـــل والـــنِّحل** لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ت ( 548هـ ) تحقيق أبي محمد محمّد بن فريد ، المكتبة التوفيقيةــ القاهرة ــ دون تاريخ أو رقم الطبعة .

📖 **المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم** تصنيف الإمام الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني ت ( 430هـ ) ، قدم له الدكتور كمال عبد العظيم العناني ، تحقـــيق محمـــد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ، دون تاريخ أو رقم الطبعة .

📖 **مـــسند الإمـــام أحمد بن حنبل** ت ( 241هـ ) تحقيق وتخريج محمد نعيم عرقسوسي ، إبراهيم الزَّبيق ، محمّد رضوان العرقسوسي وغيرهم ، تحت إشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط ، طبع المجلد الأول منه عام 1416هـ ــ 1995م ، والمجلد الخمسين والأخير سنة 1421هـ ــ 2001م ، مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ .

📖 **المـــسودة في أصول الفقه** لآل ابن تيمية ، حققه وضبط نصه وعلّق عليه الدكتور أحمد بن إبراهيم بن عباس الذروي ، الطبعة الأولى 1422هـ ــ 2001م ، دار الفضيلة الرياض ــ دار ابن حزم بيروت .

📖 **المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين** للدكتور محمّد العروسي عبد القادر ، الطبعة الأولى 1410هـ ــ 1990م ، دار حافظ للنشر و التوزيع جدّة .

📖 **المستصفى من علم الأصول** للإمام الغزالي أبي جامد محمد بن محمد الطوسي ت ( 505 هـ ) ، تحقيق و تعليق الدكتور محمد سليمان الأشقر ، الطبعة الأولى 1417هـ ــ 1997م ، مؤسسة الرسالة بيروت .

📖 **المصفى بأكف أهل الرّسوخ** لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمان ابن الجوزي ت ( 597هـ ) ، تحقيق حاتم صالح ضامن ،الطبعة الثالثة 1418 هـ ــ 1998 م مؤسسة الرسالة بيروت .

📖 **معاني القرآن** لأبي جعفر النحاس ت ( 338هـ ) ، تحقيق الدكتور يحي مراد ، طبعة عام 1425هـ ــ 2004م ، دون رقم الطبعة ، دار الحديث ــ القاهرة ــ .

📖 **معجم البلدان** للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرّومي البغدادي ت ( 626هـ ) صححها و نقحها وقدّم لها محمد عبد الرحمان المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ لبنان ، دون تاريخ أو رقم الطبعة .

📖 **المعجم الأوسط** للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ت ( 360هـ ) ، تحقيق أبو معاذ طارق ابن عوض الله ابن محمد ــ أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، طبعة عام 1415هـ ــ 1995 م ، منشورات دار الحرمين ــ القاهرة ــ ، دون رقم الطبعة

📖 **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر** لعادل نويهض ، الطبعة الثالثة 1403 هـ ــ 1983 م مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف و الترجمة و النشر ــ بيروت

📖 **معجم المؤلفين** لعمر رضا كحالة ، الطبعة الأولى 1414 هـ ــ 1993 م اعتنى به و جمعه و أخرجه مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة .

📖 **معجـــم مقايـــيس اللغـــة** لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت ( 395هـــ ) تحقيق وضبط عبد السلام مجمد هارون ، دار الجيل ــ بيروت ــ دون تاريخ أو رقم الطبعة .

📖 **معتـــرك الأقران في إعجاز القرآن** للعلامة أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمان أبي بكر السيوطي ت ( 911هـــ ) ، ضبطه وصححه وكتب فهارسه أحمد شمس الدين ، الطبعة الأولى 1408هـــ ــ 1988م ، دار الكتب العلمية ــ لبنان ــ .

📖 **المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية و الأندلس والمغرب** لأحمد بن يحي الونشريسي ت ( 914هـــ ) خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي ، الطبعة الأولى 1403هـــ ــ 1983م ، دار الغرب الإسلامي .

📖 **المفـــسرون الجزائـــريون عبـــر القرون** من القرن الثاني إلى القرن الرابع عشر لمحمد المختار إسكندر ،مطبعة دحلب ،حسين داي ــ الجزائر ــ ، دون رقم الطبعة وتاريخها .

📖 **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم و الإرادة** لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكـــر المعـــروف بـــابن قيم الجوزية ت ( 751هـــ ) ، دون تاريخ أو رقم الطبعة ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ .

📖 **مقدمة ابن خلدون** لعبد الرحمان أبو زيد ولي الدّين ابن خلدون ت ( 808هـــ ) ، تحقيق خلـــيل شحادة ، الطبعة الأولى 1423 هـــ ــ 2003م ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ــ بيروت ــ .

📖 **مقدمـــة فـــي أصول التفسير** لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ت ( 728 هـــ ) اعتنى به فواز أحمد زمرلي ، الطبعة الثانية 1418هـــ ــ 1997م ، دار ابن حزم ــ بيروت ــ .

📖 **مقدمـــة المفـــسرين** للمحقق محي الدين بن بير علي المؤيدّي البركوي ت ( 981هـ ) دراســـة وتحقـــيق عـــبد الرحمان بن صالح بن سُليمان الدّهش ، الطبعة الأولى 1425 هـ ـ 2004م ، إصدارات دار الحكمة ـبريطانيا ـ .

📖 **المنـــتظم فـــي تـــاريخ الملـــوك والأمم** لأبي الفرج عبد الرَّحمان بن علي بن محمَّد ابن الجوزي ت ( 597هـ ) ، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ـ مصطفى عبد القادر عطا راجعـــه وصحّحه نعيم زرزور ، الطبعة الأولى 1412 هـ ـ 1992 م ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان .

📖 **مـــنهج الـــدرس الدلالي عند الإمام الشاطبي** للأستاذ عبد الحميد العلمي ، قدّم له الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري ، 1422هـ ـ 2001 م ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ـ المملكة المغربية ـ .

📖 **مـــناهل العـــرفان في علوم القرآن** بقلم الأستاذ الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ، حققه أحمد طعمه حلبي ، الطبعة الأولى 1420هـ ـ 1999م ،دار المعرفةـ لبنان ـ .

📖 **المرافق على الموافق** للشيخ أبي المودّة الشريف ماء العينين ابن الشيخ محمّد فاضل بن مامـــين ، خـــرج أحاديـــثه و علّق عليه وضبط نصه أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، الطبعة الأولى 1425 هـ ـ 2005 م ، دار ابن القيم الدمام ـ دار ابن عفان القاهرة .

📖 **المـــدخل لدراسة القرآن الكريم** للأستاذ الدكتور الشيخ محمد بن محمَّد أبو شهبة ، الطبعة الأولى 1424هـ ـ 2003م ، غراس للنشر و التوزيع الكويت ـ .

📖 **مذكـــرة أصول الفقه على روضة الناظر** للعلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي تحقيق و تعلـــيق أبـــي حفص سامي العربي ، الطبعة الأولى 1419هـ ـ 1999م ، دار اليقين للنشر و التوزيع المنصورة ـ مصر ـ .

📖 **مصادر التفسير الموضوعي** للدكتور أحمد رحماني ، الطبعة الأولى 1419هـ ـ 1998 م ، مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ .

📖 **الموافقات** للعلامة أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي ، ضبط نصه وقدّم له و علّق عليه و خرج أحاديثه أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، تقديم فضيلة الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد ، الطبعة الأولى 1424هـ ـ 2003م ، دار ابن القيم الدمام ـ دار ابن عفان القاهرة .

📖 **الموافقات في أصول الشريعة** لأبي إسحاق الشاطبي ، شرحه و خرج أحاديثه فضيلة الشيخ عبد الله دراز ، وضع تراجمه الأستاذ محمد عبد الله دراز ، خرج آياته و فهرس موضوعاته عبد السلام عبد الشافي محمّد ، دون تاريخ أو رقم الطبعة ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ .

📖 **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم** للباحث العلامة محمَّد علي التهانوي ، تقديم وإشراف ومراجعة الدكتور رفيق العجم ، تحقيق الدكتور علي دحروج ، الطبعة الأولى 1996 م ، مكتبة لبنان ناشرون .

📖 **ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه** لابن البارزي ت ( 738 هـ ) تحقيق حاتم صالح ضامن ،الطبعة الثالثة 1418 هـ ـ 1998م مؤسسة الرسالة بيروت .

📖 **الناسخ و المنسوخ** لقتادة بن دعامة السدوسي ت ( 117هـ ) تحقيق حاتم صالح ضامن ،الطبعة الثالثة 1418 هـ ـ 1998 م مؤسسة الرسالة بيروت .

📖 **الناسخ و المنسوخ** للزهري ت ( 124 هـ ) رواية أبي عبد الرحمان محمد بن الحسين السّلمي ، تحقيق حاتم صالح ضامن ، الطبعة الثالثة 1418 هـ ـ 1998م ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ .

📖 **الناسخ والمنسوخ** للإمام أبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمّد البغدادي ، تحقيق حلمي كامل أسعد عبد الهادي ، دار العدوي عمان ــ الأردن ــ ، دون تاريخ أو رقم الطبعة

📖 **نثــر الوُرُود على مراقي السّعود** شرح الشيخ محمَّد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي " صــاحب أضــواء البيان " ، تحقيق و إكمال تلميذه الدكتور محمد ولد حبيب الشنقيطي ، الناشر محمد محمود الخُضر القاضي ، الطبعة الثالثة 1423هــ ــ 2002م ، توزيع دار المنارة للنشر و التوزيع جدة ــ السعودية ــ .

📖 **نــزهة المشتاق في اختراق الآفاق** لأبي عبد الله محمّد ابن عبد الله ابن إدريس الحمودي الحــسني المعــروف بالشريف الإدريسي ، من علماء القرن السادس الهجري ، الطبعة الأولى 1409هــ ــ 1989م ، عالم الكتب ــ بيروت ــ .

📖 **نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي** للدكتور أحمد الرّيسوني ، الطبعة الأولى 1418 هــ ــ 1997 م ، دار الكلمة المنصورة ــ مصر ــ .

📖 **نفــح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب** للشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني حققه الدكتور إحسان عباس ، الطبعة 1408هــ ــ 1988م ، دون رقم الطبعة دار صادر بيروت .

📖 **نــيل الابتهاج بتطريز الديباج** لأحمد بابا التنبكتي ت ( 1036هــ ) تحقيق الدكتور علي عمر ، الطبعة الأولى 1423 هــ ــ 2004 م ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد الظاهر ــ القاهرة ــ .

📖 **الوجــوه والنظائر** لألفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها للشيخ الإمام أبي عبد الله الحُسين بن محمّد الدامغاني ت ( 478هــ )،دراسة وتحقيق فاطمة يوسف الخيمي ، تقديم سعدي أبو حبيب، الطبعة الأولى 1419هــ ــ1998م، مكتبة الفارابي ــ دمشق ــ سوريا .

📖 **الوافـــي بالوفيات** لصلاح الدّين خليل بن أيبك الصّفدي ت ( 764هـ ) ، تحقيق واعتناء أحمـــد الأرناؤوط ــ تركي مصطفى ، الطبعة الأولى 1420هـ ــ 2000م ، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ لبنان .

📖 **وفـــيات الأعيان وأنباء الزمان** لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ت ( 681هـ ) ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ،طبع في سنوات متفاوتة ما بين 1968م ــ 1994 م دار صادر ــ بيروت ــ .

## المجلات العلمية

📖 **مجلـــة المعـــيار** دورية علمية محكمة تعنى بالدراسات الإسلامية ، تصدرها كلية أصول الـــدين و الشريعة و الحضارة الإسلامية بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة ــ الجزائر ــ العدد الثاني ربيع الأول 1423هـ ــ جوان 2002م .

📖 **مجلـــة المـــوافقات** مجلـــة دورية أكاديمية يصدرها المعهد الوطني العالي لأصول الدين بخروبة الجزائر، العدد الأول ذو الحجة 1412 هـ ــ جوان 1992م ، تصميم و إنجاز شركة دار الأمة للطباعة و الترجمة و النشرــ برج الكيفان ــ .

📖 **مجلـــة معهد المخطوطات العربية :** الصادرة عن جامعة الدول العربية ــ القاهرة ــ ، المجلـــد ( 46 ) ـــ الجـــزء الأول ــ ربـــيع الأول 1423هـ / مايو 2002م ، أشرف على تحريرها الدكتور أحمد يوسف أحمد محمد .

📖 **مجلـــة الجامعـــة الإسلامية :** مجلة علمية محكمة تصدر عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، إعداد عمادة البحث العلمي 1424هـ ــ 2003م ، قرص مضغوط خاص بالكمبيوتر العدد ( 11) سنة النشر محرم 1391 هـ ، و العدد (115) سنة النشر 1422هـ .

# فهرس الموضُوعات

**الموضوع** ..... **الصفحة**

**المقدمة** ..... أ
**أسباب اختيار الموضوع** ..... ب
**المنهج المتّبع في البحث** ..... ج
**التعريف بمفردات البحث** ..... ز
**الدراسات السابقة** ..... 1

## الفصل الأول : السيرة الذاتية

**المبحث الأول :** اسمه ومولده ونشأته العلمية
اسمه وكنيته ونسبه ..... 07
الاهتمام المبكر في طلب العلم ..... 11
سبل الهداية في التمسك بالكتاب والسنة النبوية ..... 11
**المبحث الثاني : شيوخه**
شيوخه من أهل غرناطة ..... 12
الشيوخ الوافدين إلى غرناطة ..... 18
**المبحث الثالث : تلاميذه**
أبو يحي بن عاصم ..... 31
القاضي أبو بكر الأندلسي ..... 32
أحمد القصار ..... 33
أبو عبد الله البياني ..... 33

أبو عبد الله المجاري ..... 33
علي بن محمد بن سمعت ..... 34
أبو عبد الله محمد بن علي ..... 35
**المبحث الرابع : مصنفاته**
الموافقات ..... 37
الغرض من تأليفه ..... 38
ثناء العلماء على هذا التصنيف ..... 39
الاعتصام ..... 43
الإفادات و الإنشادات ..... 46
المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية ..... 47
المجالس ..... 48
عنوان الاتفاق في علم الاشتقاق ..... 49
**المبحث الخامس** : مكانته عند العلماء وشعره
الشاطبي يتضرر من البدع وأهلها ..... 51
مدح أبي إسحاق لكتاب الشفاء القاضي عياض ..... 52
الوصف الذي حلاه به تلميذه المجاري ..... 52
مكانته عند أحمد بابا التنبكتي ..... 53
مكانته عند بعض المعاصرين ..... 55
**المبحث السادس** : مصادر المعتمدة في تصنيف مؤلفاته ووفاته
كتب المتقدمين أولى في الأخذ منها من الكتب المتأخرين ..... 61
تاريخ وفاته ..... 61
**الفصل الثاني : جهوده في علوم القرآن**
تمهيد ومدخل : تعريف الشاطبي للقرآن الكريم ..... 63

**المبحث الأول :** المكي والمدني في القرآن
تعريفهما..... 70
فوائد معرفتهما ..... 71
**أراء الشاطبي فيهما**
مفهومهما عنده ..... 71
خصائص القرآن المكي ..... 74
مواصفات السور المكية ..... 75
القرآن المدني مكمل لما نزل في المدينة ..... 77
**المبحث الثاني :** المحكم والمتشابه
تعريف المحكم والمتشابه في اللغة ..... 79
**أراء الشاطبي في المحكم والمتشابه**
التأكيد على وجود التشابه في الشريعة ..... 80
معاني كلّ منهما عنده ..... 81
قلة التشابه في القرآن و الأدلة عليه ..... 83
المتشابه قسمان ..... 85
نفي وقوع التشابه في الكليات ..... 86
واجب المكلفين اتجاه المتشابه ..... 87
آيات الصفات قطعا ليست من المتشابه ..... 89
الكلام عن الحروف المقطعة في القرآن الكريم ..... 91
هل هذا النوع من الآيات معقول المعنى ..... 92
**المبحث :** أسباب النزول وأهمية الاهتمام به
الدليل على أهميته هذا العلم ..... 99
طرق معرفة مراد المتكلم عند ابن تيمية ..... 100
خطر الجهل بتلك الأسباب و الأمثلة عليها ..... 100
أحوال النظر في تلك الأسباب ..... 103

معرفة عادات العرب هي ضرورية..... 106
**المبحث** : النسخ في القرآن
تعريفه في اللغة ..... 109
الحكمة من وقوع الكثير من النسخ في المدينة..... 109
لا يوجد نسخ في كليات الشريعة و الأدلة على ذلك ..... 110
مفهوم النسخ عند المتقدمين أوسع منه عند المتأخرين ..... 112
آيات قيل فيها بالنسخ وعند التحقيق هي ليست منسوخة ..... 113
لا يلحق الأخبار نسخ ..... 117
أخبار الآحاد لا تنسخ القرآن عند الشاطبي والتعقيب عليه ..... 117
**المبحث** : إعجاز القرآن
معجزة القرآن من أعظم معجزات النبي ﷺ .. ..... 120
طرق معرفة الإعجاز ..... 122
**المبحث** : الخطاب القرآني
الشارع لم يكلف المكلفين بما لا يطيقونه ..... 124
العلاقة الموجودة بين المعاني والألفاظ ..... 125
الكناية في القرآن ..... 129
الالتفات في القرآن ..... 130

## الفصل الثالث : جهوده في التفسير

مدخل يحتوي على تعريف التفسير في اللغة والاصطلاح ..... 133
**أراء الشاطبي فيه**
هل علم التفسير مطلوب ؟ ..... 134
طرق التفسير ، والأول تفسير القرآن بالقرآن ..... 135
أهمية السنة في تفسير القرآن ..... 136
تفسير القرآن بأقوال الصحابة ..... 140
ضرورة اللغة العربية في تأويل القرآن وخطر الجهل بها ..... 143

القدر المطلوب من اللغة ..... 145
الترادف اللغوي ..... 152
المعرب في القرآن ..... 153
ترجمة القرآن الكريم ..... 157
**المبحث** : التفسير بالرأي
معنى الرأي ..... 161
الرأي في القرآن بحسب الشاطبي ..... 161
لا ضرر في التفسير بالرأي المحمود المبني على أسس علمية ..... 163
**المبحث** : التأويل عند الشاطبي
معاني التأويل في اللغة ..... 171
التأويل عند السلف ..... 171
تأويل المتشابه وخطر الخوض فيه ..... 172
الشروط التي لابد أن تراعى في التأويل ..... 173
الحذر من التأويلات بعيدة عن مراد الله ﷻ ..... 174
**المبحث** : الظاهر والباطن في القرآن
معنى الظاهر والباطن ..... 177
تقسيم بديع للعلوم ..... 177
خطر التعمق في الأخذ بالباطن ..... 180
شروط الأخذ بالباطن ..... 181
خطر إتباع مثل أولئك المنحرفين حسب ابن القيم ..... 184
التفسير الإشاري معناه ..... 185
الفرق بين التفسير الإشاري و الآخر الباطني ..... 187
نماذج من تفسيرات سهل التستري وتوجيهها ..... 189
الشاطبي يقف موقفا وسطا اتجاه التفسير الإشاري ..... 190
لا بد من مراعاة السياق في السابق و اللاحق ..... 192

**المبحث** : أسباب اختلاف المفسرين

معاني الاختلاف ..... 196

وجود الاشتراك من أسباب الاختلاف ..... 197

دوران اللفظ بين الحقيقة و المجاز ..... 198

الاختلاف الذي لايعتد به ..... 199

**المبحث** : الحكاية في القرآن الكريم

تعريفها ..... 205

آيات كثيرة في القرآن ترد باطل المشركين ..... 206

الكفار مخاطبون بفروع الشريعة ..... 207

القصص القرآني ..... 209

**المبحث** : الترغيب والترهيب

الترغيب لا يوجد إلا مقرونا في الغالب بالترهيب ..... 212

قد يغلب أحد الطرفين على الآخر ..... 213

تمثيل بديع في كيفية التعامل مع نصوص الرجاء على الخوف ..... 217

**المبحث** : التفسير العلمي

تعريفه ..... 220

تجاوز بعض الأدعياء أن القرآن يحوي على كلّ العلوم..... 222

الرد على ابن رشد الحفيد ..... 224

جمع بين الغاليين والمنكرين لهذا النوع من التفسير ..... 229

**المبحث** : التعارض والترجيح

توجيه لآيات ظاهرها التعارض ..... 230

**المبحث** : بذور التفسير الموضوعي

تعريفه ..... 237

الفوائد التي تتضمنها سورة المؤمنون ..... 238

سورة الفاتحة هي سورة جامعة عند الشاطبي ..... 242
ردود الشاطبي على أصحاب الأهواء ..... 244
الخاتمة ..... 247